

النَّسْهَبُ الْعُلُومِ النَّزِيلِ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْمُفَسِّرُ أَبُو الْقَاسِمِ
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْفَرَنْجِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشَّهَادَةِ . (٦٩٣ - ٥٧٤١)

وَمَعَهُ تَقْرِيرَاتُ إِيضًا لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ الْبَرَّاكِ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَ بِهِ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسَّائِلِ

مُحَقِّقُ

عَلِي بْنُ حَمْدٍ الصَّبَّاحِيُّ
عُضُوهُ هَيْئَةِ النَّدْوَةِ بِمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ
رَفِضْتُكَ إِلَى النَّاسِ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينفع به

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com



dar.taibaa



@dar_tg



dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986

التَّسْهِيلُ لِلْعُلُومِ وَالْتَّنْزِيلُ

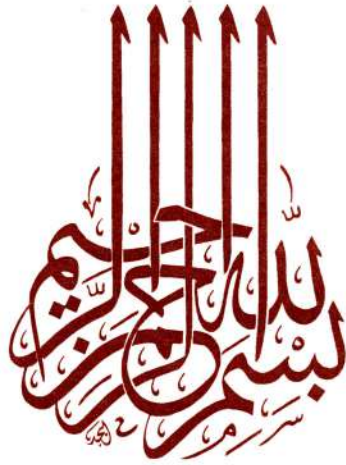
تَأليف العلامة المفسر أبي الفاسي
محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي الأندلسي الغرناطي
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

ومعه تَفْهِيمُ بَرَاءَتِ لُصِيْلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حَفَظَهُ اللهُ تَعَالَى وَفَعَّاهُ
على المواضع المشككة في العقيدة والسلوك
تَحْقِيقُ

علي بن حمد الصَّباحي
عضو هيئة التدريس بجامعة البوعلوي

المجلد الرابع
من فضلك إلى الناس

دار طبية الخضراء
للنشر والتوزيع | علم يرفع به



﴿ سورة حم السجدة ﴾

[﴿ حَمْدٌ ① نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كَتَبْتُ فَصِلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ⑤ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَفِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ⑥ وَأَنذِرْ لِّلْمُشْرِكِينَ ⑦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ⑧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑨]

﴿فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ أي: بُيِّنَتْ.

وقيل: قُطِعَتْ إلى سورٍ وآيات.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر على التخصيص.

أو حال.

أو مصدر.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف.

وقيل: معناه: يعلمون الحق، وهو الإيمان.

فالأول عام، وهذا خاص، والأول أولى؛ لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛

لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين .

وقيل : يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن ؛ إذ هو بلغتهم .

وقوله : ﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعلق بـ ﴿نَزِيلٌ﴾ ، أو بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾ .

والأحسن أن يكون صفة لـ ﴿كِتَابٌ﴾ .

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي : لا يقبلون ولا يطيعون ، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة .

﴿فِي أَكْثَرِ﴾ جمع كِنَانٍ ، وهو الغطاء .

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بُعدهم عن الإسلام .

﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ قيل : معناه : اعمل على دينك ؛ إننا عاملون على ديننا ، فهو متاركة .

وقيل : اعمل في إبطال أمرنا ؛ إننا عاملون في إبطال أمرك ، فهو تهديد .

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ هي زكاة المال ، وإنما خصها بالذكر ؛ لصعوبتها على الناس ، ولأنها من أركان الإسلام .

وقيل : يعني بالزكاة : التوحيد ، وهذا بعيد ، وإنما حملة على ذلك أن الآية مكية ، ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة .

والجواب : أن المراد : النفقة في طاعة الله مطلقاً ، وقد كانت مأموراً بها بمكة .

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي : غير مقطوع ، من قولك : مننتُ الحبل : إذا قطعته .

وقيل : غير منقوص .

وقيل : غير محصور .

وقيل : لا يُمَنُّ عليهم به ؛ لأنَّ المَنَّ يُكَدَّر الإحسان .



[قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩] وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ سَمَاءٍ مَلَكًا فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٧ وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ١٨].

﴿أَنْدَادًا﴾ أي: أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها.

﴿رُوسِيٍّ﴾ يعني: الجبال.

﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أكثر خيراتها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا﴾ أي: أرزاق أهلها ومعاشهم^(١).

وقيل: يعني: أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض.

والأول أظهر.

(١) في ج: «ومعاشهم».

﴿فَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ يريد: أن الأربعة كُملت باليومين الأولين، فخلق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام، وخلق السموات في يومين فتلك ستة أيام، حسبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة^(١) على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة.

﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: مصدر، تقديره: استوت استواء. قاله الزمخشري^(٢). وقال ابن عطية: انتصب على الحال^(٣).

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ قيل: معناه: لمن سأل عن أمرها.

وقيل: معناه: للظالمين لها، ويعني بالطلب على هذا: حاجة الخلق إليها.

وحرف الجر:

يتعلق بمحذوف على القول الأول، تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه. ويتعلق بـ ﴿وَفَدَّرَ﴾ على القول الثاني.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها.

ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣١﴾

[التأوهات: ٣٠]؟

(١) في ب: «زائدة».

(٢) الكشف (١٣/٥٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/٤٦٦).

فالجواب : أنها خلقت قبل السماء ، ثم دُجيت بعد ذلك .

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ روي : أنه كان العرش على الماء ، فأخرج الله من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فأبیس الماء فصار أرضاً ، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع .

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارة عن لزوم طاعتهما ، كما يقول الملك لمن تحت يده : «افعل كذا شئت أو أبيت» ، أي : لا بد لك من فعله .

وقيل : تقديره : ائتيا طوعاً وإلا أئتما كرهاً .

ومعنى هذا الإتيان : تصوّرهما على الكيفية التي أرادها الله .

وقوله لهما : ﴿اُئْتِيَا﴾ مجازٌ ، وهو عبارة عن تكوينه لهما .

وكذلك قولهما : ﴿اُئْتِيَا طَائِعِينَ﴾ عبارة عن أنهما لم تمتنعا^(١) عليه حين أراد تكوينهما .

وقيل : بل ذلك كلامٌ حقيقةً ، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما : ﴿اُئْتِيَا طَائِعِينَ﴾ .

وإنما جمع ﴿طَائِعِينَ﴾ جمع العقلاء ؛ لوصفهما بأوصاف العقلاء .

﴿فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي : صنعهنّ ، والضمير للسّموات السبع ، وانتصابها على التمييز ؛ تفسيراً للضمير .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يمتنعا» .

وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة ؛ لأنها لا تعقل ، فهو كقولك :
«الجدوع انكسرن» .

وجمعهما جمع المذكر العاقل في قوله : ﴿طَائِفِينَ﴾ ؛ لأنه وصفها ^(١)
بالطَّوع ، وهو فعل العقلاء ، فعاملها ^(٢) معاملتهم ، فهو كقوله : ﴿رَأَيْنَهُمْ لِي
سَجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] .

وأعاد ضمير التثنية في قوله : ﴿قَالَتَا﴾ ؛ لأنه جعل الأرض فرقةً والسماء
أخرى ^(٣) .

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي : أوحى إلى سُكَّانِهَا من الملائكة ، وإليها
هي نفسها ^(٤) ما شاء من الأمور ، التي بها قوامها وصلاحها .
وأضاف الأمر إليها ؛ لأنه فيها .

﴿وَرَبِّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ يعني : الشمس والقمر والنجوم ، وهي زينةٌ
للسماء الدنيا ، سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات .
﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره : وحفظناها حفظًا .

ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله على المعنى ، كأنه قال : وخلقنا
المصابيح زينةً وحفظًا .

(١) في أ ، ب ، هـ : «وصفهما» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «فاعلمهما» .

(٣) في ب ، ج : «فرقة» .

(٤) في ب ، ج : «بعينها» .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش .

﴿صَعِقَةً﴾ يعني : وقعة وأخذة^(١) شديدة ، وهي مستعارة من صاعقة النار .

وقرى ﴿صَعِقَةً﴾ بإسكان العين ، وهي الوقعة ، من قولك : صَعِقَ الرجلُ .

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي :

المتقدم ، ومعنى ما خلف : المتأخر .

فمعنى الآية : أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم ، واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود ، حتى قامت عليهم الحجة ، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم ، فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ، قاله ابن عطية^(٢) .

وقال الزمخشري : معناه : أتوهم من كل جانب ، فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم^(٣) .

وقيل : أخبروهم بما أصاب مَنْ قبلهم ، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ «أَنْ» :

حرفُ عبارة وتفسير .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «واحدة» .

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٦٩-٤٧٠) .

(٣) الكشف (١٣/٥٨٣) .

أو مصدرية، على تقدير: بأن لا تعبدوا إلا الله.

﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه: بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصَّرَّ وهو شدة البرد، فمعناه: باردة.

وقيل: إنه من قولك: صَرَّ يَصِرُّ: إذا صَوَّت، فمعناه: لها صوت هائل.

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ معناه: من النَّحْس، وهو ضد السَّعْد.

وقيل: شديدة البرد.

وقيل: متتابعة.

والأول أرجح.

وروي أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء.

وقرئ ﴿نَّحْسَاتٍ﴾ بإسكان الحاء وكسرها:

فأما الكسر: فجمع نَحْس، وهو صفة.

وأما الإسكان: فتحفيف من الكسر، أو صفة على وزن فَعْلٍ، أو وصف

بالمصدر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي: بينا لهم، فهو بمعنى البيان، لا بمعنى الإرشاد.

[وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿١٥﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَإِلَيْنَا مَتَوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِينُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَيْنِ ﴿١٦﴾ وَفَضَّلْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَسْنَاهُ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿١٧﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعُونَ بعنف.

﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ يعني: الجلود المعروفة.

وقيل: هي كناية عن الفروج.

والأول أظهر.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ الآية؛ يحتمل أن يكون: من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة.

وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تقدرُوا أن تستروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم، فلم يمكنكم احتراص من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهذا أرجح؛ لأنساق ما بعده معه، ولما جاء

في الحديث الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : «اجتمع ثلاثة نفر قرشيان^(١) وثقفى، أو ثقفيان وقرشي^(٢)، قليلُ فقه قلوبهم، كثيرُ شحم بطونهم، فتحدّثوا بحديث، فقال أحدهم : أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر : إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر : إن كان يسمع منّا شيئاً فإنه يسمعه كلّ، فنزلت الآية^(٣) .

﴿أَزْدَنُكُمْ﴾ أي : أهلككم ؛ من الرّدَى بمعنى الهلاك .

﴿وَلِنْ يَسْتَعِيبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العُتْبَى بمعنى الرضا ؛ أي : إن طلبوا العُتْبَى ليس فيهم من يُعطّاها .

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ أي : يسرنا لهم قرناء سوء ؛ من الشياطين وغواة الإنس .

﴿فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ما تقدّم من أعمالهم ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ما هم عازمون عليه .

أو ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة ، والتكذيب بها .

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي : سبق القضاء بعذابهم .

﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي : في جملة أمم .

وقيل : ﴿فِي﴾ بمعنى : «مع» .

(١) في ج، د، هـ : «قرشيان» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٢) في أ، ج، د، هـ : «وقريشي» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ إِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ اضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامًا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكِ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٧٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٧١﴾ نَزَّلَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٧٢﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله .

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ المعنى : لا تسمعوا إليه ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات ، وإنشاد الشعر ، وشبه ذلك ؛ حتى لا يسمعه أحد .
وقيل : معناه : قفوا فيه وعيُّوه .

﴿أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ اضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم ، فقولهم مستقبلٌ ذِكْر بلفظ الماضي ؛ لتحققه .

ومعنى ﴿الَّذِينَ اضَلَّانَا﴾ : كلُّ من أغوانا من الجن والإنس .

وقيل : المراد : ولد آدم الذي سنَّ القتل ، وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان ، وهذا باطل ؛ لأن ولد آدم مؤمنٌ عاصٍ ، وإنما طلب هؤلاء من أضلَّهم بالكفر .

﴿نَحْتًا أَقْدَامًا﴾ أي : في أسفل طبقة من النار .

﴿ثُمَّ اسْتَغْفِرُوا﴾ قال أبو بكر الصديق: المعنى: استقاموا على قولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فصَحَّ إيمانهم، ودام توحيدهم.

وقال عمر بن الخطاب: المعنى: استقاموا على الطاعة وترك المعاصي. وقول عمر أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح؛ لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام»^(١).

وقال بعض الصوفية: معنى ﴿اسْتَغْفِرُوا﴾: أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيها.

﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: عند الموت.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة.

﴿مَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تطلبون.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠).

[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ أَنتَكِبُوا فَإِلَّا الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرٌ مِّن بَاقٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُم بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤٥﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٦﴾ مَا يَقُولُكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَفَعْجَبٌ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٨﴾].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي : لا أحد أحسن قولاً منه ، ويدخل في ذلك : كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم .

وقيل : المراد محمد ﷺ .

وقيل : المؤذنون ، وهذا بعيد ؛ لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون في العموم .

﴿وَمَا يَلْقَاهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله :
﴿أَدْفَعْ بِآلِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي : حظ من العقل والفضل .

وقيل : حظ عظيم في الجنة .

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ «إن» شرطية دخلت عليها «ما» الزائدة .

ونزغ الشيطان : وساوسه وأمره بالسوء .

﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ؛ لأن
جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث ، أو كالواحدة المؤنثة^(١) .

وقيل : إنما يعود على الشمس والقمر ، وجمعهما ؛ لأن الاثنين جمع ،
وهذا بعيد .

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني : الملائكة .

﴿لَا يَسْمُونَ﴾ أي : لا يملون .

﴿الْأَرْضَ خَشِعَةً﴾ عبارة عن قلة النبات .

﴿أَهْرََّتْ﴾ ذكر في «الحج»^(٢) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاَهَا لَمْ يَأْتِ الْمَوْتُ﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث .

(١) فيقال : خلقهن ، أو خلقها ، كما يقال : الأعلام بريتها وبريتهن . انظر : الكشف
(٦١٠ / ١٣) .

(٢) انظر (١٧٩ / ٣) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب.

وقيل: باللغو فيه، حسبما تقدم في السورة.

﴿أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ الآية؛ قيل: إن المراد بالذي يُلقى في النار: أبو جهل، وبالذي يأتي آمناً: عثمان بن عفان.

وقيل: عمار بن ياسر.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد، لا إباحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ الذكر هنا: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، تقديره: ضلُّوا، أو هلكوا.

وقيل: خبرها: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، وذلك بعيد.

﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ عَزِيزٌ﴾ أي: كريم على الله.

وقيل: منيع من الشيطان.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدمه ما يبطله، ولا يأتي بعده ما يبطله.

والمراد على الجملة: أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

﴿مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسول من قبلك.

والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قال الأمم المتقدمون لرسولهم، فالمراد على هذا: تسلية النبي ﷺ بالتأسي.
والمراد على القول الأول: أنه ﷺ^(١) أتى بما جاءت به الرسل، فلا تُنكر رسالته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل:

أن يكون مستأنفاً.

أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة.

وذلك على القول الأول^(٢).

وأما على القول الثاني: فهو مستأنف منقطع مما قبله.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ الأعجمي: الذي لا يفصح

ولا يبين كلامه، سواء كان من العرب أو من العجم.

والعجمي: الذي ليس من العرب، فصيحاً كان أو غير فصيح.

ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن.

فالمعنى: أنه لو كان أعجمياً لطنعوا فيه وقالوا: هلاً كان مُبيناً؟، فظهر

أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان.

﴿عَجَبٌ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار.

(١) في زيادة: «إنما».

(٢) أي: هذا الاحتمال إنما يجيء على القول الأول من القولين الواردين في معنى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾.. الآية.

والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا : أقرآن أعجمي ، ورسول عربي ، أو مُرْسَلٌ إليه عربي ؟

وقيل : إنما طعنوا فيه ؛ لما فيه من الكلمات العَجَمِيَّة ، كسَجَّين وإِسْتَبْرَق ، فقالوا : أقرآن عَجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ ؟ ، أي : مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجري على قراءة ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ بفتح العين .

﴿فَإِذَا دَانِهِمْ وَقُرْ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن ، فكأنهم صمُّ لا يسمعون .

وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له .

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : عبارة عن قلة فهمهم ، فشبههم بمن يُنادَى من مكان بعيد ، فهو يسمع الصوت ولا يفقه ما يُقال .

والثاني : أنه حقيقة في يوم القيامة ؛ أي : ينادون من مكان بعيد ؛ لسمع أهل الموقف توبيخهم .

والأول أليق بالكنايات التي قبلها .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَعَدْتَكُمَا مِنْ مَتْنٍ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿١٨﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْتَوِسُ قُنُوطٌ ﴿١٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلْيُنَبِّئَنِّي الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَاجَانٍ. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ. مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٢٢﴾ سَرُبُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحْبِطُونَ.]

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها.

﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِم - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوف والمراد به: يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخ لهم.

وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال : الشركاء الذين جعلتم لي .

﴿قَالُوا ءَآذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَيْءٍ﴾ المعنى : أنهم قالوا : أعلمناك ما منا من يشهد^(١) اليوم بأن لك شريكاً ؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم .

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي : ضلَّ عنهم شركاؤهم ، بمعنى : أنهم لم يروههم حينئذ ، ف ﴿مَا﴾ على هذا موصولة .

أو : ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك ، ف ﴿مَا﴾ على هذا مصدرية .

﴿وَوَطَّنُوا مَا لَهُم مِّن نَّجِيصٍ﴾ الظنُّ هنا : بمعنى اليقين ، والمحيص : المهرب ، أي : علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب .

وقيل : يوقف على ﴿وَوَطَّنُوا﴾ ، ويكون ﴿مَا لَهُم﴾ استثناءً ، وذلك ضعيف .

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي : لا يملُ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك .

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة .

وقيل : في غيره من الكفار .

واللفظ أعم من ذلك .

(١) في ب ، ج ، د : «من شهيد» .

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقِّي الواجب لي وليس تفضُّلاً من الله، ولا يقول هذا إلا كافر، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. وقوله: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ معناه: إن بُعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرُّصٌ وتكبرٌ.

وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿وَنَا بِحَاثِيَةٍ﴾ ذكر في «الإسراء»^(١).

﴿دُعَاءِ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير.

وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذمِّ لها^(٢).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية؛ معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به؛ أستم في شقاق بعيد؟ فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم.

﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الآفاق: هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم: هي فتح مكة، فجميع ذلك وعدٌ للمسلمين بالظهور، وتهديدٌ للكفار، واحتجاج^(٣) عليهم بظهور الحق وخمول^(٤) الباطل.

(١) انظر ٨٢٧/٢.

(٢) في ب، ج: «لهم».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «فجمع ذلك وعداً للمسلمين بالظهور وتهديداً للكفار واحتجاجاً».

(٤) في د: «وخمول».

والثاني: أن الآيات في الآفاق: هي ما أصاب الأمم المتقدمين من الهلاك، وفي أنفسهم: يوم بدر.

والثالث: أن الآيات في الآفاق: هي خلق السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم: خَلْقَةُ بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: ﴿سَرَّيْهِمْ﴾ بسين الاستقبال، وقد كانت السماء وخلقُ بني آدم مرئيةً. والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن و^(١)الإسلام.

﴿مُحِيطٌ﴾ أي: محيطٌ بعلمه وقدرته وسلطانه.



(١) في أ: «أو».

﴿ سورة الشورى ﴾

[﴿حَمْدٌ ① عَسَقٌ ②﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③﴾
لَمْ يَلَمْسْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
الْفُتُورَ الرَّجِيمُ ⑤﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ⑥﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ
الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي السَّعِيرِ ⑦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ⑧﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾].

﴿عَسَقٌ﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدّم في «البقرة»^(١).

وحكى الطبري أن رجلاً سأل ابن عباس عن ﴿حَمْدٌ ① عَسَقٌ ②﴾،
فأعرض عنه، فقال حذيفة: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجلٍ من
أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينةً على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله
بها في آخر الزمان^(٢). والرجل على هذا أبو جعفر المنصور، والمدينة

(١) انظر (١/٢٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٤).

بغداد، وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يُخسف بها^(١).

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف، والإشارة بـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى ما تَضَمَّنَه القرآن أو^(٢) السورة.

وقيل: الإشارة لقوله: ﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَىٰ ۝٢﴾؛ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظرٌ.

﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم ﴿اللَّهُ﴾ فاعلٌ بـ ﴿يُوحَىٰ﴾.

وأما على قراءة ﴿يُوحَىٰ﴾ بالفتح فهو فاعلٌ بفعل مضمَر، دلٌّ عليه ﴿يُوحَىٰ﴾، كأنَّ قائلًا قال: «من الذي أوحى؟» فقيل: «الله».

﴿يَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وتعظيم جلاله.

وقيل: من قول الكفار: «اتخذ الله ولدًا»، فهي كآية التي في «مريم».

قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردودٌ؛ لأن الله تعالى لا يوصف به^(٣).

﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير للسموات، والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل.

وقيل: الضمير للأرضين، وهذا بعيد.

(١) لعله يقصد الحديث الذي عند مسلم (٢٩٠١): «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب...» الحديث.

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) المحرر الوجيز (٧/٥٠٠).

وقيل: الضمير للكفار، كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن، وهذا أيضًا بعيد.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر^(١) للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وقيل: إن ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ نسخ هذه الآية، وهذا باطل؛ لأن النسخ لا يدخل في الأخبار.

ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلبَ الحِلْمِ عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يُعاجَلُوا بالعقوبة، فيكون عامًا.

فإن قيل: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ الآية بما قبلها؟

فالجواب: أنا إن فسرنا تفطّر السموات بأنه من عظمة الله؛ فيكون تسبيح الملائكة أيضًا تعظيمًا له، فيتنظم الكلام، وإن فسرنا تفطّرَها بأنه من كفر بني آدم؛ فيكون تسبيح الملائكة تنزيهاً لله تعالى عن كفر بني آدم، وعن أقوالهم القبيحة.

﴿أَمْ أَلْقَى﴾ هي مكة، والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليه ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: من الناس.

﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يجتمعون فيه.

﴿أَمْ أَتَّخِذُوا﴾ منقطع، والأولياء هنا: المعبودون من دون الله.

(١) في أ، هـ: «يستغفرون».

[وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا كُنَّا حُجَّةً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جُمُوعُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٨﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِقُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢٠﴾].

﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي : ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله ؛ بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق .

أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ ، كقوله : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] .

﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الإناث.

﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد: الإناث، أو الأصناف.

﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ معنى ﴿يَذَرُوكُمْ﴾: يخلقكم نسلًا بعد نسل، وقرنًا بعد قرن.

وقيل: يكثركم.

والضمير المجرور يعود على الجعل الذي تضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول: كلمتُ زيدًا كلامًا أكرمه فيه.

وقيل: الضمير للتزويج الذي دلَّ عليه قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾.

وقال الزمخشري: تقديره: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا^(١).

والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ خطابٌ للناس والأنعام، غلب فيه العقل على غيرهم.

فإن قيل: لم قال ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ وهلا قال: «يذرؤكم به»؟

فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبت والتكثير. قاله الزمخشري^(٢).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

(١) الكشف (٢١/١٤).

(٢) الكشف (٢١/١٤).

قال كثيرٌ من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى: ليس مثله شيء. وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة، ولكن وضع ﴿مِثْلِهِ﴾ موضع «هو»، والمعنى: ليس كهو شيء^(١).

قال الزمخشري: وهذا كما تقول: «مثلك لا يبخل»، والمراد: أنت لا تبخل، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته^(٢). ﴿مَقَالِدُ﴾ قد ذكر^(٣).

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله: ﴿أَنَّ أَقِيمُوا الَّذِينَ﴾ يعني: إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة.

وأما الأحكام الفروعية؛ فاختلفت فيها الشرائع، فليست تراد هنا.

﴿أَنَّ أَقِيمُوا﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنَّ﴾:

في موضع نصب، بدلًا من قوله: ﴿مَا وَصَّى﴾.

أو في موضع خفض، بدلًا من ﴿بِهِ﴾.

أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمرة.

أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب.

(١) تفسير الطبري (٤٧٦/٢٠).

(٢) الكشاف (٢٣/١٤).

(٣) انظر (٧٦٣/٣).

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي : صَعِبَ الإسلامُ على المشركين .
 ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ : يعود على الله تعالى .
 وقيل : على الدين .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني : أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم .

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ﴾ يعني : القضاء السابق بأن لا يُفصل بينهم في الدنيا .

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني : المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى .

وقيل : يعني : العرب ، و﴿الْكِتَابَ﴾ على هذا : هو القرآن .
 ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الضمير : للكتاب ، أو للدين ، أو لمحمد ﷺ .
 ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي : إلى ذلك الذي شرع الله ادْعُ الناسَ ، فاللام بمعنى «إلى» .

والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ :

إلى قوله : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ .

أو إلى قوله : ﴿مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ .

وقيل : إن اللام بمعنى : «من أجل» ، والإشارة إلى التفرُّق والاختلاف ؛
 أي : لأجل ما حدث من التفرُّق ادْعُ إلى الله .

وعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ معطوفاً.

وعلى الأول: يكون مستأنفاً، فيوقف على ﴿فَادْعُ﴾.

﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي: دُم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ﴾ الضمير للكفار، و﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني: العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه. ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرت أن أحملكم على الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله. ويعني: كفار قريش.

وقيل: اليهود.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْجَبَ لَمْ﴾ الضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه.

وقيل: يعود على الدين.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أحسن وأظهر.

﴿جُنُوهٌ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة.

﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني: جنس الكتب^(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو متضمناً الحق.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ ابن عباس وغيره: يعني: العدل، ومعنى إنزال العدل: إنزال الأمر به في الكتب المنزلة.

وقيل: يعني: الميزان المعروف.

فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟

فالجواب: أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء ﴿قَرِيبٌ﴾ بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها؛ استهزاءً بها، وتعجيزاً للمؤمنين.

﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [مود: ٦] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره، والزائد خاص بمن شاء الله.

(١) في ب، هـ: «الكتاب».

[مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ①] أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ② تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ③ ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ④ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِمَتَّ اللَّهُ اللَّبِطَ وَيُخَوِّقُ الْخَوَّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑤ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ⑥ وَنَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَبَرِّدُومًا مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ⑦ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ⑧ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ⑨ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَآئِبَةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ⑩].

﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.

وهو مستعار من حرث الأرض؛ لأن الحارث^(١) يعمل وينتظر المنفعة مما^(٢) عمل.

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب.

(١) في أ: «الحراث».

(٢) في أ، د: «بما».

﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي : تؤتته منها ما قُدِّر له ؛ لأن كل أحدٍ لا بد أن يصل إلى ما قُسم له .

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ هذا ^(١) للكفار ، أو لمن كان يريد الدنيا خاصةً ، ولا رغبة له في الآخرة .

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ .

والشركاء : الأصنام وغيرها .

وقيل : الشياطين .

﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في ﴿شَرَعُوا﴾ : للشركاء وفي ﴿لَهُمْ﴾ : للكفار .

وقيل : بالعكس .

والأول أظهر .

﴿لَمْ يَأْذَنْ﴾ بمعنى : لم يأمر .

والمراد : ما شرعوا من البواطل ^(٢) في الاعتقادات ، وفي الأعمال ، كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي : لولا القضاء السابق بأن لا يُقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها .

(١) في ب ، ج : «تهديد» .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «الباطل» .

﴿تَرَى الْقُلُوبَ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى القرابة، و﴿فِي﴾ بمعنى: «من أجل»، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.

فالقصد على هذا: استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطنٌ إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى الأقارب؛ أي: ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا^(١) أقاربي وتحفظوني فيهم. والقصد على هذا: وصية بأهل البيت.

الثالث: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم.

والقصد على هذا: وصية بصلة الأرحام.

الرابع: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ التقرب إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته.

والاستثناء على القول الثالث والرابع: منقطع.

(١) في ب: «أن لا تودوا».

وأما على الأول والثاني :

فَيَحْتَمِلُ الانْقِطَاعُ ؛ لِأَنَّ الْمَوَدَّةَ لَيْسَتْ بِأَجْرٍ ^(١) .

وَيَحْتَمِلُ الْإِتِّصَالَ عَلَى الْمَجَازِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ ، فَجَعَلَ الْمَوَدَّةَ كَالْأَجْرِ ^(٢) .

﴿يَقْرِفَ﴾ أي : يكتسب .

﴿زَرَدَ لَمْ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني : مضاعفة الثواب .

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ .

﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ في المقصد بها ^(٣) قولان :

أحدهما : أَنَّهُ رَدٌّ عَلَى الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ : ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، أَي : لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ، لكنك لم تفتري على الله كذبًا ؛ فقد هداك وسددك .

والآخر : أَن الْمُرَادَ : إِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَقْوَالِ الْكُفَّارِ ، وَاحْتِمَالِ أَذَاهُمْ .

﴿وَسَمِعَ اللَّهُ أَلْفَاطِلَ﴾ هَذَا فِعْلٌ مُسْتَأْنَفٌ غَيْرُ مُعْطُوفٍ عَلَى مَا قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مُجْزُومٌ ، وَهَذَا مَرْفُوعٌ ؛ فَيُوقَفُ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَيَبْتَدَأُ بِهِ .

(١) في أ : «بأجرة» .

(٢) في أ : «كالأجرة» .

(٣) في ب ، ج ، د : «بهذا» .

وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت.

والآخر: أنه وعدٌ لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر، ويحقّ الحق وهو الإسلام.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا: بمعنى «من»، وكأنه قال: التوبة الصادرة عن عباده.

وقبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر، فهي مقبولة قطعًا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد، فهي غير مقبولة حتى يردّ المظالم أو يستحلّ منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح: أنها مقبولة؛ بدليل هذه الآية.

وقيل: هي في المشيئة.

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة: على حسب ما ذكرنا.

وأما العفو دون التوبة: فهو على أربعة أقسام:

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلًا.

والثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وهو حاصل باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر:

فمذهب أهل السنة: أنه في المشيئة.

ومذهب المعتزلة: أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يُجِيبُهُمْ فيما يطلبون منه.

وقال الزمخشري: أصله: «يستجيب للذين آمنوا» فحذف اللام^(١).

والثاني: أن معناه: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فاعل؛ أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتِّباع دينه.

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، و«استفعل» على هذا: على بابه من الطلب.

والأول أرجح؛ لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادةً على الاستجابة

فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان^(١).
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض
وطغوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان.

وقال بعض الصحابة: فينا نزلت؛ لأننا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيئناها.
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل لعمره ﷺ: اشتد القحط
وقنط الناس، فقال: «الآن يُمطرون»^(٢)، وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه
قوله ﷺ: «اشتدي أزمة تنفرجي»^(٣).

﴿وَنَبَشِّرُ رَحْمَتَهُ﴾ قيل: يعني: المطر، فهو تكرارٌ للمعنى الأول بلفظ آخر.
وقيل: يعني: الشمس.

وقيل بالعموم.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا إشكال أن الدواب في الأرض، وأما في
السماء:

فقليل: يعني: الملائكة.

(١) ذكر ابن عطية في تفسيره (٥١٦/٧) قال: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: هي الشفاعات
في المؤمنين والرضوان». ولم أقف على إسناد له.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١١/٢٠).

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ١١٦): «حديث: اشتدي أزمة تنفرجي:
العسكري في الأمثال، والدليمي، والقضاعي، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا
الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ
يقول، وذكره، والحسين كذاب».

وقيل: يمكن أن يكون في السماء دوابٌ لا نعلمها نحن.

وقيل: المعنى: أنه بئ في أحدهما، فذكر الاثنين، كما تقول: «في بني فلان كذا» وإنما هو في بعضهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد: جمع الخلق للحشر يوم القيامة.

❦ ❦ ❦

[وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٨﴾ أَوْ يُوبِقْهُمْ يَمَاسًا يَكْسِبُ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٠﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْأَلَامِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٤﴾ وَجَزَاؤُا سِنئَةٍ سِنئَةً مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٧﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٨﴾].

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى : أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب ، قال رسول الله ﷺ : « لا يصيب ابن آدم خدشٌ عودٍ أو عشرةٌ قدم ولا اختلاجٌ عرقٍ إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر »^(١).

وقرئ ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ بغير فاء ، على أن يكون ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ بمعنى : «الذي» .

وقرئ بالفاء على أن يكون ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ شرطاً .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٣/٢٠) .

﴿بِمُعْجِزَاتِكَ﴾ قد ذكر^(١).

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية، وهي السفينة.

﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ جمع علم، وهو الجبل.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الضمير في ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ للجواري، وفي ﴿ظَهْرِهِ﴾ للبحر؛ أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر.

فالمقصد: تعديد النعمة في إرسال الرياح، أو تهديد بإسكانه.

﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ عطف على ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، ومعنى ﴿يُوقِفَهُنَّ﴾: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة، والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبُوا﴾ لرُكَّابها من الناس.

والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجِدُّونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ أي: يعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله.

وقرى ﴿وَيَعْلَمَ﴾:

بالرفع: على الاستئناف.

وبالنصب، واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصبٌ بإضمار «أَنْ» بعد الواو؛ لما وقعت بعد الشرط والجزاء؛ لأنه غير واجب.

وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ؛ فلا ينبغي أن يُحمَل القرآن عليه^(١).

والثاني قول الزمخشري: إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: «لَيَنْتَقِمَ منهم ويعلم»، قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن، ومنه قوله: ﴿وَلَنَجْجِلكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]^(٢).
﴿كَتَبَ الْإِثْمَ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»^(٣).

وقيل: كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هو^(٤) الزنا.
واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني: الأنصار؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان.

ويظهر لي أن هذه الآيات إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين ﷺ؛ لأنه بدأ أولاً بصفات أبي بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب، ثم صفات عثمان بن عفان، ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمع هذه الأوصاف، ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك.
فأما صفات أبي بكر: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وإنما

(١) الكشاف (٧٠/١٤-٧١).

(٢) الكشاف (٧٠-٦٩).

(٣) انظر (٤٦/٢).

(٤) في أ: «هي».

جعلنا هذا صفة أبي بكر وإن كان جميعهم متصفاً بها ؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره ، قال رسول الله ﷺ : «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح^(١)»^(٢) ، وقال ﷺ : «أنا مدينة الإيمان ، وأبو بكر بابها»^(٣) ، وقال أبو بكر : «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٤) ، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان .

وأما صفات عمر : فقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَخْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ ؛ لأن ذلك هو التقوى ، وقد قال ﷺ : «أنا مدينة التقوى ، وعمر بابها»^(٥) ، وقوله : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الباقية : ١٤] نزلت في عمر .

وأما صفات عثمان : فقوله : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ؛ لأن عثمان لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام تبعه ، وبادر إلى الإسلام وقوله : ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل ، وفيه نزلت : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر : ٩] الآية . وروي أنه كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وقوله : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ؛ لأن عثمان ولي الخلافة بالشورى ، وقوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ،

(١) في ب ، ج : «لرجحهم» .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٣٥ / ٥) مرفوعاً ، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٤١٨ / ١) من قول عمر بن الخطاب ؓ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه .

ويكفيك أنه جهّز جيش العسرة.

وأما صفات عليّ: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٢٩)؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصاراً للحق، وانظر كيف سمّى رسول الله ﷺ المقاتلين لعليّ بالفئة الباغية، حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»^(١)، فذلك هو البغي الذي أصابه.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، وأسقط حق نفسه ليُصلح أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن: «إن ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٣١)، إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم: «أنهم جعلوا عباد الله حَوَلًا، ومال الله دُوَلًا»^(٣)، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي ابن أبي طالب على منابرهم.

وقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآية؛ إشارة إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضرّ والذلّ طول مدّة بني أمية.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٥٨).

﴿وَحَرِّزُوا سِنْتَهُ سِنْتَهُ مِثْلَهَا﴾ سَمَّى الْعُقُوبَةَ بِاسْمِ الذَّنْبِ، وَجَعَلَهَا مِثْلَهُ^(١)؛
تَحَرُّزًا مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ^(٢).

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْمَظْلُومَةِ أَفْضَلُ
مِنَ الْإِنْتِصَارِ؛ لِأَنَّهُ ضَمِنَ الْأَجْرَ فِي الْعَفْوِ، وَذَكَرَ الْإِنْتِصَارَ بِلَفْظِ الْإِبَاحَةِ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ﴾^(٣).
وَقِيلَ: إِنْ الْإِنْتِصَارَ أَفْضَلُ.

وَالأولُ أَصَحُّ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ ذَكَرَ الْإِنْتِصَارَ فِي صِفَاتِ الْمَدْحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٤) وَالْمَبَاحُ لَا مَدْحَ فِيهِ وَلَا ذَمًّا؟
فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَبَاحَ قَدْ يُمدَحُ؛ لِأَنَّهُ قِيَامٌ بِحَقٍّ لَا يَبَاطِلُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَدْحَ الْإِنْتِصَارِ لِكَوْنِهِ كَانَ بَعْدَ الظُّلْمِ تَحَرُّزًا مِمَّنْ بَدَأَ بِالظُّلْمِ،
فَكَانَ الْمَدْحُ إِنَّمَا هُوَ بِتَرْكِ الْإِبْتِدَاءِ بِالظُّلْمِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَسَبَمَا ذَكَرْنَا
فَإِنْتِصَارَهُ مِمْدُوحٌ^(٥)؛ لِأَنَّ قِتَالَ أَهْلِ الْبَغْيِ وَاجِبٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ
بَغْيٍ﴾ [الحجرات: ٩].

(١) فِي أ، ب، ج: «مِثْلَهَا».

(٢) فِي أ: «عَلَيْهِ».

(٣) فِي ب، ج، د: «مَحْمُود».

[وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكَيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ تُضَيِّبُهُمْ سِينَتُهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَنْهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾].

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار.

﴿خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ﴾ عبارة عن الذل والكآبة.

﴿مِنَ الدَّلِّ﴾ يتعلق:

بـ ﴿خَشِيعِينَ﴾.

أو بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾، وعلى هذا عوّل الزمخشري^(١).

﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارة عن الذل؛ لأن نظر الدليل بمهانة واستكانة.

والآخر: أنهم يحشرون غُميًا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم، واستبعد هذا ابن عطية^(١) والزمخشري^(٢).

والتَّظَرُّفُ يَحْتَمِلُ:

أن يريد به: العين.

أو يكون مصدرًا.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يتعلّق بـ ﴿قَالَ﴾، أو بـ ﴿خَسِرُوا﴾.

﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام الذين آمنوا.

أو مستأنفًا من كلام الله تعالى.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في «الروم»^(٣).

﴿مَنْ نَكَّرَ﴾ أي: إنكار، يعني: لا تنكرون أعمالكم.

﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً﴾ قدّم الإناء اعتناءً بهنّ، وتأنيساً لمن وهبهنّ^(٤) له.

(١) المحرر الوجيز (٧/٥٢٧).

(٢) الكشاف (١٤/٨٢).

(٣) انظر (٣/٤٩٨).

(٤) في ب: «وَهَبْنَ».

قال واثلة بن الأسقع: مِنْ يُمْنِ المرأةِ تَبْكِيْرُها بِأُنْثَى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء ﷺ، فشعيب ولوط كان لهما إناثٌ دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمع الإناث والذكور، ويحيى كان عقيماً.

والظاهر: أنها على العموم في جميع الناس؛ إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذُكر.

وفي هذه الآية من أدوات البيان: التقسيم.

﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية؛ بين الله تعالى فيها كلامه لعباده، وجعله على ثلاثة أوجه:

أحدها: الوحي المذكور أولاً، وهو الذي يكون بإلهام أو بمنام.

والآخر: بأن يُسمِعه كلامه من وراء حجاب.

والثالث: الوحي بواسطة الملك، وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا﴾ يعني: ملكاً، ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ إلى النبي، وهذا خاصٌّ بالأنبياء.

والثاني خاصٌّ بموسى، وبمحمد صلى الله عليهما وسلم؛ إذ كلمه الله ليلة الإسراء.

وأما الأول؛ فيكون للأنبياء والأولياء كثيراً، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه: منامات الناس.

﴿أَوْ يُرْسِلْ رَسُولًا﴾ قرئ ﴿يُرْسِلْ﴾ و﴿يُوحِي﴾ :

بالرفع : على تقدير : أو هو يرسل .

وبالنصب : عطفًا على ﴿وَحَيًّا﴾ ؛ لأن تقديره : «أن يوحى» فعطفت «أن» على «أن» المقدرة .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا : القرآن ، والمعنى : مثل هذا الوحي ، وهو بإرسال ملك ، أوحينا إليك القرآن .

والأمر هنا يحتمل :

أن يكون واحد الأمور .

أو يكون من الأمر بالشيء .

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا أَلَايْمُنُ﴾ المقصد بهذا شيان :

أحدهما : تعداد النعمة عليه ﷺ ، بأن علمه الله ما لم يكن يعلم .

والآخر : احتجاج على نبوته ؛ لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ، ولا تعلمه من أحد .

فإن قيل : أمّا كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه ، وأمّا الإيمان ففيه إشكال ؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم^(١) ؟

فالجواب : أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة ، وإنما كُمل له معرفتها

(١) في د : «بعثهم» .

بعد بعثه ، وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك ، فالإيمان هنا يعني به : كمال المعرفة وهي التي حصلت ^(١) له بالنبوة .
﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن .

(١) في ب ، ج : «جُعلت».

﴿ سورة الزخرف ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾
وَلَئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ
كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ
كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ النَّارِ الْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ ١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ
رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ١٣﴾
وَلِنَّا إِلَهُ وَرَبُّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾].

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ يعني : القرآن .

و﴿الْمُبِينِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى :

البين .

أو المبين لغيره .

﴿وَلَئِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾ : اللوح المحفوظ .

والمعنى : أن القرآن وُصِفَ في اللوح بأنه عليّ حكيم .

وقيل : المعنى : أن القرآن نُسِخَ بجملته في اللوح المحفوظ ، ومنه كان جبريل ينقله ، فوصفه الله بأنه عليّ حكيم ؛ لكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ .
والأول أظهر وأشهر .

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : أنمستك عنكم الذكر ؟ .

و﴿ نَضْرِبُ ﴾ من قولك : أضربتُ عن كذا : إذا تركته .

و﴿ الذِّكْرَ ﴾ يحتمل أن يريد به : القرآن ، أو التذكير والوعظ .

و﴿ صَفْحًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه بمعنى الإعراض ، تقول : صفحتُ عنه : إذا أعرضتُ عنه ، فكأنه قال : أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم ؟

وإعراب ﴿ صَفْحًا ﴾ على هذا :

مصدرٌ من المعنى .

أو مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال .

والآخر : أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول : أنمستك عنكم الذكر عفواً عنكم وغفراناً لذنوبكم ؟

وإعراب ﴿ صَفْحًا ﴾ على هذا :

مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال .

﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ :

بكسر الهمزة : على الشرط ، والجواب في الكلام الذي قبله .

وقرئ بالفتح : على أنه مفعول من أجله .

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير لقريش ، وهم المخاطبون بقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ .

فإن قيل : كيف قال : ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ على الشرط بحرف «إِنْ» التي معناها الشك ، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ؟

فالجواب : أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف ، وتجهيلهم في ارتكابه ، فكأنه شيء لا يقع من عاقل ، فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع .

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : تقدّم في القرآن ذكرُ حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا .

﴿وَلَيْنَ سَاءَ لَتَهُمْ﴾ الآية ؛ احتجاج على قريش ؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض ، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره .

ومقتضى جوابهم أن يقولوا : «خلقهن الله» ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم .

وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله، لا من كلامهم.

﴿مِهَادًا﴾ أي: فراشا، على وجه التشبيه.

﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقا تمشون فيها.

﴿مَاءً يَاقِدِرُ﴾ أي: بمقدار ووزن معلوم.

وقيل: معناه: بقضاء.

﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيل للخروج من القبور؛ بخروج النبات من الأرض.

﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني: أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الضمير يعود على ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر: بالقلب، أو باللسان.

ويحتمل أن يريد:

النعمة في تسخير هذا المركوب.

أو النعمة على الإطلاق.

وكان بعض السلف إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم

يقول: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.

﴿وَمَا كُنَّا لِمُفْرِنِينَ﴾ أي: مُطِيقِينَ وغالِبِينَ.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر.

فإن قيل: ما مناسبة هذا للركوب؟

فالجواب : أن راكب السفينة أو الدابة متعرّضٌ للهلاك بما يخاف من غرق السفينة ، أو سقوطه عن الدابة ، فأمر بذكر الحشر ؛ ليكون مستعدًّا للموت الذي قد تعرّض له .

وقيل : يذكر عند الركوب ركوب الجنّاة .



[وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أَخَذَ مِنْهَا بَنَاتٍ وَاصْفَانَا بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَتَشَوُّوا فِي الْحَلِیَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنْسَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْنُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ عَلَّمْتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَمُفْتِهِمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُنْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جُنُودُكُمْ يَأْهَدُونَ وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي ﴿لَهُ﴾ لله تعالى.

وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمُ﴾ الآية.

والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بنات الله، فكانهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظاً دون سائر عباده.

وقال الزمخشري: معناه: أنهم جعلوا الملائكة جزءاً منه وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً منه^(١).

وقال بعض اللغويين: الجزء في اللغة: الإناث، واستشهد على ذلك بيت شعر.

قال الزمخشري: وذلك كذبٌ على العرب، والبيت موضوع^(١).

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ﴿أَمْ﴾ للإنكار والردُّ على الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله.

ومعنى ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾: خصَّكم؛ أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهنَّ^(٢) أدنى، وأصفاكم بالبنين وهم أعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بُشِّرَ بالأنثى. وقد ذكر المعنى في «النحل»^(٣).

والمراد: أنهم يكرهون البنات؛ فيكف ينسبونها إلى الله؟ تعالى الله عن قولهم.

﴿أَوْ مَن يَنْشُؤُ فِي الْحَلِيَّةِ﴾ المراد بـ ﴿مَن يَنْشُؤُ فِي الْحَلِيَّةِ﴾: النساء.

والحلية: هي الحلِيُّ من الذهب والفضة، وشبه ذلك.

ومعنى يَنْشَأُ فيها: يكبر وينبت في استعمالها.

وقرئ ﴿يُنَشَّؤُا﴾ بضم الياء وتشديد الشين: بمعنى يُربَّى فيها.

والمقصد: الردُّ على الذين قالوا: الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم لله من يَنْشَأُ في الحلية؟، وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى،

(١) الكشاف (١٤/١١٠).

(٢) في ب، ج: «وهذا».

(٣) انظر (٢/٧٥٥).

وهي قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني: أن الأنثى إذا خاصمت أو^(١) تكلمت لم تقدر أن تُبين حجتها؛ لنقص عقلها، وقلما تجد امرأة إلا تُفسد الكلام وتخلط المعاني، فكيف يُنسب لله من يتصف بهذه النقائص؟ وإعراب ﴿مَنْ يَنْشَأُ﴾:

مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أ جعلتم لله من ينشأ.

أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: أَوْ مَنْ يَنْشَأُ في الحلية خصصتم به الله. ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة:

أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد.

والآخر: أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين.

والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثًا.

وقرئ ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بالنون، والمراد به: قرب الملائكة وتشريفهم كقوله: ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرئ ﴿عِبَادٌ﴾ بالباء جمع عبد، والمراد به أيضًا: الاختصاص والتشريف.

﴿أَوْ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردٌّ على العرب في قولهم: إن الملائكة إناثٌ.

والمعنى: أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟

(١) في أ، د، هـ: أو.

﴿سَتَكُنُّبُ شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للكفار.

وفي ﴿عَبَدْنَاهُمْ﴾: للملائكة.

وقال ابن عطية: للأصنام^(١).

والأول أظهر وأشهر.

والمعنى: احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: أن قولهم بغير دليل وحجة، وإنما هو تخرُّص منهم.

﴿أَمْ أَمِيتَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن.

وهذا أيضًا ردٌّ عليهم؛ لكونهم ليس لهم كتاب يستمسكون^(٢) به.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي: على دين وطريقة.

والمعنى: أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم يقلدون آبائهم.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية؛ معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار آبائهم

بغير حجة؛ كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آبائهم بغير حجة، بل بمجرد التقليد المذموم.

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٠).

(٢) في ب، د: «يتمسكون».

﴿قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ﴾ هذا ردُّ على الذين اتبعوا آباءهم.

والمعنى: أتبعونهم ولو جئتم بدين أهدى^(١) من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم.

وقرئ: ﴿قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُكُمْ﴾، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم. وأما قراءة ﴿قُلْ﴾ بالأمر فهو خطابٌ لمحمد ﷺ، أمره الله أن يقول ذلك لقريش.

وقيل: هو للنذير المتقدم، أمره الله أن يقول ذلك لقومه.

والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضاً بين قصة المتقدمين فإن قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، كَافِرُونَ﴾ حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يعني: من المتقدمين.



(١) في ب، ج: «بأهدى».

[﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرَسَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٧١﴾ أَهَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ إِنَّا نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِيَهُمْ سُفْقًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَلِيُوشِيَهُمْ آيَاتِنَا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٧٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾].

﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء، وبراء في الأصل: مصدر، ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، كَعَدْلٍ وشبهه.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل:

أن يكون استثناء منقطعاً، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله.

أو يكون متصلاً، إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعراجه على هذا:

بدلٌ من ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فهو في موضع خفض.

أو منصوب على الاستثناء، فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، وقال مرة أخرى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾

[الشعراء: ٧٨] ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ يعود على إبراهيم عليه السلام .

وقيل : على الله تعالى .

والأول أظهر .

والضمير المؤنث المفعول يعود : على الكلمة التي قالها ، وهي : ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ، ومعناها : التوحيد ولذلك قيل : يعود على الإسلام لقوله : ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقيل : يعود على «لا إله إلا الله» .

والمعنى متقارب ، أي : جعل إبراهيم تلك الكلمة باقية في ذريته ؛ لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد .

والعقبُ : هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبداً .

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ الإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءَ﴾ إلى قريش .

وهذا الكلام متصل بما قبله ؛ لأن قريشاً من عقب إبراهيم عليه السلام .

فالمعنى : لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل مَتَّعْتُهُمْ بالنعم والعافية ، فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ، وهو محمد ﷺ .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾

لقريش .

والقريتان : مكة والطائف .

﴿مِنَ الْقَرِيبَيْنِ﴾ معناها : من إحدى القريبتين ، كقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) ؛ أي : من أحدهما .

وقيل : معناه : على رجلٍ من رجلين من القريبتين :

فالرجل الذي من مكة : الوليد بن المغيرة ، وقيل : عتبة بن ربيعة .

والرجل الذي من الطائف : عروة بن مسعود ، وقيل : حبيب بن عمير^(١) .

ومعنى الآية : أن قريشاً استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ ، واقترحوا
أن ينزل على أحد هؤلاء ، ووصفوه بالعظمة يعنون الرئاسة في قومه وكثرة
ماله ، فردَّ الله عليهم بقوله : ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني : أن الله يخصُّ
بالنبوة من شاء من عباده ؛ على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير
المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله : ﴿لَنْ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : كما قَسَمْنَا المعاش في الدنيا كذلك قَسَمْنَا المواهب
الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن
لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية .

﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التسخير في الخدمة ؛ أي : رفعنا
بعضهم فوق بعض لِيُخْدَمَ بعضهم بعضاً .

﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقيرٌ للعالم .

والمراد بـ ﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ هنا : النبوة .

(١) في د : «حبيب بن عمر» ، والذي في تفسير الطبري (٢٠/٥٨٠) : «حبيب بن عمرو بن
عمير الثقفي» .

وقيل : الجنة .

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية ؛ تحقير أيضاً للدنيا .

ومعناها : لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفاً من فضة ، وذلك ليهوان الدنيا على الله ، كما قال رسول الله ﷺ : «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة»^(١) ماء»^(٢) .

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج : الأدراج والسلالم^(٣) .

ومعنى ﴿يَظْهَرُونَ﴾ : يرتفعون ، ومنه : ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾

[الكهف : ٩٧] .

والشُرر : جمع سرير .

والزخرف : الذهب .

وقيل : أثاث البيت من الستور والنمازق ، وشبه ذلك .

وقيل : هو التزيق والنقش وشبه ذلك من التزيين ؛ كقوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس : ٢٤] .

❦ ❦ ❦

(١) في ج : «جرعة» .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) ، وابن ماجه (٤١١٠) .

(٣) ف أ ، د ، هـ : «والسلالم» .

[وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَبَصَدُونَ ﴿٢٧﴾ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ بَنَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٢٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٠﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِضُونَ ﴿٣٢﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الْآلِىَ وَعَذَابَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَسْيِكَ بِالَّذِى أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٣٦﴾].

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ ﴿يَعِشْ﴾ من قولك : عَشَى الرجل : إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا : ظلمة القلب والبصيرة .

وقال الزمخشري : يَعِشَى بفتح الشين : إذا حصلت الآفة في عينه ، ويعشُو بضم الشين : إذا نظر نظرة الأعشى ، وليس به آفة ^(١) ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك : عَمِيَ وتعمى .

فمعنى القراءة بالضم : يتجاهل ويجحد معرفته بالحق .

والأظهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر .

﴿ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ : قال الزمخشري : يريد به القرآن ^(٢) .

وقال ابن عطية : يريد به : ما ذكّر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر

(١) الكشف (١٤/١٣٩) .

(٢) الكشف (١٤/١٤٠) .

مضاف إلى الفاعل^(١).

ويحتمل عندي : أن يريد ذَكَرَ العبد لله .

ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يَسَّرَ الله له شيطاناً يكون له قريناً ، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان ، كما أن مَنْ دام على الذكر^(٢) تباعد عنه الشيطان .

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشيطان^(٣) ، وضمير المفعول في ﴿يَصُدُّوهُمْ﴾ لـ ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ ، وجمع الضميرين لأن المراد جمعٌ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَنتَا﴾ قرئ ﴿جَاءَ أَنتَا﴾ بضمير الاثنين ، وهما : مَنْ يعشو وشيطانه .

وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد ، وهو من يعشو .

والضمير في ﴿قَالَ﴾ : لمن يعشو ، وقيل : للشيطان .

﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يعني : المشرق والمغرب ، وغَلَبَ أحدهما في الثنية ، كما قيل : القمران .

(١) المحرر الوجيز (٧/٥٤٧) .

(٢) في د : «كما أن من تَمَادَى على الذكر ودام عليه» .

(٣) في ب ، ج ، د ، هـ : «للشياطين» .

والآخر: أنه يعني: المشرقين والمغربيين، وحذف «المغربيين»؛ لدلالة ﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾ عليه.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٣٩) هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التأسّي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه.

والفاعل بـ ﴿يَنْفَعُكُمْ﴾: قوله: ﴿أَنْكُرَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾، و﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: تعليلٌ معناه: بسبب ظلمكم.

وقيل: الفاعل مضمر، وهو التبرؤ^(١) الذي يقتضيه قوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿أَنْكُرَ﴾ على هذا تعليل.

والأول أرجح.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية؛ خطابٌ للنبي ﷺ.

والمراد بالصُّم والعُمي: الكفار؛ إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام.

﴿فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (١٤١) ﴿إِنَّمَا﴾ مركبةٌ من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة.

ومقصد الآية: وعيدٌ للكفار.

والمعنى: إن عَجَّلْنَا وفاتَكَ قبل الانتقام منهم فإننا سننتقم منهم بعد وفاتِكَ، وإن أَخَّرْنَا وفاتَكَ إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون.

(١) في ب، د: «التبري».

وهذا الانتقام يحتمل:

أن يريد به قتلهم يوم بدر، وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام^(١) في الدنيا.
أو يريد به عذاب الآخرة.

وقيل: إن الضمير في ﴿مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ للمسلمين، وأن معنى ذلك: أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه ﷺ بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾: للقرآن أو للإسلام.

والذكر هنا: بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ: هم قريش ثم سائر العرب؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش.

ويحتمل أن يريد بالذكر: التذكير والموعظة، فقومه على هذا: أمته كلهم وكل من بُعث إليهم.

﴿وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ﴾ أي: تسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله عليه.

﴿وَسْئَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم؟

(١) في أ، هـ: «بالانتقام».

فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنه رآهم ليلة الإسراء .

الثاني : أن المعنى : اسأل أمة من أرسلنا قبلك .

والثالث : أنه لم يُردّ سؤالهم حقيقةً ، وإنما المعنى : أن شرائعهم متفقةٌ على توحيد الله ، بحيث لو سئلوا : هل مع الله آلهة يعبدون؟ ؛ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد .



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوِيهِ الْآلِسُ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ ﴿٥٦﴾].

﴿وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا : المعجزات ؛ كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء .

وقيل : البراهين والحجج العقلية .

والأول أظهر .

ومعنى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ : أنها في غاية الكبر والظهور ، ولم يُرد تفضيلها على غيرها من آياته ، إنما المعنى : أنها إذا نُظِرَتْ وُجِدَتْ كبيرة ، وإذا نُظِرَ غيرها وُجِدَتْ كبيرة ، فهو كقول الشاعر :

مَنْ ثَلَقَ مِنْهُمْ ثَقْلًا : لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ ^(١)

(١) هذا صدر بين للعرندس أحد بني أبي بكر بن كلاب ، أورده أبو تمام في حماسه (ص ٤١٥) ، وتام البيت : «مثل النجوم التي يسري بها الساري» .

هكذا قال الزمخشري^(١).

ويَحْتَمِلُ عندي أن يريد: ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدّمها، فالمراد: أكبر من أختها المتقدّمة عليها.

﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم: ﴿يَتَّبِعُ السَّاحِرُ﴾ يقتضي تكذيبهم له، وقولهم: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ يقتضي تصديقه؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذّبين، وقولهم: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ يريدون على قولك وبزعمك، وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعدّ نوّوا إخلافه.

والآخر: أنهم كانوا مصدّقين، وقولهم: ﴿يَتَّبِعُ السَّاحِرُ﴾:

إما أن يكون عندهم غير مذموم؛ لأن السحر كان علّم أهل زمانهم، وكأنهم قالوا: يا أيها العالم.

وإما أن يكون ذلك اسمًا قد أُلِفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم، فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل: أن ناداهم بنفسه، أو أمر منادياً ينادي فيهم.

﴿قَالَ يَنْقُورُ آلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ﴾ قصّد بذلك الافتخار على موسى.

(١) الكشاف (١٤/١٥٢).

﴿مَضْرُوءٌ﴾ هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك: من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل.

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ يعني: الخُلجان الكبار الخارجة من النيل، كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية، وتيس، وديمياط، ونهر طولون.

﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ (٣١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مذهب سيويه: أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة معادلة، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟، ثم وضع قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع «تبصرون»؛ لأنهم إذا قالوا له: «أنت خير» فهم عنده بُصراء، وهذا من وضع السبب موضع المسبب.

وقيل: الأصل أن يقول: «أفلا تبصرون أم تبصرون»، ثم اقتصر على «أَمْ»، وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على ﴿أَمْ﴾، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، فهي منقطعة.

﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير، قاله الزمخشري^(١) وغيره.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجثرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن تُحَلَّ أجيبته دعوته وبقي منها أثرٌ كان معه لَكَنٌ.

وقيل: يعني: العي في الكلام.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أنه كان يُبين؛ لأن «كاد» إذا نُفِيت تقتضي الإثبات.

﴿فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ يريد: لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته؟

والأساور: جمع سوار وإسوار، وهو ما يُجعل في الذراع من الحلي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه.

أو متقارنين^(١) بعضهم مع بعض؛ ليشهدوا له، ويقوموا بحجته.

﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي: طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم.

﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ السلف بفتح السين واللام: جمع سالف.

وقرئ بضمهما: جمع سليف، ومعناه: متقدم؛ أي: تقدم قبل الكفار؛ ليكون موعظة لهم، ومثلاً يعتبرون به؛ لئلا يصيبهم مثل ذلك.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «متقارنون».

[وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءِإِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَوَالِمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُمْ لَكُذَّبُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنْ اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِغُضُوهِمْ لِبَعْضِ عَدُوٍّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾].

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه، قالت قريش: ما يريد محمد إلا أن نعبد نحن كما عبدت النصارى عيسى؛ فهذا كان صدودهم من ضربِه مَثَلًا، حكى ذلك ابن عطية^(١).

والذي ضَرَبَ المَثَل على هذا: هو الله في القرآن.

و﴿يَصِدُّونَ﴾ بمعنى: يُعرضون.

وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] امتعضوا من ذلك، فقال عبد الله بن الزبعرى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال: خصمتك ورب الكعبة!، أأنت

تزعّم أن عيسى بن مريم نبيّ وتثنى عليه خيراً، وقد علمت أن النصارى عبدوه؟، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنبياء: ١٥١] ونزلت هذه الآية^(١)، فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبّعى عيسى مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه، إذا قريش من هذا المثل يصدّون أي: يصدّون^(٢) ويصيحون من الفرح^(٣).

وهذا المعنى إنما يجري على قراءة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد؛ بمعنى الضجيج والصياح.

﴿وَقَالُوا ۖ إِلَهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون بـ ﴿هُوَ﴾ عيسى، والمعنى: أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى؟، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا.

وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية التي قبله.

وأما على ما ذكر ابن عطية: فهذا^(٤) ابتداء معنى^(٥) آخر.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٧/١٦).

(٢) في ب، ج: «يضحكون».

(٣) الكشف (١٤/١٦٠).

(٤) في د، هـ: «فهو».

(٥) في د: «خبر».

وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدي من النصارى؛ لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿خَيْرُ أَمْرٍ﴾ عيسى؟^(١)، ففضّدهم: تفضيل آلهتهم على عيسى.

وقيل: إن قولهم ﴿أَمْرٌ هُوَ﴾ يعنون به: محمداً ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى قالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرُ أَمْرٍ هُوَ﴾؟ يريدون تفضيل آلهتهم على محمد.

والأظهر: أن المراد بـ ﴿هُوَ﴾: عيسى، وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدّم ذكره.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره، سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ حَصِصُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: عيسى، والإنعام عليه: بالنبوة والمعجزات، وغير ذلك.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾^(١٦) في معناها قولان: أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض، ويخلقون

(١) الكشف (١٤/١٦٤).

فيها بني آدم، فقله ﴿مِنْكُمْ﴾ يتعلّق: بـ «بدلاً» المحذوف، أو بـ ﴿يَخْلُقُونَ﴾. والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم؛ أي: لو لَدُنَّا منكم أولادًا ملائكةً يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادُكم؛ فإنّا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكةً، فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد. حكى ذلك الزمخشري^(١).

﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير: لعيسى.

وقيل: لمحمد ﷺ.

وقيل: للقرآن.

فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد: فالمعنى: أنه شرّط من أشراف الساعة، يوجب العلم بها، فسمّى الشرّط علماً؛ لحصول العلم به، ولذلك قرئ ﴿لَعَلَّمَ﴾ بفتح العين واللام؛ أي: علامة.

وأما على القول بأنه للقرآن: فالمعنى: أنه يُعلّمكم بالساعة.

﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلُقُونَ فِيهِ﴾ إنما بيّن البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبيّنون أمور الدين لا أمور الدنيا.

وقيل: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى: «كل»، وهو ضعيف.

﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ﴾ ذكر في «مريم»^(٢).

(١) الكشاف (١٦٨/١٤).

(٢) انظر (٧٢/٣).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير: لقريش، أو للأحزاب.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ﴿الْأَخِلَاءُ﴾: جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين؛ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض.



[يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴿٨٤﴾ لَا يُفَرِّقُهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَادَوْا بِمَلَائِكِهِمْ لَقِضْ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُومُونَ ﴿٨٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَتَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٨٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٩٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٩١﴾ مُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٩٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٩٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شِئَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٩٧﴾ وَقِيلَ لَهُ بَرَبِّ إِنَّا هَتُولَاءُ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾].

﴿يَعْبَادِ﴾ الآية؛ تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تُنعمون وتُسرون^(١).

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير.

(١) في ب: «وتبشرون».

﴿وَنَادُوا بِمَلَكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب.

وروي أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ أي: دائمون في النار.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية؛ من كلام الله تعالى لأهل النار.

أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

﴿أَمْ أَمْرًا مَرًّا فَإِنَّا مُهْرِمُونَ﴾ (٧٩) الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيذا للنبي ﷺ؛ فإننا مُحْكَمُونَ نصره وحمايته.

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ﴾ الآية؛ روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث، اجتماعا وقال الأخنس: أترى الله يسمع سرنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا.

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ السر: ما حدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم.

﴿بَلَى﴾ أي: نسمع، ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقولون.

والرسل هنا: الملائكة الحافظون للأعمال.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَوْدِينِ﴾ (٨١) في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاج ورد على الكفار، على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد؛

كما يعظم خديم^(١) الملك ولد الملك لتعظيم أبيه ، ولكن ليس للرحمن ولد؛
فلست بعباد إلا الله وحده .

وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم؛ لأنه علق عبادة الولد بوجوده،
ووجوده محال؛ فعبادته محال .

ونظير هذا : أن يقول المالكي إذا قصد الرد على الحنفي في تحليل النبيذ :
إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال ، لكنه مسكر ؛ فهو حرام .

القول الثاني : أن المعنى : إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله
ووحده وكذبكم في قولكم : إن له ولداً .

﴿الْعَبِيدِينَ﴾ على هذين القولين : بمعنى العبادة .

القول الثالث : أن العابدين بمعنى المنكرين ، يقال عَبَدَ الرجلُ : إذا
أنف^(٢) وأنكر الشيء ، والمعنى : إن زعمتم أن للرحمن ولداً فأنا أول
المنكرين لذلك .

﴿إِنْ﴾ على هذه الأقوال الثلاثة : شرطية .

القول الرابع : قال قتادة وابن زيد : ﴿إِنْ﴾ هنا نافية ، بمعنى : «ما كان
للرحمن ولداً» ، وتم الكلام ، ثم ابتداء قوله : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ .

والأول هو الصحيح ؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة ، وهو الذي
عول عليه الزمخشري^(٣) .

(١) في د : «خدام» .

(٢) في د : «نفر» .

(٣) الكشف (١٤/١٧٩-١٨١) .

وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هَذَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] (١).

وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكَ﴾ (٢)، يعني: شركائي على قولكم.

﴿فَذَرَهُمْ﴾ الآية؛ موادعة منسوخة بالسيف.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء.

والمجرور يتعلق بـ ﴿إِلَهٌُ﴾؛ لأن فيه معنى الوصفية.

﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه؛ فهو المالك للشفاعة وحده.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني: بـ ﴿مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ الشافع أو المشفوع فيه؟

[أ-] فإن أراد المشفوع فيه: فلا استثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعة؛ لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يُشَفَّع فيه، ويَحْتَمِل على هذا أن يكون ﴿مَن شَهِدَ﴾ مفعولاً بـ ﴿الشَّفَعَةَ﴾ على

(١) تفسير الطبري (٢٠/٦٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٦٤).

إسقاط حرف الجر، تقديره: الشفاعة فيمن شهد بالحق.

[ب-] وإن أراد بـ ﴿مَنْ شَهِدَ﴾ الشافع: فيحتمل أن يكون الاستثناء: منقطعاً.

وأن يكون متصلاً؛ لأن فيمن عُبد: عيسى والملائكة. والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعة إلا مَنْ شهد منهم بالحق. ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِ إِنَّا هَنَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل: مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ.

وقرئ: ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع. [أ-] فأما النصب:

ف قيل: هو معطوف على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾. وقيل: معطوف على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾؛ لأنها مفعول أضيف إلى المصدر^(١).

وقيل: معطوف على مفعول ﴿يَكْتُبُونَ﴾، وهو محذوف، تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله. [ب-] وأما الخفض:

ف قيل: إنه معطوف على لفظ ﴿السَّاعَةِ﴾. ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

(١) فيكون التقدير: عنده علم الساعة وعلم قيله. الكشاف (١٤/١٨٦).

[ج-] وأما الرفع : فقليل : إنه مبتدأ ، وخبره ما بعده .

وضَعَفَ الزمخشري ذلك كله ، وقال : إنه من باب القسم :

فالنصب والخفض : على إضمار حرف القسم كقولك : «اللَّهُ لأضربَنَّ زيدًا»^(١) .

والرفع : كقولهم : «أَيْمُنُ اللَّهُ» و«لَعَمْرُكَ» .

وجواب القسم : قوله : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، كأنه قال : أقسم بقبيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون .

﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف .

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ تقديره : أمري سلام ؛ أي : مسالمة .

وقيل : «سلامٌ عليكم» على جهة المودة .

وهو منسوخ على الوجهين .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ .



(١) عبارة الكشاف (١٤/ ١٨٦) : «الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه» ، وقال البياضوي في تفسيره (٣/ ٢٥٨) : «منصوبٌ بحذف الجار ، أو مجرورٌ بإضماره» فعبارة البياضوي فيها توضيح لعبارة الزمخشري ، فقوله : «اللَّهُ لأضربَنَّ زيدًا» مجرورٌ بحرف جرٍّ مضمَر (مقدَّر) ، وقوله : «اللَّهُ لأضربَنَّ زيدًا» منصوبٌ على حذف حرف الجر ، حُذِفَ الجارُ فانتصب المجرور ، فيتبين بهذا أن عبارة ابن جزيٍّ فيها شيء من الاختزال .

﴿ سورة الدخان ﴾

[﴿حَمِّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾
 فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٧﴾ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ٩﴾
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ رَبَّنَا
 اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
 عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ
 الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧﴾
 أَنْ أَدْرَأَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ
 مُبِينٍ ١٩﴾ وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ رَجُمُونَ ٢٠﴾ وَلَنْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّوا ٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ
 هَبْ لَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ٢٢﴾ فَأَسْرَعَ بَعَادَى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ
 جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا
 فِيهَا فَكَاهِينَ ٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا
 كَانُوا مُنظَرِينَ ٢٩﴾].

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ ذكر في «الزخرف» (١).

وهو قَسَمٌ جوابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، وهو بعيد.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ يعني: ليلة القدر من رمضان.

وكيفية إنزاله فيها: أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئاً بعد شيء.

وقيل: معناه أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر.

وقيل: يعني بالليلة المباركة: ليلة النصف من شعبان وذلك باطل؛ لقوله:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾ [القدر: ١] مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ معنى ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَلُ وَيُخْلَصُ.

والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام، تُنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر؛ ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة.

وقد قيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان، وهو باطل؛ لما قدمنا.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص، قاله الزمخشري^(١).

وقال ابن عطية: نصب على المصدر^(٢).

(١) الكشف (١٤/١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٧٠).

وقيل : على الحال .

﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل ﴿﴾ .

وقيل : من إرسال الرحمة .

والأول أظهر .

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٣﴾ فيه قولان :

أحدهما : قول علي بن أبي طالب وابن عباس : أن الدخان يكون قبل يوم القيامة ، يصيب المؤمن منه مثل الزكام ، ويُنْضِجُ رؤوس الكافرين والمنافقين ، وهو من أشراط الساعة ، وَرَوَى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال : «إن أول آيات ^(١) الساعة الدخان» ^(٢) .

والثاني : قول ابن مسعود : إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجذب ، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع ، قال ابن مسعود : خمسٌ قد مَضَيْنَ : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والرُّوم ^(٣) .

﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ :

من قول الله تعالى .

أو من قول الناس لما أصابهم الدخان ، وهذا أظهر ؛ لأن ما بعده من

(١) في أ ، هـ : «أشراط» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٢١) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٥) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقاً .

﴿أَنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ﴾ هذا من كلام الله تعالى ، ومعناه : استبعاد تذکر الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ .

والواو في قوله : ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ واو الحال .

﴿وَرَسُولٌ مِّنْهُ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي : يُعَلِّمُهُ بشر .

﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ ابن عباس : هي يوم القيامة .

ابن مسعود : هي يوم بدر .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعلنا معهم فعل المختبر ؛ ليظهر منهم ما سبق في علمنا^(١) .

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني : موسى ﷺ .

﴿أَن أَدُؤَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ ﴿أَنَّ﴾ هنا مفسرة نابت مناب القول ، و﴿أَدُؤَا﴾ فعل

أمر من الأداء ، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول به ، وهم بنو إسرائيل .

والمعنى : أرسلوا بني إسرائيل كما قال في «طه» : ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي

إِسْرَءِيلَ﴾ [طه : ٤٧] .

وقيل : ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ منادى ، والمعنى : أدؤا إلي الطاعة والإيمان يا عباد

الله .

والأول أظهر .

(١) سقط من أ ، ب ، ج ، هـ .

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ أي: لا تتكبروا.

﴿بِسُلْطَانٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿رَجْمُونِ﴾ اختلف هل معناه: الرجم بالحجارة أو السب؟، والأول أظهر.

﴿فَاعْزِزُونِ﴾ أي: اتركوني، واخلوا سيلي.

﴿فَاسْرِ بِمَا دَى﴾ هذا أمرٌ من الله لموسى عليه السلام، والعباد هنا: بنو إسرائيل أي: اخرج بهم بالليل.

﴿إِنْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ إخبارٌ أن فرعون وجنوده يتبعونهم.

﴿وَأَنْزَلِ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾ أي: ساكنًا على هيئته.

وقيل: يابسًا.

وروي أن موسى لما جاوز^(١) البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق، كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو؛ ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا.

وقيل: معنى ﴿رَهَوًّا﴾: سهلاً.

وقيل: منفرجًا.

﴿وَعُيُونِ﴾ يحتمل أن يريد:

الخلجان الخارجة من النيل.

أو كانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان.

(١) في د: «جاز».

وقيل: يعني: الذهب والفضة، وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان:

المنابر.

والمساكن الحسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التَّعْمُ بِالْأَرْزَاقِ وغيرها.

﴿فَنَكِهَيْنَ﴾ أي: متنعمين.

وقيل: فرحين^(١).

وقيل: أصحاب فاكهة.

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب؛ أي: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم.

أو في موضع رفع؛ تقديره: الأمر كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ يعني: بني إسرائيل، حكاه الزمخشري^(٢)

والماوردي^(٣)، وضعفه ابن عطية، قال: لأنه لم يُرَوْ في مشهور التواريخ أن

بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان^(٤).

وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها.

(١) في أ، ج: «فارحين».

(٢) الكشف (٢١٢/١٤).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٢٥٢/٥).

(٤) المحرر الوجيز (٥٧٧/٧).

ويدلُّ على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
[الشعراء: ٥٩].

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: «بكت عليه السماء والأرض» على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم أحقر من أن يُبالى بهم.

الثاني: قيل: إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته، ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم كفار ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى: ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض.

والأول أفصح، وهو منترع معروف في كلام العرب.

﴿كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين.

[وَلَقَدْ جَاءَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٥﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْيَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٢٩﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَنذَرْنَا غَابَاطًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴿٣٣﴾ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾].

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ من ﴿الْعَذَابِ﴾.

﴿عَالِيًّا﴾ أي: متكبرًا.

﴿أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: كنّا عالمين بأنهم مستحقّون لذلك.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على أهل زمانهم.

﴿بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ أي: اختبارٌ.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ يعني: كفار قريش.

﴿فَأَنذَرْنَا غَابَاطًا﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه

التعجيز.

وروي أنهم طلبوا أن يُحْيِيَ لَهُمْ قِصِّيَّ بن كلاب؛ ليسألوه عن الآخرة.

﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملكًا من جُمُير كان مؤمنًا وقومه كفارًا، فذمّ

الله قومه ولم يذمه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبى»^(١).
ومعنى الآية: أقرش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار؟
وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا؛ فكَذَلِكَ نُهْلِكُ هَؤُلَاءِ، فمقصود
الكلام^(٢) تهديد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على ﴿قَوْمُ تَبَعٍ﴾.

وقيل: هو مبتدأ، فيوقف قبله.

والأول أصح.

﴿لَعِينٍ﴾ حالٌ منفية، ذكرت في «الأنبياء»^(٣).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ المولى هنا: يعم الولي والقريب وغير ذلك من
الموالي.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ استثناء:

منقطع: إن أراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصرون﴾ الكفار.

ومتصل: إن أراد بذلك جميع الناس.

(١) لم اقف عليه بهذا اللفظ، وفي سنن أبي داود (٤٦٧٤) ورد هكذا: «ما أدري تبع آلعين
هو أم لا».

(٢) في د: «فمقصد الآية».

(٣) انظر (٣/ ١٣٥).

[إِنَّ سَجَرَتَ الرَّزْقِ ④٦ طَعَامُ الْإِثْمِ ④٧ كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ④٨ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ④٩ حَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ⑤٠ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ⑤١ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ⑤٢ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ⑤٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ⑤٤ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ⑤٥ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ⑤٦ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ⑤٧ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْحَةٍ أَمِينَةٍ ⑤٨ لَا يَدْخُلُوتُ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑤٩ فَضَلَّأَ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑥٠ فَاِنَّمَا يَتَرْنَهُ بِلِْسَانِكَ لَعْلَهُمْ يُنْذَكَّرُونَ ⑥١ فَأَرْتَبَ إِنَّهُمْ مُّرْتَبُونَ].

﴿طَعَامُ الْإِثْمِ ④٦﴾ أي: الفاجر، وهو من الإثم.

وقيل: يعني: أبا جهل، فالألف واللام للعهد.

والأظهر أنها للجنس؛ فتعم أبا جهل وغيره.

﴿كَأَلْمُهْلِ ④٨﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت.

وقيل: ما يذوب^(١) من الرصاص وغيره.

﴿فَأَعْتَلُوهُ ④٩﴾ أي: سوقوه بتعنيف.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ⑤٠﴾ المصبوب في الحقيقة إنما

هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً؛ لأن ذلك أبلغ وأشدُّ تهويلاً، وقد جاء الأصل في قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

(١) في أ، هـ: «ما يذاب».

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ١١١ يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكُّم به ؛ أي : كنت العزيز الكريم عند نفسك .

وروي أن أبا جهل قال : ما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم ، فنزلت الآية .
﴿تَمَتَّعُونَ﴾ تَفْتَعِلُونَ من المربة ، وهو الشك .

﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ :

بضم الميم ؛ أي : موضع إقامة .

وبفتحها ؛ أي : موضع قيام .

والمراد به : الجنة .

والأمين : من الأمن ؛ أي : مأمون فيه .

وقيل : من الأمانة ، وصف به المكان مجازاً .

﴿مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس : الرقيق من الديباج ، والإستبرق : الغليظ

منه .

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع رفع ؛ أي : الأمر كذلك .

أو في موضع نصب ؛ أي : مثل ذلك زَوْجَانَهُم .

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي : يدعون خُدَّامَهُم .

﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ استثناء منقطع ، والمعنى : لا يذوقون فيها الموت ،

لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله : ﴿فِيهَا﴾ لكان

متصلاً ؛ لعموم لفظ الموت .

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى: بُعد، وذلك ضعيف.

﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك، وهي لسان العرب.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩) أي: ارتقب نصرنا لك؛ إنهم مرتقبون ضدًّا

ذلك، ففيه وعد له ووعد لهم.



﴿ سورة الجاثية ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤﴾ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَنْلَوْهَا عَلَيْهِ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦﴾ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلِّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَيِّنَ لَهُ عَذَابَ إِلِيمٍ ٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِن ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩﴾ مِّن وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ١٠﴾ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ هَٰذَا هُدًى وَلَٰذِينَ كَفَرُوا يُنَادِي رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١٢﴾].

﴿تَنْزِيلٌ﴾ ذكر في «الزمر»^(١).

وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات، وقد ذكر معناه في مواضع.

﴿وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفاك: مبالغة من الإفك، وهو الكذب، والأثيم:

من الإثم.

وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث.

ولفظها على العموم.

(١) انظر (٣/٧٣٤).

﴿يُضِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر.

وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ لاستعظام الإصرار على الكفر؛ بعد سماع آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يُرد العلم الحقيقي.

﴿مِنْ رَأْيِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ كقوله: ﴿وَمِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقد ذُكر في «إبراهيم»^(١).

[اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلْيَتَنَزَّلُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١٤﴾ قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَنَّا مِنْ الْأَمْرِ مِمَّا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُجْزِيهِمْ وَمِمَّا تُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أي: كلُّ نعمة فمن الله تعالى.

والمجرور:

في موضع الحال.

أو خبر ابتداء مضمرة.

وقرأ ابن عباس: «مِنَّة».

﴿قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن

يتجاوزوا عن الكفار، وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام.

ف قيل : إنها منسوخة بالسيف .

وقيل : ليست بمنسوخة ؛ لأن احتمال الأذى مندوبٌ إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك .

وروي : أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب، شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به .

و﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ هي نِعْمُهُ^(١)، ف﴿يَرْجُونَ﴾ على أصله .

وقيل : ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ عبارةٌ عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف .

و﴿يَغْفِرُوا﴾ مجزومٌ في جواب شرط مقدّر، دلّ عليه : ﴿قُلْ﴾^(٢) .

قال الزمخشري : حذف معمول القول، والمعنى : قل لهم اغفروا يغفروا^(٣) .

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الفاعل بـ﴿يَجْزِي﴾ ضميرٌ يعود على الله .

وقرئ بنون المتكلم .

وقال ابن عطية : إن الآية وعيدٌ^(٤)، فالقوم على هذا : هم الذين لا يرجون

(١) في المحرر الوجيز (٥٩٤/٧) : «أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك» .

(٢) تقديره : «قل اغفروا، فإن يجيبوا يغفروا» المحرر الوجيز (٥٩٤/٧) .

(٣) الكشف (٢٤٦/١٤) .

(٤) المحرر الوجيز (٥٩٥/٧) .

أيام الله، و﴿يَكْسِبُونَ﴾ يعني: السيئات.

وقال الزمخشري: القوم: هم الذين آمنوا، وجزاؤهم: الثواب؛ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بكظم الغيظ واحتمال المكروه^(١).

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في «البقرة»^(٢).

﴿يَنْتَهِ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزات من أمر الدين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملّة ودين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، و﴿اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا.

والمراد بـ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفار؛ لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يُذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يردّها ويبكي طول الليل، ويقول لنفسه: من أيّ الفريقين أنت؟!

ومعناها: إنكار ما حَسِبَهُ الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات.

وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد: ليس المؤمنون سواء مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكافرين

(١) الكشاف (٢٤٧/١٤-٢٤٨).

(٢) انظر (٣١٢/١).

عاشوا على الكفر والمعصية، وكذلك مماثهم ليس سواء.

والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا؛ أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق؛ فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها: إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكفار في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْتَائِبِينَ كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [القم: ٣٥]، ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

﴿سَوَاءٌ نَحْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدلٌ من الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهي مفسرةٌ للتشبيه، وهي داخلةٌ فيما أنكره الله مما حسبه الكفار.

وقيل: هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء؛ لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح: أنها من تمام ما قبلها، على المعنى الذي اخترناه.

وأما إعرابها:

فمن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع: فهو مبتدأ، وخبره ﴿نَحْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، والجملة بدلٌ من الجار والمجرور الواقع مفعولاً ثانياً لـ ﴿تَجْعَلُ﴾.

ومن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: فهو حال، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجْعَلُ﴾، و﴿نَحْيَهُمْ﴾ فاعلٌ بـ ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه في معنى: مستو.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين

المؤمنين.

[﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضْلَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾].

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ معطوف:

على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ لأن فيه معنى التعليل.

أو على تعليل محذوف تقديره: خلق الله السموات والأرض؛ ليدلَّ بهما على قدرته، ولتُجْزَىٰ كل نفس بما كسبت.

﴿اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ أي: أطاعه حتى صار له كإله^(١).

﴿وَأَضْلَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علم من الله سابق.

وقيل: على علم من هذا الضالِّ بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندةً.

﴿وَخَمَّ﴾ ذكر في «البقرة»^(٢).

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عطية: فيه حذف مضافٍ تقديره: من

(١) في د: «كالإله».

(٢) انظر (١/ ٢٧٠).

بعد إضلال الله إيَّاه^(١).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: فَمَنْ يَهْدِيهِ غَيْرُ اللَّهِ.

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير: لمن اتخذ إلهه هواه، أو لقريش.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه أربع تأويلات:

أحدها: أنهم أرادوا: يموت منّا قوم ويحيا قوم.

والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا.

والثالث: نموت حين كنا عدماً أو نُظَفَاً، ونحيا في الدنيا.

والرابع: نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير.

ومقصودهم على كل وجه: إنكار الآخرة.

ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية؛ لقولهم: ﴿وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية.

﴿قَالُوا أَنْتَوَا إِنَّا بِهَذَا غَرَبُوا﴾ ذكر في «الدخان»^(٢).

﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية؛ ردّ على المنكرين للحشر، واستدلالاً على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة.

❦ ❦ ❦

(١) المحرر الوجيز (٧/٦٠١).

(٢) انظر صفحة ٩٦.

[وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ﴿١٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتَلَوْا عَلَيْهِمْ قَوْمًا تَجْزَمِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿٢٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سِنَاتٌ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَوْنَهَا كَلِمَةً الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْقَوْنَ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَّاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾].

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ أي: تجشو على الركب، وتلك هيئة الخائف الذليل.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها.

وقيل: الكتاب المنزل عليها.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية.

فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟

فالجواب: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكة، وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم.

وقيل : إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم ، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضًا الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ ، وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل .

﴿ أَفَلَمْ نَكُنْ ﴾ تقديره : يقال لهم ذلك .

﴿ وَحَاقَ ﴾ ذكر مراراً^(١) .

﴿ الْيَوْمَ نَنْسِكُ ﴾ النسيان هنا بمعنى : الترك .

وأما في قوله : ﴿ كَا نَسِيتُ ﴾ فيحتمل أن يكون : بمعنى الترك ، أو الذُّهول .

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْنُونَ ﴾ من العُتْبَى ، وهي الرضا .

• • • • •

(١) انظر (٣/٧٥٨) ، والمادة رقم (١٣٧) في اللغات .

﴿سورة الأحقاف﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُوهُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ٥﴾ وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَنْتَبِ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ فَنَاسٌ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾].

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في «الزمر» (١).

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مراراً (٢).

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

(١) انظر (٣/٧٣٤).

(٢) انظر (٢/٥٣٩)، (٢/٧٢٨)، (٣/٧١٢).

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد، ورد على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز.

﴿شِرْكٌ فِي التَّوَنُّ﴾ أي: نصيب.

﴿أَتَتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز؛ لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد.

﴿أَوْ أَتَرَكْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: بقيّة من علم قديم يدل على ما تقولون.

وقيل: معناه من علم تثيرونه؛ أي: تستخرجونه.

وقيل: هو الإسناد.

وقيل: هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطه فذاك»^(١).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية؛ معناها: لا أحد أضل ممن يدعو إليها لا يستجيب له، وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿وَإِذَا خِیرَ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنام أعداء للذين عبدوها.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الضمير في ﴿وَكَانُوا﴾ للأصنام، أي: تبرأ الأصنام من الذين عبدوها.

وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أسند إليهم ما يُسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة.

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرُونَ على دفعها، ولا تملكون شيئًا من ردّها، فكيف افتريه وأتعرّض لعقاب الله؟.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُفَيْضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلّمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث: إذا خاض فيه واستمرّ.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ البِدْعُ والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله؛ أي: ما كنت أوّل رسول، ولا جئت بأمر لم يجرّ به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلاي شيء تنكرون ذلك؟!.

﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله.

والثاني: أنها في أمر الدنيا؛ أي: لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيّبة، وهذا هو الأظهر.

والثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تُلزمه الشريعة.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرض نخل، فقلق المسلمون لتأخّر ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ معنى الآية: أرايتم إن كان القرآن

من عند الله وكفرتم به ؛ أَلستم ظالمين ؟ ثم حذف قوله : « أَلستم ظالمين » وهو الجواب ؛ لأنه دَلٌّ عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، فالمعنى : أَرَأَيْتُمْ إِنْ اجْتَمَعَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، مَعَ شَهَادَةِ شَاهِدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ هَذَا الشَّاهِدُ وَكَفَرْتُمْ أَنْتُمْ ، أَلستم أَضَلُّ النَّاسَ وَأَظْلَمَ النَّاسَ ؟

واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه عبد الله بن سلام :

ف قيل على هذا : إن الآية مدنية ؛ لأنه إنما أسلم بالمدينة .

وقيل : إنها مكية ، وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول : في نزلت الآية .

الثاني : أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة .

الثالث : أنه موسى عليه السلام ، ورجَّح ذلك الطبري ^(١) .

والضمير في ﴿ مِثْلِهِ ﴾ للقرآن ؛ أي : شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد .

والضمير في ﴿ آمَنَ ﴾ للشاهد :

فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر : فإيمانه بين .

وإن كان موسى عليه السلام فإيمانه : هو تصديقه بأمر محمد عليه السلام وتبشيره به .

(١) تفسير الطبري (٢١/١٣١) .

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّسِنْدَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِ لَكُمَا أَنْعَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيتَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْمَعْتُمْ بِهَا قَالِيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء.

والقائلون لهذه المقالة: هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء؛ كبلال، وعمار، وصهيب.

وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة.

وقيل: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام.

والأول أرجح؛ لأن الآية مكية، وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة.

ومعنى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أجل الذين آمنوا، أي: قالوا ذلك عنهم في غيبتهم. وليس المعنى: أنهم خاطبوا بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطاباً لقالوا: «ما سبقتمونا».

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لما لم يهتدوا به قالوا: هذا إفك قديم، ونحو هذا ما جاء في المثل: «مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ». ووصفوه بالقديم؛ لأنه قد قيل قديماً.

فإن قيل: كيف عمِلَ ﴿فَيَقُولُونَ﴾ في ﴿إِذْ﴾ وهي للماضي والعامل مستقبل؟

فالجواب: أن العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوف، تقديره: «إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فيقولون...»، قال ذلك الزمخشري^(١).

ويظهر لي: أن ﴿إِذْ﴾ هنا بمعنى التعليل، لا ظرفية بمعنى الماضي، فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا: هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت ﴿إِذْ﴾ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي: بسبب ظلمكم.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴿الضَّمِيرُ فِي قَبْلِهِ﴾ للقرآن،

و﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ هو التوراة، و﴿إِمَامًا﴾ حال، ومعناه: يُقْتَدَى به.
 وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ ﴿الْإِشَارَةُ بِ﴾ هَذَا ﴿إِلَى الْقُرْآنِ﴾.
 ومعنى ﴿مُصَدِّقٌ لِّسَانًا﴾: صَدَّقَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي
 «البقرة»^(١).

و﴿لِسَانًا﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿مُصَدِّقٌ﴾.
 وقيل: مفعول بـ ﴿مُصَدِّقٌ﴾؛ أي: صَدَّقَ ذَا لِسَانٍ عَرَبِيٍّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ
 واختار هذا ابنُ عطية^(٢).

﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ ذكر في «حم السجدة»^(٣).
 ﴿حُسْنًا﴾ ذكر في «العنكبوت»^(٤).
 ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: حملته بمشقة ووضعته بمشقة.

ويقال: كَرَهُ بِفَتْحِ الْكَافِ وَضَمِّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ.
 ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حملهِ ورِضَاعُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا،
 وهذا لا يكون إلا بَأَن يَنْقُصَ مِنْ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ، وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَدَّةُ
 الْحَمْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَمَدَّةُ الرِّضَاعِ حَوْلِينَ كَامِلِينَ، أَوْ تَكُونَ مَدَّةُ الْحَمْلِ تِسْعَةَ
 أَشْهُرٍ وَمَدَّةُ الرِّضَاعِ حَوْلِينَ غَيْرِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.

(١) انظر (٣٠٨/١).

(٢) المحرر الوجيز (٦١٦/٧).

(٣) انظر صفحة ١٧.

(٤) انظر (٤٦٢/٣).

ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

وإنما عبّر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام؛ لأنه منتهى الرضاع.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في «يوسف»^(١).

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حدُّ كمال العقل والقوة.

ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقيل: إنها عامة.

﴿فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة، كما تقول: «رأيت فلاناً في الناس»، أي: مع الناس.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ قال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كُفِّرَه^(٢)، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما: «أفّ لكما».

وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»^(٣).

ويُبطل ذلك قطعاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان

(١) انظر (٢/٦٢٥).

(٢) في د: «كفر».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

له في الجهاد غناءً عظيم، وقال السُّديُّ: ما رأيت أعبَدَ منه.

وقال ابن عباس: نزلت في ابنِ لأبي بكر، ولم يسمَّه.

ويردُّ ذلك: ما ذكرنا عن عائشة.

وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدلُّ على أنها عامةٌ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال: «ذلك الذي حق عليه القول».

وقد ذكرنا ﴿أَفِ﴾ في «الإسراء»^(١).

﴿أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أُخرج من القبر للبعث.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي: قد مضت قرونٌ من الناس ولم يبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ الضمير لوالديه؛ أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيْلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان، ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيبٌ بالبعث والشرعة.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجاتٌ في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو، ودرجات أهل النار إلى سفلى.

(١) انظر (٢/٨٠٢).

﴿وَلَنُؤْفِقَهُمْ﴾ تعليلٌ لفعل محذوف، وبه يتعلّق، تقديره: جعل جزاءهم درجاتٍ؛ ليوفّيهم^(١) أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره: يقال لهم: أذهبتم طيباتكم.

والطيبات هنا: الملاذُّ من المأكَل وغيرها.

وقرئ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾:

بهمزة واحدة على الخبر.

وبهمزتين على التوبيخ.

والآية في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي مع ذلك واعظةٌ

لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه

اشترى لحماً: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟

﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوانٌ.



(١) في د: «لنوفّيهم».

[وَأَذْكُرْ لَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
 أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا
 فَأُتِنَا بِمَا نَعْبُدُ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
 وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدَيْنَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ
 مُنْطَرِفٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
 لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ
 فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
 مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٦﴾].

﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادٍ﴾ يعني: هوذا عَادٌ.

﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع جُفَافٍ، وهو الكُدْسُ من الرمل.

واختلف أين كانت؟

ف قيل: بالشام.

وقيل: بين عُمان ومَهْرَة.

وقيل: بين عُمان وحَضْرَموت.

والصحيح أن بلاد عادٍ كانت باليمن.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ﴾ أي: تقدّمت من قبله ومن بعده.

و﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير.

فإن قيل: كيف يُتصوّر تقدّمها من بعده؟

فالجواب: أن هذه الجملة اعتراضٌ، وهي إخبارٌ من الله تعالى أنه قد

بَعَثَ رَسُولًا مُتَقَدِّمِينَ قَبْلَ هُودَ وَبَعْدَهُ .

وقيل : معنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ : في زمانه .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : قال : إن العذاب الذي قلتُم اثنتا به ليس لي علمٌ متى يكون ، وإنما يعلمه الله ، وما عليَّ إلا أن أبلغكم ما أرسلت به .
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ العارض : السحاب الذي يعرض في أفق السماء .

والضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود :

على ﴿مَا نَعِدُنَا﴾ .

أو على المرئي المبهم الذي فسره قوله : ﴿عَارِضًا﴾ ، قال الزمخشري : وهذا أعرب وأفصح ^(١) .

وروي أنهم كانوا قد قَحِطُوا مَدَّةً ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به ، فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب .

وقوله : ﴿رِيحٌ﴾ :

بدلٌ من ﴿مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿نُذِمِرْ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عمومٌ يراد به الخصوص .

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش على وجه التهديد ؛ أي : مكَّنَّا

عَادًا فِيمَا لَمْ نَمُكِّنْكُمْ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَهْلَكْنَاهُمْ لِمَا كَفَرُوا.

و﴿إِنْ﴾ هُنَا نَافِيَةٌ بِمَعْنَى «مَا»، وَعَدَلُ عَنْ «مَا» كَرَاهِيَةً لِاجْتِمَاعِهَا مَعَ «مَا» الَّتِي قَبْلُهَا.

وَقِيلَ: ﴿إِنْ﴾ شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ طَغَيْتُمْ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهَذَا تَنْطَعٌ فِي التَّأْوِيلِ^(١).



(١) المحرر الوجيز (٦٢٩/٧).

[وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْيَمِينِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّمْ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُغَيِّمَ الْمَوْتِ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ الْعَظِيمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ﴾ يعني: بلاد عاد، وثمود، وسبأ، وغيرها، والمراد: إهلاك أهلها.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ﴾ الآية؛ عرضُ معناه النفي؛ أي: لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا^(١) من دون الله.

﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقربوا بهم إلى الله، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وانتصاب ﴿قُرْبَانًا﴾ على الحال.

ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولًا ثانيًا لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ و﴿آلِهَةً﴾ بدلًا

(١) في ب: «عبدوهم»، وفي د: «عبدوها».

منه؛ لفساد المعنى، قاله الزمخشري^(١).

وقد أجازَه ابن عطية^(٢).

﴿بَلْ صَلُّوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: تَلْفُوا لهم، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أَمَلْنَاهُمْ نحوك.

والنفر في اللغة: دون العشرة.

وروي أن الجن كانوا سبعة، وكانوا كلهم ذكرًا؛ لأن النفر الرجال دون النساء.

وكانوا من أهل نَصِييْنِ^(٣).

وقيل: من أهل الجزيرة.

واختلف هل رآهم النبي ﷺ؟

قيل: إنه لم يرهم، ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك.

وقيل: بل علم بهم واستعدَّ لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود أحاديث مضطربة^(٤).

(١) الكشف (٣٠٧/١٤).

(٢) المحرر الوجيز (٦٢٩/٧).

(٣) هي بلدة في بلاد الجزيرة التي بين الشام والعراق. معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢٨٨/٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٠).

وسبب استماع الجن : أنهم لما طُردوا عن استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا : ما هذا إلَّا أمرٌ^(١) حدث ! ، فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك ، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ ، فاستمعوا إليه وآمنوا به .

﴿أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة^(٢) على أنهم كانوا على دين اليهود .

وقيل : كانوا لم يعلموا ببعث عيسى .

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»^(٣) .

﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ .

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مَنْ﴾ هنا للتبعيض على الأصح ؛ أي : يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام ، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله .

وقيل : معنى التبعيض : أن المظالم لا تُغْفَر .

وقيل : إن ﴿مَنْ﴾ زائدة .

﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي : من النار .

واختلف الناس هل للجن ثوابٌ زيادةً على النجاة من النار ، أم ليس لهم ثواب إلَّا النجاة خاصة ؟

(١) في د : «لأمر» .

(٢) في أ ، هـ : «دليل» .

(٣) انظر (٣٠٨/١) .

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية؛ يحتمل:

أن يكون من كلام الجن.

أو من كلام الله تعالى.

ومعنى ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لا يفوت.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الآية؛ احتجاج على بعث الأجساد بخِلْقَةِ السموات والأرض.

﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُمْ﴾ يقال: عَيَّتُ بالأمر: إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى عَلِمَ كيف خَلَقَ السموات، وأحكم خَلَقْتُهَا؛ فلا شك أنه قادرٌ على إحياء الموتى.

﴿يَقْدِرُ﴾ في موضع رفع؛ لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وخبرها^(١).

﴿بَلَى﴾ جواب لما تقدّم؛ أي: هو قادر على أن يحيي الموتى.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: اصبر على تكذيب قومك.

وأولوا العزم هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة «الأنعام»؛ لقوله:

﴿فِيهِدْهُمْ أَقْصَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(١) عبارة الكشاف (٣١٦/١٤): «وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها».

وقيل: كل من لقي من أمته شدة.

وقيل: الرسل كلهم أولوا عزم؛ ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ على هذا: لبيان الجنس.

وعلى الأقوال المتقدمة: للتبويض.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم؛ فإنهم صائرون إليه؛ فإنهم^(١) إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار؛ لاستقصار أعمارهم.

﴿بَلَّغْ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وعظمت به بلاغ؛ بمعنى: كفاية في الموعظة.

أو بلاغ من الرسول ﷺ، أي: بلغ هذه المواعظ والبراهين.



(١) في د: «وإنهم».

﴿ سورة القتال ﴾

[﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ① ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ② ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ③ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخَسَّمُوهُمْ فَتُدَّوْا الْوَتَاكُ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ④ سَيَجْزِيهِمْ وَصْلُكُمُ بِاللَّهِ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُنْصِرْكُمْ وَيُغْلِبَ أَقْدَامَكُمْ ⑦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ ⑧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ⑨ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ⑩ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑪ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكل كافر.

كما أن قوله بعد هذا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني به: الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن.

﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَصَدُّوا﴾:

بمعنى: أعرضوا، فيكون غير متعد.

أو يكون بمعنى : صدوا الناس ، فيكون متعديًا .

﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾ : الإسلام والطاعة .

﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي : أبطلها وأحبطها .

وقيل : المراد بـ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ هنا : ما أنفقوا في غزوة بدر ؛ فإن هذه السورة نزلت بعد بدر .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَأَمَّا بِنَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد ؛ للاختصاص والاعتناء ، بعد عموم قوله : ﴿وَأَمَّا بِنَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ ، ولذلك أكدته بالجملة الاعتراضية ، وهي قوله : ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ .

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل : معناه : أصلح حالهم وشأنهم .

وحقيقة البال : الخاطر الذي في القلب ، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، فالمعنى : إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى .

﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ أصله : «فاضربوا الرقاب ضرباً» ، ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه .

والمراد : اقتلوههم ، ولكن عبر عنه بضرب الرقاب ؛ لأنه الغالب في صفة القتل .

﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُّهُمْ﴾ أي : هزمتهم ، والإثخان : أن يكثروا فيهم القتل والأسر .

﴿فَسَدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ عبارة عن الأسر .

﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءُ﴾ المن: العتق، والفداء: فك الأسير بمال، وهما جائزان.

فإن مذهب مالك: أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء؛ وهي: المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية.

وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرِكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يجوز على هذا إلا قتلهم. والصحيح أنها محكمة.

وانتصب ﴿مَتًى﴾ و﴿فِدَاءُ﴾ على المصدرية، والعامل فيهما: فعلان مضمران.

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة: الأثقال، فالمعنى: حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلاتها.

وقيل: الأوزار: الآثام؛ لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين.

واختلف في الغاية المرادة هنا:

ف قيل: حتى يُسلم الجميع؛ وحيث توضع الحرب أوزارها.

وقيل: حتى تقتلهم وتغلبهم.

وقيل: حتى ينزل عيسى بن مريم.

قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً، كما

تقول: «أنا أفعلُ كذا إلى يوم القيامة»^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ تقديره: الأمرُ ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذابٍ من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلو بعض الناس ببعض.

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يعرفون منازلهم فيها، فهو من المعرفة.

وقيل: معناه طيَّبها لهم، فهو من العَرَف، وهو طيَّب الرائحة.

وقيل: معناه شَرَّفها ورفعها، فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ أي: عثَارًا وهلاكًا.

وانتصابه على المصدرية، والعامل فيه فعلٌ مضمَر^(٢)، وعلى هذا الفعل عُطِفَ قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿وَالْكَافِرِينَ أَتَيْنَاهَا﴾ أي: لكفار قريش أمثالُ عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك.

﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليُّهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم.

ولا يصح^(٣) أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى.

(١) المحرر الوجيز (٦٤١/٧).

(٢) أي: أنعس الذين كفروا تعسًا. الكشاف (٣٣٠/١٤).

(٣) في أ، هـ: «ولا يصلح».

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله : ﴿رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾
 [الأنعام: ٦٢] ؛ لأن معنى المولى مختلِفٌ في الموضعين ؛ فمعنى ﴿مَوْلَهُمْ
 الْحَقَّ﴾ : ربُّهم ، وهذا على العموم في جميع الخلق ، بخلاف قوله : ﴿مَوْلَى
 الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين ؛ لأنه بمعنى الوليِّ والناصر .



[﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ﴾ ١٢] وَكَأَنِّ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَعٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُرِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَسَهُمْ نَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.]

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم.

﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ يعني: مكة، وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة. ونسب الإخراج إلى القرية، والمراد أهلها؛ لأنهم آذوه حتى خرج.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله: ﴿وَكَأَنِّ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وجمعه حملاً على المعنى، والمراد: أهلكنا أهلها.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَعٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: على حجة، ويعني به: النبي ﷺ، كما يعني قريشاً بقوله: ﴿كَمَنْ زُرِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾.

اللفظ أعم من ذلك.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في «الرعد»^(١).

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغير.

﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ تقديره: أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار؟، فحذف هذا التقدير المراد به النفي، وإنما حذفه؛ لدلالة التقدير المتقدم، وهو قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، وجاء «يستمعون» بلفظ الجمع؛ رغباً لمعنى ﴿مَنْ﴾^(٢).

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود.

﴿مَاذَا قَالِ ۖ ءَاقِبًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين:

إما احتقاراً لكلامه، كأنهم قالوا: أي فائدة فيه.

وإما جهلاً ونسياناً؛ لأنهم كانوا وقت كلامه مغرضين عنه.

و﴿ءَاقِبًا﴾ معناه: الساعة الماضية قريباً، وأصله: من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته.

(١) انظر (٢/٦٨٦).

(٢) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وهو سهو، فإن آية سورة القتال: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ بالإنفراد، وليست بالجمع، وإنما وردت بالجمع في سورة يونس فقط، وآية سورة القتال مثل آية الأنعام: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وقال المؤلف هناك في تفسيرها: «وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعل جماعية؛ حملاً على لفظ «مَنْ»، وعلق في طرة نسخة ب على هذا الموضع تعليقاً فيه أدب مع المؤلف فيقول: «هذا والله أعلم مما غلط فيه المؤلف بكثرة؛ فإنه ﴿يَسْتَمِعُ﴾ بلفظ المفرد لا الجمع؛ رغباً للفظ «مَنْ» لا لمعناه، والكمال لله تعالى، وهذا من سهو المؤلف، وحاشاه أن يجهل مثل هذا».

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني : المؤمنين .

والضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾ :

لله تعالى .

أو للكلام الذي قال فيه المنافقون : ﴿مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ .

وقيل : يعني بـ ﴿الَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ قومًا من النصارى آمنوا بمحمد ﷺ ، فاهتدوا هم : هو إيمانهم بـ عيسى ، وزيادة الهدى : إسلامهم .

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين ، والمعنى : هل ينتظرون^(١) إِلَّا السَّاعَةَ ؛ لأنها قريبة .

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي : علاماتها ، والذي كان قد جاء من ذلك : مبعث محمد ﷺ ؛ لأنه قال : «أنا من أشراط الساعة»^(٢) ، و«بعثت أنا والساعة كهاتين»^(٣) .

﴿فَأَنذَرْتُهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ أي : كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة ؛ فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ؟

ففاعل ﴿جَاءَهُمْ﴾ : الساعة ، و﴿ذِكْرُهُمْ﴾ مبتدأ ، وخبره الاستفهام المتقدم ، والمراد به : الاستبعاد .

(١) في د : «ينتظرون» .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وفي مسند الإمام أحمد (٢١٩٩٢) : «سئت من أشراط الساعة : موتي . .» الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٣) ، ومسلم (٢٩٥٠) .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دُم على العلم بذلك.

واستدلّ بعضهم بهذه الآية على أن النظر^(١) والعلم قبل العمل؛ لأنه قدّم قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾ على قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ قيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرفكم في الدنيا، ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: إقامتكم في القبور.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرفكم في البقعة، ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: منامكم.

(١) في أ، د، هـ: «على النظر».

[وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۞ أَفَلَا يَنْدَبُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيئَتُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۞].

﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن، والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به، ويستوحشون من إبطائه.

﴿مُحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة:

ليس فيها منسوخ.

أو يريد متقنة.

وقرأ ابن مسعود: «سورة مُّحَدَّثَةٌ».

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه.

﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى : أحق ، وخبره على هذا : ﴿طَاعَةٌ﴾ ، والمعنى : أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق .

والآخر : أن ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ كلمةٌ معناها : التهديد والدعاء عليهم كقولك : «ويل لهم» ، ومنه : ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ ﴿[القيامة : ٣٤] .

فيُوقف على ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ على هذا القول ، ويكون ﴿طَاعَةٌ﴾ ابتداء كلام ، تقديره :

طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثلُ .

أو المطلوبُ منهم طاعةٌ وقولٌ معروف .

أو قولهم لك يا محمد طاعةٌ وقولٌ معروفٌ بالسُّتْمِ دون قلوبهم .

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازاً ، كقولك : نهاره صائمٌ وليله قائمٌ .

﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد :

صِدْقُ اللسان .

أو صدق العزم والنية ، وهو أظهر .

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٣٣﴾ هذا خطابٌ للمنافقين المذكورين ، خرج من الغيبة إلى الخطاب ؛ ليكون أبلغ في التوبيخ .

والمعنى: هل يُتَوَقَّع منكم الإفسادُ في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم؟^(١)

ومعنى ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: صرتم ولايةً على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية.

وقيل: معناه: أعرضتم عن الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم.

وقيل: نزلت في قوم من اليهود، كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة، ثم كفروا به.

﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زَيَّنَ لهم ورجَّاهم أمانيتهم.

﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مدَّ لهم في الأمانى والآمال.

والفاعل: هو الشيطان.

وقيل: الله تعالى.

والأول أظهر؛ لتناسب الضميرين الفاعلين، في ﴿سَوَّلَ﴾ و﴿أَمَلَىٰ﴾.

﴿سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين.

و﴿بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: يعنون به: مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة

(١) الاستفهام للتقرير، والمعنى: فالتوقع منكم الإفساد.

يعني : ملك الموت ومن معه .

والفاء رابطة للكلام مع ما قبله ، والمعنى : هذا جزعهم من ذكر القتال ؛
فكيف يكون حالهم حين^(١) الموت ؟

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة .

وقيل : إنه للكفار ؛ أي : يضربون وجوه أنفسهم ، وذلك ضعيف .



(١) في أ، هـ : «عند» .

[أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَهُمْ بِإِسْمِنَاهُمْ وَلَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٧٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَلَكُمْ ﴿٧٦﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٧٧﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِي خَيْفَتِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْشُوا أَمْضَيْنَاكُمْ ﴿٧٨﴾ هَئِذَا تَسَاءَلْتُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٧٩﴾].

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية؛ معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله؟

والضُّعْنُ: الحقد، ويراد به هنا: النفاق والبُغْضُ في الإسلام وأهله.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم، ولكن الله ستر عليهم؛ إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين.

وروي أن الله لم يذكر له واحدا منهم باسمه.

﴿وَلَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ معنى ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: مقصده وطريقته.

وقيل: اللحن: هو الخفي المعنى، كالكناية والتعريض.

والمعنى : أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي : نختبركم .

﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي : نعلمه علماً ظاهراً في الوجود تقوم به الحجة عليكم ؛ وقد علم الله الأشياء قبل كونها ، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده ؛ بما يصدر منهم .

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى ، وقال : «اللهم لا تبتلنا ؛ فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا» .

﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ أي : خالفوه وعادوه .

ونزلت الآية في المنافقين .

وقيل : في اليهود .

﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالُكُمْ﴾ يحتمل أربعة معان :

أحدها : لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان .

والثاني : لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ، ذكره الزمخشري^(١) ، وهذا على مذهب المعتزلة ، خلافاً للأشعرية ؛ فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات .

والثالث : لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعُجب .

(١) الكشف (٣٥٨/١٤) .

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها.

وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية، ولذلك يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهرها^(١)؛ لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين: ﴿وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ﴾، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاققتهم الرسول.

﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلب الصلح، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَلَنْ يَرْكَزَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي: لن ينقضكم أجور أعمالكم، يقال: وترت الرجل أثره: إذا نقصته شيئاً، أو أذهبت له متاعاً.

﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ أي: لا يسألكم جميعها، إنما يسألكم في الزكاة ما يخف عليكم، مثل ربع العشر، وذلك خفيف.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ معنى ﴿يُحْفِكُمْ﴾: يُلِحُّ عليكم، والإحفاء: أشد السؤال، و﴿تَبَخَّلُوا﴾ جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجْ أَصْغَنَكُمْ﴾ الفاعل: الله تعالى، أو البخل.

والمعنى: يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

(١) في أ، ج، هـ: «أظهر».

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوبٌ على التخصيص، أو منادى.

﴿لِنُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الجهاد أو الزكاة.

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ أي: إنما ضرر بخله على نفسه؛ فكأنه يبخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت^(١) بقومٍ على خلاف صفتكم، بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله.

ف قيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم: الأنصار؛ وهذا ضعيف لأن الآية مدنية، نزلت والأنصار حاضرون.

وقيل: الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة، والقوم: هم أهل اليمن، وقيل: فارس.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يأتي».

﴿ سورة الفتح ﴾

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون، وقال ﷺ لعمره رضي الله عنه وهما راجعان إلى المدينة: «لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها»^(١).

[﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ③ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ⑤ وَيُعَذِّبَ الْمُتَفِفِينَ وَالْمُتَفِفَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُلْمَ السَّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ⑥ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ⑦ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيَهُ وَنُفَوِّقُوهُ وَنُصِيحُوهُ بُحْرَةً وَأَصِيلًا ⑨ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ بِدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَأَنَّمَا بَيْنُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَتْلُوهِ أَجْرًا عَظِيمًا ⑩]

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٣)، ومسلم (١٧٨٦).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ (١) يَحْتَمِلُ هَذَا الْفَتْحُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ :

من الفتح بمعنى الحكم ؛ أي : حَكَمْنَا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ .

أو من الفتح بمعنى الْعَطَاءِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فاطر : ٢] .

أو من فتح البلاد .

وَاخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِهَذَا الْفَتْحِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ :

الأول : أنه فتح مكة ، وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي ؛ لِتَحَقُّقِهِ ، وَهُوَ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى فَتْحِ الْبِلَادِ .

الثاني : أنه ما جرى فِي الْحَدِيثِ مِنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، وَمِنْ الصِّلَحِ الَّذِي عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى : الْحَكْمِ ، أَوْ بِمَعْنَى الْعَطَاءِ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ : أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ صِلَحُ الْحَدِيثِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِشُرُوطِ كَانَتْ فِيهِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ الصِّلَحَ لَهُ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ ؛ لِأَنَّهُ رَوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : مَا هَذَا الْفَتْحُ وَقَدْ صَدَّنَا الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْفَتْوحِ ، قَدْ رَضِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ بِلَادِهِمْ بِالرَّاحِ ، وَرَغِبُوا إِلَيْكُمْ فِي الْأَمَانِ» (١) .

الثالث : أنه ما أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْحَدِيثِ مِنَ الْفَتْوحِ ، كَفَتْحِ خَيْبَرَ وَغَيْرِهَا .

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٤/ ١٦٠) .

الرابع : أنه الهداية إلى الإسلام ، ودليل هذا القول قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فجعل الفتح علةً للمغفرة ، ولا حجة في ذلك ؛ إذ يُتَصَوَّرُ في الجهاد وغيره أن يكون علةً للمغفرة أيضًا ، أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة ، لا للتعليل ؛ فيكون المعنى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة ؛ بأن غفر لك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وهداك ونصرك .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي : السكون والطمأنينة ، يعني : سكوتهم في صلح الحديبية وتسليمهم لفعل رسول الله ﷺ .
وقيل : معناه الرحمة .

﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوْءِ﴾ معناه : أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين ، فقالوا : لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدًا .
وقيل : معناه : أنهم لا يعرفون الله بصفاته ، فذلك هو ظن السَّوْءِ به .
والأول أظهر ؛ بدليل ما بعده .

﴿عَلَيْهِمْ ذَايِرَةُ السَّوْءِ﴾ يحتمل أن يكون : خبرًا ، أو دعاء .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ أي : تشهد على أمتك .

﴿وَتُعَزِّزُوهُ﴾ أي : تعظموه .

وقيل : تنصروه .

وقرئ : «تُعَزِّزُوهُ» بزاءين منقوطين .

والضمير في ﴿وَتَعَزَّزُوهُ وَنُفِّرُوهُ﴾: للنبي ﷺ، وفي ﴿وَسَيِّحُوهُ﴾: لله تعالى.

وقيل: الثلاثة لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشریف للنبي ﷺ؛ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخيّل والتمثيل، يريد: أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ، كعقده مع الله، كقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها: النعمة أو^(١) القوة، وهذا بعيد هنا^(٢).

ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد.
﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يعني: أن ضرر نكثه على نفسه.
ويريد بالنكث هنا: نقض البيعة.

(١) في ب، د: «و».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وذلك على وجه التخيّل والتمثيل» إلخ، لو قال: على وجه التخييل والتمثيل لكان أولى، وقد أحسن المؤلف في ترجيح هذا الرأي، وتنظير الآية بقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وأحسن في رده قول المتأولين اليد بالنعمة، وما رجحه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله، والآية مع هذا تدل على إثبات اليد لله تعالى.

[سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَيْنَاهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَسْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَسْتُمْ طَرَفَ السَّوَاءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِرِكُمْ إِنَّاخْذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ نَتَّبِعُوَنَّا كَذَلِكَ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُوعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَنْسٍ شَدِيدٍ يُقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتِ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية؛ سماهم بالمخلفين؛ لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية.

والأعراب: هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوًّا كثيرًا من قريش وغيرهم، ففقدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكنًا، فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسول الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿يَقُولُونَ بِآلِسَيْنَاهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قولهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم كذبوا في ذلك.

أو قولهم: ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾؛ لأنهم قالوا ذلك رياءً من غير توبة ولا صدق. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين؛ من البوار، وهو الهلاك، ويعني به: الهلاك في الدين.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية؛ أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر، فأمره الله بمنعهم من ذلك، وأن يقول لهم: ﴿لَنْ تَنِيْعُونَا﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعْدَ الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوّضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل.

وقيل: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة.

﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يعزُّ عليكم أن تُصِيبَ معكم مالا وغنيمة. و﴿بَلْ﴾ هنا: للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله: ﴿لَنْ تَنِيْعُونَا﴾ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، فمعناها: ردُّ أن يكون الله حكماً بأن لا يتبعوهم. وأما ﴿بَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضرابٌ

عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثبات لوصف المخلفين بالجهل .
﴿سَدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال :

الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة حنين .
والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ الناس إلى قتالهم في غزوة تبوك .
والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

والرابع: أنهم الفرس .
ويتقوى القول الأول والثاني: بأن ذلك ظهر في حياة النبي ﷺ .
وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث؛ بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة .
قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب؛ إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن .

﴿أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ عطف على ﴿نَقْتُلُوهُمْ﴾ .

وقال ابن عطية: هو مستأنف^(١) .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: في غزوة الحديبية .

(١) المحرر الوجيز (٧/٦٧٦) .

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ معناها: أن الله تعالى عذّر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد؛ بسبب أَعذارهم.

[لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرِ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّدْوَى وَكَانُوا يُحِبُّونَهَا وَأَوَّلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»^(١). وفي الحديث أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة^(٢)، وقيل: ألفاً وخمسة مئة.

وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية، وهي موضعٌ على

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (٢٦٤/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦).

نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولاً إلى أهل مكة، يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حرباً، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه؛ كرامة له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قُتل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفِرَّ أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالماً، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وأهل مكة؛ على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل.

والشجرة المذكورة: كانت سَمُرَةً هنالك، ذهب بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه.

وقيل: من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل؛ لأنه ذمٌ للصحابة. وقد ذكرنا ﴿السَّكِينَةَ﴾^(١).

﴿وَأَتَيْنَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خبير.

وقيل: فتح مكة.

والأول أشهر؛ أي: جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان، زيادةً إلى ثواب الآخرة.

وأما المغانم الكثيرة المذكورة أولاً: فهي غنائم خيبر، وهي المعطوفة على الفتح القريب.

(١) في أول السورة.

وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله - وهي المذكورة ثانيًا - : فهي كل ما يَغْنَمُه المسلمون إلى يوم القيامة .

والإشارة بقوله : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إلى خير .

وقيل : إن المغانم التي وعدهم : مغانم خيبر ، والإشارة بـ ﴿هَذِهِ﴾ إلى صلح الحديبية .

﴿وَكَفَّ أَيْدَى النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي : كفَّ أهل مكة عن قتالكم في الحديبية .

وقيل : كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائلكم وذريبتكم بينما ^(١) خرجتم إلى الحديبية .

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : تكون هذه الفِعلَة - وهي كفُّ أيدي الناس عنكم - آيةً للمؤمنين ، يستدلُّون بها على النصر .

واللام تتعلق بفعل محذوف ، تقديره : فعل الله ذلك لتكون آيةً للمؤمنين .

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني : فتح مكة بعد ذلك ^(٢) .

وقيل : فتح بلاد فارس والروم .

وقيل : مغانم هوازن في حنين .

والمعنى : لم تقدرُوا أنتم عليها ، وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم .

وإعراب ﴿أُخْرَى﴾ :

معطوفٌ على ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ .

(١) في د : «حين» .

(٢) قوله : «بعد ذلك» زيادة من أ ، هـ .

أو مفعولٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديره: أعطاكم أخرى .
أو مبتدأ .

﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة .
﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته .
والإشارة: إلى يوم بدر .

وقيل: الإشارة إلى نصرِ الأنبياء قديماً .

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ روي في سببها أن جماعة من
فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث
إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم
وأَسَرُوا منهم قوماً، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم .
فكفَّ أيدي الكفار: هو أن هُزِمُوا وأُسِرُوا .
وكفَّ أيدي المؤمنين عن الكفار: هو إطلاقهم من الأسر، وسلامتهم من
القتل .

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: من بعدما أخذتموهم أسارى .
﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة .
﴿وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد
الحرام عام الحديبية .

﴿وَالْهَدَىٰ مَكْشُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً﴾ الهدي: ما يُهدى إلى البيت من الأنعام،

وكان رسول الله ﷺ قد ساق حيثئذ مئة بدنة، وقيل: سبعين؛ ليُهديها.

والمعكوف: المحبوس.

و﴿مَجَلَّةٌ﴾: موضع نحره؛ يعني: مكة والبيت.

وإعراب ﴿وَالْهَدْيَ﴾ عطفت على الضمير المفعول في ﴿صَدُّوكُمْ﴾،
و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال من ﴿وَالْهَدْيَ﴾، ﴿أَنْ يَبْلُغَ﴾ مفعول بالعكف.

فالمعنى: صدُّوكم عن المسجد الحرام، وصدُّوا الهدي عن أن يبلغ
مَجَلَّه.

والعكف المذكور يعني به:

منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة.

أو حبس المسلمين للهدي بينما ينظرون في أمرهم.

﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية؛ تعليل لصرف الله
المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات يُخفون إيمانهم، فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة،
لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفهم عنهم؛ رحمةً
بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لسلطناكم عليهم.

﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ في موضع بدل من ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَاءٌ﴾.

أو بدل من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾.

والوطء هنا : الإهلاك بالسيف وغيره .

﴿فَتُصِيبُكُم مِّنْهُمْ مَعْزَةٌ﴾ أي : تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة .

واختلف هل يعني :

الإثم في قتلهم ؟

أو الدية ؟

أو الكفارة ؟

أو الملامة ؟

أو عيب الكفار لهم ؛ بأن يقولوا : قتلوا أهل دينهم ؟

أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين ؟ ، وهذا أظهر ؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يُعلم إيمانه وهوبين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ، ولا ملامة ، ولا عيب .

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني : رحمته ^(١) للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار ، بأن كفّ سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم .

أو رحمته لمن يشاء من الكفار ؛ بأن يسلموا بعد ذلك .

واللام تتعلق بمحذوف يدلُّ عليه سياق الكلام ، تقديره : كان كفّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء .

﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى ﴿تَزَيَّلُوا﴾ : تميزوا عن الكفار ،

(١) في ج ، د : «رحمة» .

والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان؛ أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار.

فقوله: ﴿لَعَذَابُنَا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون ﴿لَعَذَابُنَا﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾^(١) الأولى، وكُرِّرَت «لو» الثانية تأكيداً.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني: أنفة الكفر^(٢)، وهي منعهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومنعهم من أن يكتب «محمد رسول الله»، وقولهم: «لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك»^(٣)، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك».

والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ﴾:

محذوف تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿لَعَذَابُنَا﴾.

والسكينة: هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك.

﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَفْوَى﴾ قال الجمهور: هي «لا إله إلا الله»، وقد روي

(١) في أ، ب، ج، د: «لو».

(٢) في ب، ج: «الكفار».

(٣) في أ، ب، ج: «لتابعناك».

ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

وقيل : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ».

وقيل : « لا إله إلا الله ، والله أكبر ».

وهذه كلها متقاربة .

وقيل : هي « بسم الله الرحمن الرحيم » التي أبى الكفار أن تكتب .

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي : كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم .

وقيل : أحقَّ بها من اليهود والنصارى .



(١) أخرجه أحمد (٢١٢٥٤) ، والترمذي (٣٢٦٥) .

[لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ سَطْفُهُ فَتَازَرُوا فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّרَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا].

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، بعضهم محلّقون وبعضهم مقصّرون، وروي أنه أتاه ملكٌ في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه ذلك، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صدّه المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا؟، ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ أي: تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عُمره القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه.

و﴿صَدَقَ﴾ في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين.

و﴿بِالْحَقِّ﴾ يتعلّق :

بـ ﴿صَدَقَ﴾ .

أو بـ ﴿الرُّبُيَا﴾ على أن يكون حالاً منها .

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر ،
وذلك محالٌ على الله ؛ اختُلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال :

الأول : أنه استثناءٌ قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام ، فحكى الله
مقالته كما وقعت .

والثاني : أنه تأديبٌ من الله لعباده ؛ ليقولوا : «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» في كل أمرٍ
مستقبل .

والثالث : أنه استثناءٌ بالنظر إلى كل إنسان على حدّته ؛ لأنه يمكن أن يَتِمَّ له
الوعد ، أو يموت أو يمرض ؛ فلا يَتِمُّ له .

والرابع : أن الاستثناء راجع إلى قوله : ﴿ءَامِنِينَ﴾ ، لا لدخول المسجد
الحرام .

والخامس : أن «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» بمعنى : «إِذَا^(١) شَاءَ اللَّهُ» .

﴿مُخَلِّفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة ،
والحلاق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله ﷺ : «رحم الله المحلقين»
ثلاثاً ، ثم قال في المرة الآخرة : «والمقصرين»^(٢) .

(١) في أ، ج، د : «إِذَا» والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٦٨٧/٧) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٧) ، ومسلم (١٣٠١) .

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد: ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة؛ فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة، وقيل: ألف وأربع مئة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف.

﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: يعني: فتح خيبر.

وقيل: بيعة الرضوان.

وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوفتح^(١) هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»^(٢).

وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمره القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في «براءة»^(٣).

﴿وَكُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً بأن محمداً رسول الله.

أو شاهداً بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني: جميع أصحابه.

وقيل: من شهد معه الحديبية.

(١) في د: «أفتح».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).

(٣) انظر (٢/٤٨٩).

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾ معطوفٌ على ﴿مُحَمَّدٌ﴾، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ صفةٌ، و﴿أَشِدَّاءُ﴾ خبرٌ عن الجميع.

وقيل: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَشِدَّاءُ﴾ خبره، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر ﴿مُحَمَّدٌ﴾، ورجح ابن عطية هذا^(١).

والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية؛ فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصاً بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحق النبي ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال له: ﴿جَهَدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السیما: العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

الثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صُفْرة الوجه من السهر والعبادة.

الرابع: حُسْنُ الوجه؛ لما ورد في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»^(٢) وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلطٌ من

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وقال ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٥): «وبلغني عن محمد ابن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت [بن موسى الزاهد] فقال: باطل، شُبّه على ثابت، وذلك أن شريك كان مزارحاً، وكان ثابت رجلاً صالحاً فيشبهه أن يكون =

الراوي، فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروى عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غُرَّةً من الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرْبُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا، فيكون^(١) ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ كذلك.

والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من كثرة السجود.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي: وصفهم فيها، وتم الكلام هنا، ثم ابتداء قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

وقيل: إن ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ عطفت على ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ ثم ابتداء قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وتقديره: هم كزرع.

والأول أظهر؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدّم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك.

وعلى هذا: يكون ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ بمعنى التشبيه والتمثيل.

وعلى القول الآخر: يكون المثل بمعنى الوصف كـ ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.

= ثابت دخل على شريك وكان شريك يقول: الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال: فالتفت فرأى ثابتاً، فقال يمازحه: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه فحملة على ذلك، وإنما ذلك قول شريك والإسناد الذي قرأه متن حديث معروف.

(١) في أ، هـ: «فتكون».

﴿كَزَّرَجَ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للإسلام؛ حيث بدأ ضعيفاً، ثم قَوِيَ وظهر.

وقيل: الزرع مثلٌ للنبي ﷺ؛ لأنه بُعِثَ وحده فكان كالزرع حبةً واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطْءِ، وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال: بإسكان الطاء، وفتحها دون مد، وفتحها مع المد، وهي لغات.

﴿فَنَازَرَهُ﴾ أي: قَوَاه، وهو من المؤازرة بمعنى المعاونة.

ويحتمل أن يكون: الفاعل الزرع، والمفعول ﴿شَطْئَهُ﴾، أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوِّي الآخر.

وقيل: معناه: ساواه طولاً، فالفاعل على هذا: الشَّطْء.

ووزن ﴿ءَاَزَرَهُ﴾ أفعله، وقيل: فاعله.

وقرئ بقصر الهمزة على وزن فَعَلَ.

﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ أي: صار غليظاً.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ السُّوق: جمع ساق، أي: قام الزرع على سوقه.

وقيل: ﴿كَزَّرَجَ﴾ يعني: النبي ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ بأبي بكر، ﴿فَنَازَرَهُ﴾ بعمر، ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ بعثمان، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ بعلي بن أبي طالب.

﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لما دلَّ عليه المثل المتقدم من قوَّة المسلمين، فهو يتعلَّق بفعلٍ يدلُّ عليه الكلام تقديره: جعلهم الله كذلك؛ ليغيب بهم الكفار.

وقيل : يتعلّق بـ ﴿وَعَدَ﴾ ، وهو بعيد .

﴿مَنْهُمْ﴾ لبيان الجنس ، لا للتبويض ؛ لأنه وعدٌ عمّ جميعهم ﷺ .

• • • • •

﴿ سورة الحجرات ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ الْمَجْرِبِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا أَن نَصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ نَفِصُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَخِفَّ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّا فِي قُلُوبِكُمُ
وَكْرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهُم بَيْنَ الْبَغْيِ
وَاللَّعْنَةِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْصُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : لا تتكلموا بأمرٍ قبل أن يتكلم هو به ، ولا تقطعوا في رأي
إلا بنظره .

والثاني: لا تُقَدِّمُوا الولايةَ بمحضه؛ فإنه يقدِّم من شاء.

والثالث: لا تتقدَّموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب: ﴿لَا تَقْدَمُوا﴾ بفتح التاء والقاف والذال.

والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قومٌ مع النبي ﷺ، فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه: لا تفتنوا على الله شيئاً حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ.

وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾؛ لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحى الله^(١).
﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب؛ كرامة له وتعظيماً.

وسببها: أن بعض جفاة الأعراب^(٢) كانوا يرفعون أصواتهم.
﴿أَنْ تَحِطَّ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعت أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول ﷺ.
فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معاً من طريق المعنى.
وأما من طريق الإعراب:

فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو: ﴿وَلَا يَجْهَرُوا﴾.
وعند الكوفيين بالأول وهو: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾.

(١) في ج: «بوحى من الله».

(٢) في ب، هـ: «العرب».

وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن؛ لعظيم ما وقع فيه من ذلك.

وقيل: إن الآية خطاب للمنافقين، وهذا ضعيف؛ لقوله في أولها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق؛ فإنه يفعل جُرْأَةً وهو يقصده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر ؓ، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: «والله يا رسول الله لا كلمتك إِلَّا سِرًّا^(١)»، وكان عمر يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ.

ولفظها مع ذلك على عمومه.

ومعنى ﴿أَمْتَحَنَ﴾: اختبر، فوجدها كما يجب، مثل ما يُختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبًا.

وقيل: معناه: درَّبها للتقوى؛ حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف. وقيل: معناه: أخلصها الله للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الْحُجُرَاتِ﴾: جمع حُجْرة، وهي قطعة من الأرض يُحَجَّر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة.

ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ، فوقفوا خارجها ونادوا: «يا محمد!

(١) في ج، د: «إسرارًا».

اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا»، فكان في فعلهم ذلك جفاءً وبداءة وقلّة توقير، فتربّص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم -وهو الأقرع بن حابس-: يا محمد إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك!، ذلك الله تعالى»^(١).

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أن يكون فيهم قليلٌ ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم، لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضعَ^(٢) النفي. والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني: خيرًا في الثواب، وفي انبساط نفس النبي ﷺ لهم، وقضائه لحوائجهم. وإنكارُ فعلهم فيه تأديبٌ لهم، وتعليمٌ لغيرهم.

﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها: أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عتبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ زكواتهم^(٣)، فروي أنه كان معاديًا لهم، فأراد إذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصدقة وطرّدوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ بغزوهم،

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢٠٣)، والترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (٢٦٧/١٠).

(٢) في ب، هـ: «موقع».

(٣) في أ، د، هـ: «زكاتهم».

ونظر في ذلك، فَوَرَدَ وفُذِّهْم منكِرِين لذلك.

وروي أن الوليد بن عقبة لما قَرَّبَ منهم خرجوا إليه مُتَلَقِّينَ له، فرآهم على بعدٍ ففزع منهم وظنَّ بهم الشر، وانصرف فقال ما قال.

وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقةً ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال.

فالفاسق المشار إليه في الآية: هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفُسَّاق، حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟^(١).

ثم هي باقيةٌ فيمن اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر.

وقرئ:

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبيين.

و﴿تَبَيَّنُوا﴾ بالثاء من التَّبَيَّنَ^(٢)، ويقوي هذه القراءة: أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «التَّبَيَّنَ»^(٣) من الله، والعجلة من الشيطان»^(٤).

واستدلَّ بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول.

قال المنذر البلوطي: وهذه الآية تردُّ على من قال: إن المسلمين كلهم

(١) في أ، ه زيادة: «إن شئتم».

(٢) في أ، ب، ه: «التبيت».

(٣) في ب، ه: «التبيت».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٢/٢١) ولفظه: «التَّبَيَّنَ من الله...»، وعليه؛ فليس في هذه الرواية دلالة على تقوية هذه القراءة، بل فيها دلالة على تقوية القراءة الأولى.

عدول؛ لأن الله أمر بالتبين^(١) قبل القبول، فالمجهول الحال يُخشى أن يكون فاسقًا.

﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قَوْمًا بجهالة.

والإشارة إلى قتال بني المصطلق؛ لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي: لشقيتُم، والعنت: المشقة.

وإنما قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل: «لو أطاعكم»؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته ﷺ لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم^(٢) لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ﴾ الآية.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها:

فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله ابن أبي بن سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نثنُ حمارك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاحي الناس حتى وقع بين الطائفتين ضربٌ

(١) في ب، ج، د: «بالتبين».

(٢) في أ، هـ: «آرائهم».

بالجريد، ويروى: بالحديد.

وقيل: سبها أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهْدٍ.

ثم حُكِّمها باقٍ إلى آخر الدهر.

وإنما قال: ﴿أَفْتَتَلُوا﴾ ولم يقل: «اقتتلا»؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي في المعنى جمعٌ.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية.

فأما الفتن التي تقع بين المسلمين؛ فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيءٍ منها ولا القتال، وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وحجتهم: قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر»^(١)، وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجبٌ؛ لِتَكْفِ الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء.

وحجتهم: هذه الآية.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، مسلم (٦٤).

فإذا فرَّعنا على القول الأول: فإن دَخَلَ داخلٌ على مَنْ اعتزل الفريقين منزله، يريد نفسه أو ماله فعلية دفعه عن نفسه وإن أدَّى ذلك إلى قتله؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دون نفسه وماله فهو شهيد»^(١).

وإذا فرَّعنا على القول الثاني: فاختلَف مع من يكون النهوض في الفتن؟
فقل: مع السَّواد الأعظم.

وقيل: مع العلماء.

وقيل: مع مَنْ يرى أن الحقَّ معه.

وحكم القتال في الفتن: أن لا يُجهَّز على جريح، ولا يُطلب هارب، ولا يُقتل أسيرٌ، ولا يُقسَم فيءٌ.

﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ أي: ترجع إلى الحق.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية؛ لأن أقلَّ مَنْ يقع بينهم البغي اثنان.

وقيل: أراد بالأخوين: الأوس والخزرج.

وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ بالتاء على الجمع، وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ﴾ بالنون على الجمع أيضًا.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، مسلم (١٤١).

[يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِلْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَEْعُضُكُم بَEْعَضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾].

﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾ نهى عن السخرية، وهي الاستهزاء بالناس.
 ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: لعلَّ المسخورَ منه خيرٌ من الساخر عند الله، وهذا تعليلٌ للنهي.

﴿وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ﴾ لما كان القوم لا يقع إلَّا على الذكر ان عطف النساء عليهم.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض.
 واللمز: العيب، سواء كان بقولٍ أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة «الهمزة».

و﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ هنا بمنزلة قوله: ﴿فَلْيَلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ^(١).
 ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يدع أحد ^(٢) أحداً بلقب، والتنابز بالالقباب: التداعي بها.

(١) انظر (٣/٣١٨).

(٢) في د: «أحدكم».

وقد أجاز المحدثون أن يقال: الأعمش والأعرج ونحوه، إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

﴿يَسِّرْ الْإِثْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بـ ﴿الْإِثْمُ﴾: أن يُسَمَّى الإنسان فاسقًا بعد أن سُمِّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الفسوق وبين الإيمان، فمعنى ذلك: أن من فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنًا.

والآخر: بشئ ما يقوله الرجل للآخر: «يا فاسق» بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود: «يا يهودي».

الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، وهذا على مذهب المعتزلة^(١).

﴿اجْتَبِئُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ يعني: ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن.

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا: الكذب لقوله ﷺ: «الظن

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن» إلخ، أقول: الفرق بين الوجه الثاني والثالث أن المراد بالوجه الثاني أن المراد: من أطلق على أخيه (فاسق) على وجه السب مغايظة له لخصومة بينهما، فأما الثالث فمعناه الحكم على المسلم العاصي بأنه فاسق وليس بمؤمن، فيخرجه عن الإيمان، ويجعله في منزلة بين الإيمان والكفر، وهذا كما قال المؤلف على مذهب المعتزلة؛ فإنهم يجعلون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا هو كافر، فخالفوا أهل السنة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة معه أصل الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان، وخالفوا الخوارج الذين يقولون: مرتكب الكبيرة كافر، ثم يتفق الخوارج والمعتزلة على حكمه في الآخرة، وهو الخلود في النار.

أكذب الحديث»^(١)؛ لأنه قد لا يكون مطابقاً للأمر.

وقيل: إنما يكون إنمّا إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على دفع الخواطر.

واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إنم؛ فأمر باجتناب أكثر من الإثم؛ احترازاً من الوقوع في البعض الذي هو إثم.

﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبآت الناس.

وقرأ الحسن: ﴿تَحَسَّسُوا﴾ بالحاء.

والتجسس بالجيم: في الشر، وبالحاء: في الخير.

وقيل: التجسس: ما كان من وراء وراء، والتجسس - بالحاء -: الدخول والاستعلام.

﴿وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه.

والغيبة: هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل: يا رسول الله وإن كان حقاً؟ قال: «إذا قلت باطلاً فذلك البهتان».

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣).

وقد رُخص في الغيبة في مواضع؛ منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتًا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقييده أن جعله ميتًا؛ لأن الجيفة مستقدرة.

ويجوز أن يكون ﴿مَيْتًا﴾ حالًا: من الأخ، أو من لحمه.

وقيل: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قرره: «هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؟» أجابوا فقالوا: «لا نحب ذلك»، فقال لهم: «فكرهتموه»، وبعد هذا محذوف تقديره: «فكذلك فأكروهوا الغيبة التي هي تشبهه»، وحذف هذا؛ لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يُعطف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أبو علي الفارسي.

وقال الرُّماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصيرٌ عالم، والطبع أعمى جاهل.

وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة:

منها: الاستفهام الذي معناه التقرير.

ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة.

ومنها: إسناد الفعل إلى ﴿أَحَدُكُمْ﴾، والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك.

ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتًا.

ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً^(١).

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الذكر والأنثى هنا: آدم وزوجه^(٢).

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس، كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى^(٣).

والأول أظهر وأصلح؛ لقوله ﷺ: «الناس من آدم، وآدم من التراب»^(٤).

ومقصود الآية: التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبيّن الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب؛ إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله»^(٥).

وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج نساءنا لمواليينا؟

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب: جمع شعب - بفتح الشين -، وهو أعظم من القبيلة، وتحت القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأذنون.

(١) الكشف (٥٠٢/١٤).

(٢) في زيادة: «حواء».

(٣) المحرر الوجيز (٢٣/٨).

(٤) أخرجه أحمد (٨٧٣٥)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٢٧٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٠٠/٤).

فمُضَر وربيعة وأمثالهما : شعوبٌ، وقريش قبيلةٌ، وبنو عبد مناف بطنٌ،
وبنو هاشم فخذٌ - ويقال بإسكان الخاء؛ فرقاً بينه وبين الجارحة -،
وبنو عبد المطلب فصيلةٌ.

وقيل : الشعوب : في العجم، والقبائل : في العرب، والأسباط : في بني
إسرائيل .

ومعنى ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ : ليعرف بعضكم بعضاً .



[قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، أظهرها الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا، فأكذبهم الله في قولهم: «أما»، وصدقهم لو قالوا: «أسلمنا».

وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق^(١) بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين، وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فيه، حسبما ورد في مواضع آخر.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾: لا ينقصكم شيئاً من أجور أعمالكم.

وفيه لغتان:

يقال: لات، وعليه قراءة نافع: ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ بغير همز.

(١) في ب: «إلى النطق».

ويقال: ألت، وعليه قراءة من قرأ: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بهمزة قبل اللام.

فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا؛ ولا تُقبل الأعمال^(١) إلا من مؤمن؟

فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى: إن رجعت عما أنتم عليه من الإيمان بالسنتكم دون قلوبكم، وعملت أعمالاً صالحة فإن الله لا يتقصكم منها شيئاً.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْثَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين؛ لأنهم في شك، وكذلك قوله في هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الضَّالِّينَ﴾ تعريض أيضاً بالأعراب؛ إذ كذبوا في قولهم: آمنا.

وإنما عطف ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْثَابُوا﴾ بـ «ثُمَّ»؛ إشعاراً بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة.

﴿وَجَاهِدُوا﴾ يريد: جهاد الكفار؛ لأنه دليل على صحة الإيمان.

ويبعد أن يريد: جهاد النفس والشیطان؛ لقوله: ﴿يَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم.

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم، ولذلك قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(١) في د: «ولا يقبل الأعمال».

بمعنی : یُنعم علیکم .

أو بمعنى: يَذْكُرُ إِنْعَامَهُ، وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾.

﴿سورة ق﴾

[﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٧﴾ نَبْصِرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُثِيبٍ ٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١﴾ كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْجٍ وَأَصْحَبُ الرِّيسِ وَشُعُوْدٌ ١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ١٣﴾ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَّعٌ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾].

تكلّمنا على حروف الهجاء في «البقرة»^(١).

ويختصّ ﴿ق﴾:

بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله: القاهر، أو القادر.

وقيل: هو اسم للقرآن^(٢).

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في أ، هـ: «القرآن».

وقيل : هو اسم الجبل ^(١) الذي يحيط بالدنيا .

﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ من المجد، وهو الشرف والكرم .

وجواب هذا القسم محذوف، تقديره : ما ردُّوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب بـ «بل» .

وقيل : الجواب : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ .

وقيل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ .

وقيل : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ .

وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة .

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوا﴾ لكفار قريش، والمنذر : هو محمد ﷺ .

وقيل : الضمير لجميع الناس، واختاره ابن عطية، قال : ولذلك قال تعالى : ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢) أي : الكافرون من الناس .

والصحيح : أنه لقريش، وقوله : ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة ؛ لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول : «جاءني فلان، فقال الفاجر كذا» إذا قصدت ذمه .

(١) في د : «للجبل» .

(٢) المحرر الوجيز (٣٢ / ٨) ولم أقف من كلامه على ما يدل على أنه اختاره وارتضاه، وإنما حكاه عن جمهور المتأولين .

وقوله: ﴿مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾:

إن كان الضمير لقريش: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: من قبيلتهم، يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم.

وإن كان الضمير لجميع الناس: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: إنسان مثلهم.

وتعجبهم^(١) يحتمل^(٢) أن يكون:

من أن يبعث الله بشراً.

أو من الأمر الذي يتضمّنه الإنذار، وهو الحشر، ويؤيد هذا ما يأتي بعد.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في ﴿إِذَا﴾: محذوف، تقديره: أنبعث إذا متنا؟.

﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ الرجع مصدر: رَجَعْتُ، والمراد به: البعث بعد الموت، ومعنى ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع عندهم.

وقيل: الرجع: الجواب، أي: جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى.

وأما على الأول: فهو حكاية كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا ردٌّ على الكفار في إنكارهم للبعث.

ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم؛ فلا يصعب

(١) في أ: «وتعجبهم».

(٢) في د: «وتعجبهم تحيرهم، فيحتمل...».

علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إِلَّا عُجِبَ الذَّنْبُ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ»^(١) يُرَكَّبُ»^(٢).

وقيل: المعنى: قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم.

والأول قول ابن عباس والجمهور، وهو أظهر.

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيطٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ومعنى ﴿حَفِيطٌ﴾: جامع لا يَشِدُّ عنه شيء.

وقيل: معناه: محفوظ من التبديل والتغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول؛ للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم^(٣)، وهو التَّكْذِيبُ بالحق الذي هو النبوة، وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك.

وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره: «ما أجادوا النظر»، أو نحو ذلك^(٤).

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارة يقولون: ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم^(٥).

وقيل: معناه: منكر.

(١) في د: «ومنه» وهو موافقة لرواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) في أ: «تعجبهم».

(٤) المحرر الوجيز (٣٣/٨).

(٥) في دزيادة: «الفاصلة».

وقيل : ملتبس .

وقيل : مختلط .

﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ يعني : بالنجوم .

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي : من شِقَاقٍ ، وذلك دليلٌ على إتقان الصَّنعة .

﴿رَوَّسَى﴾ يعني : الجبال .

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي : من كل نوع جميل .

﴿مَاءٌ مُبْرَكًا﴾ يعني : المطر كله .

وقيل : إنما الماء المبارك مطر^(١) مخصوص يُنزله الله كل سنة ، وليس كل

المطر^(٢) يتصف بالبركة ، وهذا ضعيف .

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد .

﴿بَاسِقَتٍ﴾ أي : طويلات .

﴿طَلَعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطَّلَع : أول ما يظهر من التمر ، وهو أبيضٌ مَنَصَّدٌ كحَبِّ

الرُّمَان ، فما دام ملتصقًا ببعضه بعض فهو نضيد ، فإذا تفرَّق فليس بنضيد .

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تمثيلٌ لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من

الأرض

﴿وَأَحْبَبُ أَلْوَانٍ﴾ قومٌ كانت لهم برٌ عظيمة ، وهي الرِّسُّ ، بُعِثَ إليهم نبيٌّ

(١) في د : «ماء» .

(٢) في ب ، ج ، د : «مطر» .

فجعلوه في الرس وردموا عليه، فأهلكهم الله.

﴿وَأَحْبَبُ إِلَيْنَا﴾ يعني: قوم شعيب، وقد ذُكر^(١).

﴿وَقَوْمُ نِيعٍ﴾ ذكر في «الدخان»^(٢).

﴿غَقَّ وَعِيدٌ﴾ أي: حلَّ بهم الهلاك.

﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال: عَيَّي بالأمْرِ: إذا لم يعرف عمله.

والخلق الأول: خلق الإنسان من نطفة ثم من علقه.

وقيل: يعني: خلق آدم.

وقيل: خلق السموات والأرض.

والأول أظهر.

ومقصود الآية: الاستدلال بالخلق الأولى على البعث، والهمزة للإنكار.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شكٍّ من البعث، وإنما نكَّر

الخلق الجديد؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعَرَّفَ

الخلق الأول؛ لأنه معروف معهود.

❦ ❦ ❦

(١) انظر (٧٢٦/٢) (٣٧٨/٣).

(٢) انظر صفحة ٩٦.

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ٢٣ أَلْقَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ٢٥ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ٢٦ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْنَاهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ٢٨ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ٢٩].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: جنس الإنسان^(١)، ومعنى ﴿تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ تحدّثه به نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء.

وقيل: يعني: آدم، ووسوسته: عند أكله من الشجرة.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عِرْقٌ كبير في العنق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثلٌ في قُرْبِ الْقُرْبِ، والمراد به: قُرْبُ عِلْمِ اللَّهِ وإطلاعه على عبده.

وإضافة الحبل إلى الوريد:

كقولك: «مسجد الجامع».

(١) في ب، ج، د: «الناس».

أو يراد بالحبلى: العاتق^(١).

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ﴾ يعني: الملكين الحافظين الكائنين للأعمال.

والتلقي: هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته.

والعامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿وَحْنٌ أَقْرَبُ﴾.

وقيل: مضمّر تقديره: اذكر. واختاره ابن عطية^(٢).

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد.

وقيل: مُقَاعِد، بمعنى مُجَالِس، وردّه ابن عطية: بأن المُقَاعِد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان^(٣).

إنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: «عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيد من المتلقين»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقال الفراء: لفظ «قعيد» يدلّ على الاثنين والجماعة^(٤)؛ فلا يُحتاج إلى حذف.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد: الحاضر، وفي الحديث أن

(١) عبارة الكشف (١٤/٥٣٦): «أن يُراد: حبلى العاتق، فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضو واحد»، فلعلّ الأقرب في عبارة ابن جزي أن تكون: «أو يراد بالوريد العاتق»، فيكون الحبلى الذي هو الوريد مضافاً إلى العاتق؛ أي: حبلى العاتق، فلا يكون الشيء مضافاً إلى نفسه.

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٩).

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩-٤٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٧٧).

رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الشئتين»^(١)، قلمهما اللسان، ومدادهما الريق»^(٢).

وعموم الآية يقتضي: أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك.

وقال عكرمة: إنما تكتب^(٣) الحسنات والسيئات لا غير.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بقاء الله، أو فراق الدنيا.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق.

وإنما قال: ﴿وَجَاءَتْ﴾ بالماضي؛ لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال.

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيذٌ﴾ أي: تفر وتهرب، والخطاب للإنسان.

﴿سَاقٍ وَشَهِيدٌ﴾ السائق: ملك يسوقه.

وأما الشهيد:

ف قيل: ملك آخر يشهد عليه، وهو الأظهر.

وقيل: صحائف الأعمال.

(١) في د: «الشفتين»، والمثبت موافق لما في الرواية عند الثعلبي.

(٢) أخرج الثعلبي بإسناده في تفسيره الكشف والبيان (٩/٩٩).

(٣) في ب، ج: «تكتب».

وقيل : جوارح الإنسان .

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ خطابٌ للإنسان الذي يقتضيه قوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، يريد : أنه كان غافلاً عما لقي في الآخرة .

وقيل : هو خطابٌ لمحمد ﷺ ؛ أي : كنت في غفلة من هذا القصص ؛ وهذا في غاية الضعف ؛ لأنه خروجٌ عن سياق الكلام .

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكشف الغطاء : معانيّة أمور الآخرة .

﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي : يُبَصِّرُ ما لم يكن يبصره قبل ، قال رسول الله ﷺ : «الناس نيامٌ ؛ فإذا ماتوا انتبهوا»^(١) .

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ القرين هنا : الشيطان الذي كان يُغويه .

وقيل : الملك الذي يسوقه .

وقيل : الملك الذي يتولّى عذابه في جهنم .

والأول أرجح ؛ لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله : ﴿نُقِضَ لَهُ شِطْرَانَا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

ومعنى قوله : ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ ، أي : هذا الإنسان حاضرٌ لديّ ، أَعْتَدْتُهُ وَبَسَّرْتُهُ^(٢) لجهنم .

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٩٩٣/٢) : «لم أجده مرفوعاً ، يعزى إلى علي ابن أبي طالب» ، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص : ٦٩١) : «هو من قول علي ابن أبي طالب» .

(٢) في ب : «واحتضرته» .

وكذلك المعنى إن قلنا : إن القرين هو الملك السائق .

وإن قلنا : إنه أحد الزبانية : فمعناه : هذا العذاب لديّ حاضرٌ .

ويَحْتَمِلُ أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿مَا لَدَيَّْ﴾ : موصوفةٌ أو موصولة .

[أ-] فإن كانت موصوفة : فـ ﴿عِنْدُ﴾ صفة لها .

[ب-] وإن كانت موصولة : فـ ﴿عِنْدُ﴾ :

بدلٌ منها .

أو خبرٌ بعد خبر .

أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف .

و﴿مَا﴾ هي خبر المبتدأ^(١) على هذه الوجوه .

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿عِنْدُ﴾ الخبر ، وتكون ﴿مَا﴾ :

بدلاً من ﴿هَذَا﴾ .

أو منصوبة بفعل مضمَر .

﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطابٌ للملكين السائقين والشهيد .

وقيل : إنه خطابٌ لواحد :

على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف .

أو على أن يكون معناه : «ألقى ألقى» فتنى مبالغةً وتأكيذاً .

(١) وهو ﴿هَذَا﴾ من قوله : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّْ عِنْدُ﴾ .

أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: «خليلي»، و«صاحبي».

وهذا كله تكلفٌ بعيد.

ومما يدلُّ على أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿فَالْيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿مَنَعَ لِلْغَيْرِ﴾ قيل: مناع للزكاة^(١) المفروضة.

والصحيح: العموم.

﴿مُرِيبٌ﴾ شاكٌ في الدين؛ فهو من الرِّيب بمعنى الشك.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل:

أن يكون مبتدأ، وخبره ﴿فَالْيَا﴾، وأدخل فيه الفاء؛ لتضمُّن معنى الشرط.

أو يكون بدلًا أو صفةً، ويكون ﴿فَالْيَا﴾ تكرارًا؛ للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ القرين هنا: شيطانه الذي وُكِّلَ به في الدنيا بلا خلاف.

ومعنى ﴿مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره.

وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قبل هذا؛ فإنه عطفت.

﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين.

(١) في أ، هـ: «قيل: معناه الزكاة».

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ أي: قد حكمتُ بتعذيب الكفار؛ فلا تبديل لذلك.
وقيل: معناه: لا يكذب أحدٌ لديّ؛ لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على
هذا: إلى قول القرين: ﴿مَا أَطَقَيْتُهُ﴾.

[يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ٣٥) وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٣٦) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٧) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَنِيِّ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ٣٨) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ٣٩) لَمْ يَأْ بَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٤٠) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ٤١) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٤٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُغُوبٍ ٤٣) فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٤٤) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ٤٥) وَاسْمَعْ يَوْمَ بُدِّدِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ٤٦) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ٤٧) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ٤٨) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ٤٩) ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ٥٠) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ٥١].

﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ الفعل مسندٌ إلى جهنم .

وقيل : إلى خزنتها من الملائكة .

والأول أظهر .

واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة ، أو مجازًا بلسان الحال ؟

والأظهر : أنه حقيقة ، وذلك على الله يسير .

ومعنى قولها : ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ .

وقيل : معناه : لا مزيد ؛ أي : ليس عندي موضعٌ للزيادة ، فهي على هذا قد

امتلات .

والأول أظهر وأرجح؛ لما ورد في الحديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه»^(١)، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه.

والمزيد يحتمل أن يكون: مصدرًا كالمحيض، أو اسم مفعول.
فإن كان مصدرًا: فوزنه مَفْعِل.

وإن كان اسم مفعول: فوزنه مَفْعُول.

﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِبَتْ، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو من: آب يؤوب: إذا رجع.

وقيل: هو المسيح لله؛ من قوله: ﴿يَجِئَالِ أَوْيَ مَعَهُ﴾ (سبا: ١٠).

﴿حَفِظَ﴾ أي: حافظ لأوامر الله فيفعلها، ولتواهيه فيتركها.

﴿مَنْ حَتَّى الرَّحْمَنِ بِالْقَبِيبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال.

و﴿مَنْ حَتَّى﴾ بدل، أو مبتدأ.

فإن قيل: كيف قرَن بالخشية الاسم الدالَّ على الرحمة؟

فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الشناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) الكشف (٥٥٢/١٤).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ الرَّحْمَنَ قَدْ صَارَ يَسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَ بِصِفَةٍ، كَقَوْلِنَا: اللَّهُ.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني: النظر إلى وجه الله، كقوله: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ﴾ [يونس: ٢٦].

وقيل: يعني: ما لم يخطر على قلوبهم، كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير في ﴿هُمْ﴾ للقرون المتقدمة، وفي ﴿مِنْهُمْ﴾ لكفار قريش.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا فيها.

وأصله: دخولها من أنقابها، أو من التَّنْقِيبِ عن الأمر؛ بمعنى البحث عنه.

﴿هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ﴾ أي: قالوا: هل من مهرب عن الله؟، أو عن العذاب؟.

﴿لِمَنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يعقل ويفهم.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضر القلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ تُغُوبٍ﴾ اللُّغُوبُ: الإعياء والتعب.

﴿فَأَصْرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار قريش وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين^(١).

وقال ابن عطية: معناه: صلّ بإجماع من المتأولين^(٢). وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس ف﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: العصر والظهر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء. وقيل: هي^(٣) النوافل.

﴿وَإِذْبَرِ الشُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب ؓ: يعني: الركعتين بعد المغرب.

وقال ابن عباس: هي النوافل بعد الفرائض. وقيل: الوتر.

﴿وَأَسْمِعْ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ على أنه مفعول به صريح.

وقيل: المعنى: استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا: لا يكون عاملاً في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ويوقف على ﴿وَأَسْمِعْ﴾. والأول أظهر.

(١) الكشف (١٤/٥٥٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٧).

(٣) في ب، ج: «يعني».

﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمَاءُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا : هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، قيل ^(١) : إنما وصفه بالقرب ؛ لأنه يسمعه جميع الخلق .

وقيل : المكان : صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب : لقربها من مكة .

وقيل : لقربها من السماء ؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا ، وهذا ضعيف .

﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ يعني : خروج الناس من القبور .

﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ﴾ العامل في هذا الظرف : معنى قوله : ﴿حَسْرَةً عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ . أو هو بدلٌ مما قبله .

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي : بقهَّار تقهرهم على الإيمان ، فهو كقوله : ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الغاشية : ٢٢] .

وقيل : إنه إخبارٌ بأنه ﷻ رؤوف بهم ، غيرُ جَبَّارٍ عليهم ، وهذا أظهر .

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله : ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [فاطر : ١٨] ؛ لأنه لا ينفع التذكيرُ إلَّا فيمن ^(٢) يخاف .

❦ ❦ ❦

(١) في أ ، ب : «وقيل» .

(٢) في د : «من» .

﴿سورة الذاريات﴾

[﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ ﴿٢﴾ وَقَرَأَ ﴿٣﴾ فَالْجَارِيَتِ بُرْمًا ﴿٤﴾ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعَ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٨﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٩﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ ﴿١٠﴾ قُلُوبُ الْفَرَّاصُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهَوْنَ ﴿١٢﴾ بِسَلْوَىٰ آيَاتِ يَوْمِ الَّذِينَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٤﴾ ذُوقُوا فَنتنكم هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ يَخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَحِيزِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْبَلِّ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَإِلَّا نَسْتَعِزَّ بِهِمْ بِسُلْطَانٍ هُمْ كَاثِبُونَ ﴿١٩﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٠﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ لَحَقُّ بَلِّ مَّا أَنتُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٤﴾].

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾﴾ هي ^(١) الريح تَذَرُو ^(٢) التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذَرُهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

وانتصب ﴿ذَرَوْا﴾ على المصدرية.

﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَأَ ﴿٢﴾﴾ هي السحاب تحمل المطر.

والوقر: الحمل، وهو مفعول به.

(١) في ب، ج: «يعني».

(٢) في أ، هـ: «تذرو».

﴿فَالْجُرَيْتِ بُرَا﴾ ٢ هي السفن تجري في البحر.

وإعراب ﴿بُرَا﴾ : صفة لمصدر محذوف، ومعناه : بسهولة.

﴿فَالْمُقْسَمِ أَمْرًا﴾ ٣ هي الملائكة تقسم أمر الملكوت، من الأرزاق والآجال وغير ذلك.

و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به.

وقيل : إن ﴿الْحَمَلَتِ وَفْرًا﴾ : السفن.

وقيل : جميع الحيوان الحامل.

وقيل : إن ﴿الْجُرَيْتِ بُرَا﴾ : السحاب.

وقيل : الجواري من الكواكب.

والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ٤ هذا جواب القسم.

ويحتمل ﴿تُوعَدُونَ﴾ أن يكون : من الوعد أو من الوعيد.

والأظهر : أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.

﴿وَإِنَّ إِلَيْنَا لَوَفٌّ﴾ ٥ الدين هنا : الجزاء.

وقيل : الحساب.

﴿وَالْمَاءِ ذَاتِ الْحَبِّ﴾ ٦ أي : ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في

الماء إذا هبت عليه الرياح^(١)، وكذلك حُبُّ الزرع، وهي الطرائق التي فيه.

(١) في ب، د : «الريح».

وقيل : الحبك : النجوم .

وقيل : زينة السماء .

وقيل : حسن خلقتها .

وواحد الحبك : جباك أو حبيكة .

﴿ إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾ (٨) يحتمل :

أن يكون خطاباً لجميع الناس ؛ لأنهم اختلفوا ، فمنهم مؤمن ومنهم كافر .

ويحتمل أن يكون خطاباً للكفار خاصة ؛ لأنهم اختلفوا فقال بعضهم :

ساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : شاعر .

﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ (٩) معنى ﴿ يُؤْفَكُ ﴾ : يُصْرَف .

والضمير في ﴿ عَنْهُ ﴾ يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : أن يكون للنبي ﷺ ، أو للقرآن ، أو للإسلام .

والمعنى : يصرف عن الإيمان به من صرف ، أي : من سبق في علم الله أنه

مصروف .

والثاني : أن يكون الضمير لـ ﴿ مَا تُوعَدُونَ ﴾ ، أو للدين المذكور .

والمعنى : يصرف عن الإيمان به من صرف .

الثالث : أن يكون الضمير للقول المختلف .

والمعنى : يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته .

وهذا القول حسنٌ، إلّا أن عُرِف الاستعمال في «أَفْكَ يُؤَفِّكَ» إنما هو في الصَّرْف من خير إلى شر، وهذا من شرٍّ إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف، وتكون «عن» سببية.

والمعنى: يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان.

﴿قِيلَ الْخَرُصُونَ ۝١٠﴾ دعاءٌ عليهم، كقولهم: قاتلك الله.

وقيل: إن ﴿قِيلَ﴾ بمعنى: لعن.

قال ابن عطية: واللفظة لا تقتضي ذلك^(١).

وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى: لعن وقُبِّح^(٢).

﴿الْخَرُصُونَ﴾: الكذّابون، وأصل الخرص: التخمين والقول بالظن.

والإشارة: إلى الكفار.

وقيل: إلى الكهان.

والأول أظهر.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ الغمرة: ما يغطي عقل الإنسان،

وأصله: غمرة الماء، والمراد به هنا: الجهالة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ۝١٢﴾ أي: يقولون: «متى يوم الدين؟» على وجه

(١) المحرر الوجيز (٦٥/٨).

(٢) الكشف (١٢/١٥).

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) هذا جوابٌ عن سؤالهم.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُحَرِّقُونَ وَيُعَذِّبُونَ، ومنه قيل للحرّة: «فَتِينٌ»؛ كأن الشمس أحرقت حجارته.

ويحتمل أن يكون ﴿يَوْمَ هُمْ﴾:

[أ-] معرباً، والعامل فيه مضمر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون.

[ب-] وأن يكون مبنياً؛ لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون: في موضع نصبٍ بالفعل المضمر حسبما ذكرنا.

أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا حرّقكم.

﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعمة^(١).

وقيل: المعنى: آخذين في الدنيا ما آتاهم^(٢) ربهم من شرعه.

والأول أظهر وأرجح؛ لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٤) الهجوع: النوم.

وفي معنى الآية قولان:

(١) في د: «والنعيم».

(٢) في أ، هـ: «أعطاهم».

أحدهما - وهو الصحيح - : أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل،
ويقطعون أكثر الليل بالسهرة في الصلاة والتضرع والدعاء.

والآخر : أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً.

ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين :

فأما على القول الأول : ففي الإعراب أربعة أوجه :

الأول : أن يكون ﴿قَلِيلًا﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾ و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بـ ﴿قَلِيلًا﴾ ؛
لأن قليلاً صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ﴿مَا﴾ مصدرية ، والتقدير : كانوا
قليلاً هجوعهم من الليل .

والثاني : مثل هذا ، إلا أن ﴿مَا﴾ موصولة ، والتقدير : كانوا قليلاً الذين
يهجعون فيه من الليل .

والثالث : أن تكون ﴿مَا﴾ زائدة ، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف ، والعامل فيه
﴿يَهْجَعُونَ﴾ ، والتقدير : كانوا يهجعون وقتاً قليلاً من الليل .

والرابع : مثل هذا ، إلا أن قليلاً صفة لمصدر محذوف ، والتقدير : كانوا
يهجعون هجوعاً قليلاً .

وأما على القول الثاني : ففي الإعراب وجهان :

أحدهما : أن تكون ﴿مَا﴾ نافية ، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف ، والعامل فيه :
﴿يَهْجَعُونَ﴾ ، والتقدير : كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل .

والآخر : أن تكون ﴿مَا﴾ نافية ، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر «كان» ، والمعنى : كانوا
قليلاً في الناس ، ثم ابتداء بقوله : ﴿مَنْ أَلَّيْلٍ مَا يَهْجَعُونَ﴾ .

وكلا الوجهين باطلٌ عند أهل العربية؛ لأن «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى بطلان إعرابه.

﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار: آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له»^(١).

وقيل: معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يصلُّون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الحق هنا: نوافل الصدقات.

وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يُحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وإن كان غير واجب.

وقال بعض العلماء: في المال حقٌ سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية^(٢).

واختلف الناس في المحروم، حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟^(٣)

فقليل^(٤): المحروم: الذي ليس له في بيت المال سهم.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٤٠٨/٨).

(٣) تفسير الطبري (٥١٨/٢١).

(٤) في أ، د، هـ: «وقيل».

وقيل: الذي اجتاحت ثمرته.

وقيل: الذي ماتت ماشيته.

وقيل: هو الكلب.

وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرّمه الله المال بأيّ وجه كان.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسة آلاف حكمة.

وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم كله.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣١) معنى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر.

وقيل: القضاء والقدر.

ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد أو الوعيد والكل في السماء، ولذلك قيل: يعني: الجنة والنار.

وقيل: (١) الخير والشر.

﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير:

لما تقدّم من الآيات والرزق.

أول ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

(١) في ب زيادة: «يعني».

﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ أي : حقٌّ مثلَ نُطْقِكُمْ لا يمكن الشكُّ فيه ، و﴿مَا﴾ زائدة .

وقرئ ﴿مِثْلَ﴾ بالنصب والرفع :

[أ-] فالرفع : صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾ .

[ب-] والنصب :

على الحال من ﴿حَقٌّ﴾ ، أو من الضمير المستتر فيه .

أو صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾ ، وبُني لإضافته إلى مبنيٍّ ، أو لتركيبه مع ﴿مَا﴾ فيصير نحو : «أينما» و«كلما» .



[هَلْ أَنتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٥﴾ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَهُ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿١٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَدٍ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾ قَالُوا مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَادًا مِنْ طِينٍ ﴿٢٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٢٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَحْنُونُ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْتَهُ يَحُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٣٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا نُهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٣٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾].

﴿هَلْ أَنتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا: التفخيم والتهويل.

وضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط.

ووصفهم بـ: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾:

لأنهم مكرمون عند الله.

أو لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدّمهم بنفسه، وعجل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ على هذا: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نُصِبَ هذا؛ لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمَر.

ورُفِعَ الثاني؛ لأنه خبر، تقديره: أمري سلامٌ.

وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة.

وإن كان بمعنى التحية:

فإنما رفع الثاني؛ ليدلّ على إثبات السلام، فيكون قد حيّاهم بأكثر مما حيوه.

ويتنصب السلام الأول - على هذا - على المصدرية، تقديره: سلّمنا عليك سلامًا.

ويرتفع الثاني بالابتداء، تقديره: سلامٌ عليكم.

﴿فَوَمُّ مَكْرُونٌ﴾ أي: لم يعرفهم.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَلَا﴾:

حُضًا على الأكل.

أو تكون الهمزة للإنكار، دخلت على «لا» النافية.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام؛ لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾

﴿فِي صَرَءَ﴾ أي: صيحة، وذلك قولها: ﴿يَوْنِلَقَ إِلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] وهو من صَرَ القلم وغيره: إذا صَوَّت.

وقيل: معناه: في جماعة من النساء.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حياءً منهم وتَعْجَبًا^(١) من ولادتها وهي عجوز.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت أنا عجوز عقيم؛ فكيف ألد؟

أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم^(٢)؟

والخطب أكثر ما يقال^(٣) في الشدائد.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: قوم لوط.

وقد ذكرنا الحجارة و﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ في «هود»^(٤).

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط؛

لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها.

والمراد بـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: لوط وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية؛

لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها.

(١) في أ، هـ: «تعجباً».

(٢) في أ، هـ: «وجزعكم»!.

(٣) في أ، هـ: «يكون».

(٤) انظر (٦٠٥/٢).

ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين ؛ لأنهم جمعوا الوصفين .
وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في «الأحزاب»^(١) .

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف :

على قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

أو على قوله : ﴿وَتَرْكَا فِيهَا آيَةً﴾ .

﴿فَتَوَلَّىٰ بَرَكِيهٖ﴾ معنى ﴿تَوَلَّى﴾ : أعرض عن الإيمان .

وركنه : سلطانه وقوته .

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي : قال : إن موسى ساحرٌ أو مجنون ، ف ﴿أَوْ﴾
للسك ، أو للتقسيم .

وقيل : بمعنى الواو وهذا ضعيف ، ولا يستقيم هنا .

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي : فعل ما يُلام عليه ، يعني : فرعون .

﴿الرَّيْحَ الْعَاقِمِ﴾ وصفها بالعقم ؛ لأنها لا بركة فيها من إنشاء مطرٍ أو إلقاح
شجر .

﴿كَالْمِيزِ﴾ أي : الفاني المتقطع .

والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أُذن للريح أن تُهلكه .

﴿وَفِي نَمُوذٍ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَسْبَعُوا حَتَّىٰ جِئَ ﴿١٦﴾﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحين : هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة .

والآخر: أن الحين: من أول بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا: يكون ﴿فَعَمَّوْا﴾ مرتبًا بعد تمتعهم.

وأما على الأول: فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتب على ما قبله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعَقَةُ﴾ يعني: الصيحة التي صاحها جبريل.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها؛ لأنها كانت بالنهار.



[﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (١٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ (١٨) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٩) ﴿فَقَرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢١) ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٢٢) ﴿أَتَوْاصُوا بِبَيْتِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٢٣) ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ (٢٤) ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَئِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٥) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ (٢٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٢٨) ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ (٢٩) ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾].

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة.

وانتصب ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ بفعل مضمر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: قادرون؛ فهو من الوُسْع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى الْوُسْعِ قَدَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: القوي على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعة، أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ الماهد: الموطئ للموضع.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: نوعين مختلفين، كالليل والنهار،

والسواد والبياض، والصحة والمرض، وغير ذلك.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أمرٌ بالرجوع إليه ^(١) بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذيرٌ وترهيب.

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ توقيفٌ وتعجيب، أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضًا أن يقول ذلك.

﴿فَقُلْ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلغت الرسالة؛ فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه: خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي.

وقيل: ليتذللوا لي؛ فإن جميع الإنس والجن متذللٌ.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾ أي: لا أريد أن يطعموني؛ لأنني منزّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيٌّ عن العالمين ^(٢).

وقيل: المعنى: ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوُّزًا.

وقيل: معناه: ما أريد أن ينفعوني؛ لأنني غنيٌّ عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام.

والأول أظهر.

(١) في أ، هـ: «إلى الله».

(٢) في د: «عن العطاء».

﴿الْمَتِينُ﴾ أي : الشديد القوة .

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ الذنوب : النصيب ، ويريد به هنا : نصيباً من العذاب ، وأصل الذنوب : الدلو .

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : كفار قريش ، وبـ ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ : من تقدم من الكفار .

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ١٠٠ ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ :

يوم القيامة .

أو يوم هلاكهم بيدر .

والأول أرجح ؛ لقوله في «المعارج» : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج : ٤٤] يعني : يوم القيامة .



﴿ سورة الطور ﴾

[﴿ وَالطُّورِ ١ ﴾ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ٢ ﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ٣ ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ ﴾ وَالسَّافِ
 الْمَرْفُوعِ ٥ ﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ ﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ ﴾ يَوْمَ تَمُورُ
 السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ ﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ
 يَلْعَبُونَ ١٢ ﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ ﴾
 أَفَيْحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ ﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ
 إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ ﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ ﴿ فَتَكْبِهِينَ بِمَا أَنَّهُنَّ
 رَبُّهُنَّ وَوَقَّهَهُنَّ رَبُّهُنَّ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ ﴿ مُتَكَبِّرِينَ
 عَلَى سُرُرٍ مَصْشُوفَةٍ وَزَوَّجَهُنَّ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١ ﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَنَاحِهِ
 وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ ﴿ يَشْرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ٢٣ ﴿ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ٢٤ ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي
 أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ ٢٦ ﴿ فَسَبَّحَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ٢٧ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨ ﴾] .

﴿ وَالطُّورِ ١ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ .

وقيل : الطور : كلُّ جبل ، فكأنه أقسم بجنس الجبال .

﴿ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ٢ ﴾ قيل : هو اللوح المحفوظ .

وقيل : القرآن .

وقيل : صحائف الأعمال .

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٢٢٢ ﴾ الرُّقُّ في اللغة : الصحيفة ، وَخُصِّصَتْ في العُرف بما كان من جلد .

والمنشور : خلاف المطوي .

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ هو بيتٌ في السماء السابعة ، يدخله ^(١) كلُّ يوم سبعون ألف ملك ، ولا يعودون إليه أبداً ، وبهذا هو عمرانه ، وهو حِيال الكعبة .

وقيل : البيت المعمور : الكعبة ، وعمرانها : بالحجاج والطائفين .

والأول أشهر ، وهو قول علي وابن عباس .

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٢٢٣ ﴾ يعني : السماء .

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٢٢٤ ﴾ هو بحر الدنيا .

وقيل : بحر في السماء تحت العرش .

والأول أظهر وأشهر .

ومعنى ﴿ الْمَسْجُورِ ﴾ : المملوء ماءً .

وقيل : الفارغ من الماء ، ويُروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة .

واللغة تقتضي الوجهين ؛ لأن اللفظ من الأضداد .

(١) في ب : 'يدخل إليه في' .

وقيل : معناه : الموقد نارًا ، من قولك : سجرتُ التنورَ ، واللغة أيضًا تقتضي هذا ، وروي أن جهنم في البحر .

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) هذا جواب القسم ، ويعني : عذاب الآخرة .

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (٨) أي : تجيء وتذهب .

وقيل : تدور .

وقيل : تنشق^(١) .

والعامل في الظرف : ﴿لَوَاقِعٌ﴾ ، أو ﴿دَافِعٌ﴾ ، أو محذوف .

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ (٩) الخوض : التخبط في الأباطيل ، شبه بخوض الماء .

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أي : يُدفعون بتعنيف^(٢) .

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من الظرف المتقدم .

﴿أَفِخْرُ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر .

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ﴾ توبيخ أيضًا لهم ، وتهكم بهم ؛ أي : هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلَّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق ؟

(١) في ب ، ج ، هـ : «تنشق» .

(٢) في ب : «يعنف» .

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد: التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا تنفعهم، ولا تخفف عنهم شيئاً من العذاب.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس.

﴿فَنَكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

معناه: أصحاب فاكهة، فيكون نحو: «لَا بِنِ»، و«تَامِرٍ».

أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور.

﴿وَوَقَّعَهُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أو على ﴿إِنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

أو تكون الواو للحال.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا.

﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلاً هنيئًا.

ويحتمل أن يكون واقعًا موقع فعلٍ تقديره: هنأكم الأكل والشرب.

﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ الحور: جمع حَوْرَاءَ، وهي الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها.

والعين: جمع عَيْنَاءَ، وهي الكبيرة العين^(١) مع جمالها.

وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿يُحَوِّرُ﴾؛ لأنه تضمن قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾

(١) في ب، ج، د: «العينين».

معنى: قرّناهم، قاله الزمخشري، وقال: إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ معطوف على بحور عين أي: قرناهم بحور؛ للتلذُّذ بهنَّ، وبالذين آمنوا؛ للأنس معهم^(١).
والأظهر: أن الكلام تمَّ في قوله: ﴿بِحُورٍ عَيْنٍ﴾، ويكون ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ، خبره ﴿الْحَقْنَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه»^(٢)، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء.

ف قيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغاراً.

وقيل: على الإطلاق في أولاد^(٣) المؤمنين.

و﴿بِإِيمَانٍ﴾ في موضع الحال من الذرية، والمعنى: أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان.

وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ ﴿الْحَقْنَا﴾، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم^(٤).

والأول أظهر.

فإن قيل: لم قال: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ بالتنكير؟

(١) الكشف (٤٩/١٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٢٨/٩)، والحاكم في المستدرک (٥٠٩/٢).

(٣) في ج، د: «الأولاد».

(٤) الكشف (٤٩/١٥).

فالجواب: أن المعنى: بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء، فالمراد: تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفعَ درجاتهم، فكيف إذا كان إيماناً عظيماً؟.

﴿وَمَا أَلْنَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصناهم من ثواب أعمالهم، بل وقَّينا لهم أجورهم.

وقيل: المعنى: ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضُّلاً؛ زيادةً إلى ثواب أعمالهم.

والضمير على القولين: يعود على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وقيل: إنه يعود على الذرية.

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَبَنٌ، فإمّا أن تنجيه حسنة، أو تهلكه سيئاته.

﴿وَأَمْدَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ الإمداد: هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب.

﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ اللغو: الكلام الساقط، والتأنيث: الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يعني: خُدّامهم.

﴿كَانَتْهُمْ لَوْلُؤٌ مَكُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه.

وقيل: هو الذي لم يخرج من الصّدَف.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَوَفِينَ﴾ ﴿٢١﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿السَّمُورُ﴾ أشدُّ الحر.

وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى نعبد.

أو من الدعاء بمعنى الرغبة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون: في الدنيا قبل لقاء الله.

﴿أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ البرُّ: الذي يبرُّ عباده ويحسن إليهم.

وقرئ ﴿أَنَّهُ﴾:

بفتح الهمزة: على أن يكون مفعولاً من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به.

وقرئ بكسرها: على الاستئناف.



[فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ رَبِّ الْمُنُونِ ﴿٤٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِينِ ﴿٤١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْبُطُونَ ﴿٤٧﴾ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٤٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٥٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٥٩﴾].

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: ذكّر الناس.

ثم نفى عنه ما نسب إليه الكفار من الكهانة والجنون.

ومعنى ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بسبب إنعام الله عليك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّ الْمُنُونِ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع وفيما بعده: للاستفهام بمعنى الإنكار.

والتربص: الانتظار.

و﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾: حوادث الدهر.

وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت: إنما هو شاعر ننتظر^(١) به ريب المنون، فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، كزهير والنابعة.

﴿قُلْ رَرَّصُوا﴾ أمرٌ على وجه التهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَلْعَلُّهُمْ يَهْدَى﴾ الأحلام: العقول؛ أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟.

والإشارة:

إلى قولهم: هو شاعر.

أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب.

وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز، كقوله: ﴿أَصْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل».

ويحتمل أن تكون بمعنى: «بل» وهمزة الاستفهام، بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه.

وضمير الفاعل: لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول: للقرآن.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ ردٌّ عليهم، وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: أم خلقوا من غير ربٍّ أنشأهم واستعبدهم؛ فهم من

(١) في ب، د: «نتربص».

أجل ذلك لا يعبدون الله؟.

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم، كالجماادات؛ فهم لا يؤمرون ولا يُنهون كحال الجماادات؟

الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم؟، فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق؟

وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ المعنى: أعندهم خزائن الله بحيث ^(١) يستغنون عن عبادته؟

وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا، ويمنعون من شاءوا، ويخصّون بالنبوة من شاؤوا؟

﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون.

وقيل: المصيطر: المسلط القاهر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به ^(٢) إلى السماء، فيسمعون ما تقول الملائكة، بحيث يعلمون صحة دعواهم؟، ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة على دعواهم.

(١) في ب زيادة: «إنهم» وفي ج: «هم».

(٢) في ب، ج: «فيه».

﴿أَمْ تَنْتَهُمُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٠) المعنى : أتسألهم على الإسلام أجرة، فيثقل عليهم غرمها ؛ فيشق عليهم اتباعك؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) المعنى : أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا : لا نبعث ؛ وإن بعثنا لم نعذب؟

وقيل : المعنى : فهم يكتبون للناس سنناً وشرائع من عبادة الأصنام وتسبب السوائب وشبه ذلك .

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجة .

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي : المغلوبون في الكيد .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : من تقدّم الكلام فيهم، وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمّر .

ويحتمل أن يريد جميع الكفار .

﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى : هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟

وحصر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم ؛ ليبين أن تكبرهم من غير موجب، وكفرهم من غير حجة .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (٤٢) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفاً من السماء .

فالمعنى : أنهم لو رأوا الكسف ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا : ليس بكسف وإنما هو سحب مركوم ، أي : كثيف بعضه فوق بعض .

﴿فَذَرَّهُمْ﴾ منسوخ بالسيف .

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني : يوم القيامة .

والصعقة فيه : هي النفخة الأولى .

وقيل غير ذلك ، والصحيح ما ذكرنا ؛ لقوله في «المعارج» عن يوم القيامة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج : ٤٤] .

﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني : قتلهم يوم بدر .

وقيل : الجوع بالقحط .

وقيل : عذاب القبر .

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي : اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم ؛ فإننا نراك .

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه قول «سبحان الله» ، ومعنى ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ : حين تقوم من كل مجلس .

وقيل : أراد : حين تقوم وتقعّد وفي كل حال ، وجعل القيام مثلاً .

الثاني : أنه الصلوات النوافل .

والثالث : أنها الصلوات الفرائض ، فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر ،

أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَإِذْ بَرَ
النُّجُومِ﴾: الصبح.

ومن قال: هي النوافل، جعل ﴿وَإِذْ بَرَ النُّجُومِ﴾: ركعتي الفجر.



﴿سورة النجم﴾

[وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَّتْ أَلْعُرَىٰ ⑲ وَمَتَنَ الْوَسْطَىٰ ⑳ الْأُخْرَىٰ ㉑ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَىٰ ㉒ تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِرْبَىٰ ㉓ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ㉔ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ㉕ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ㉖].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الثريا ؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم ، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾ : غرب ، أو انتثر يوم القيامة .

الثاني : أنه جنس النجوم ، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾ : كما ذكرنا ، أو انقضت ترْجُم الشياطين .

الثالث : أنه من نجوم القرآن ، وهي الجملة التي تنزل منه ، و﴿هَوَىٰ﴾ على هذا : معناه نزل .

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش.
 و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغى، والفرق بينهما: أن
 الضلال بغير قصد، والغى بقصدٍ وتكسُّبٍ.

﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أي: ليس يتكلم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما
 يوحى الله ^(١) إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ يعني: القرآن.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ ضمير المفعول للقرآن، أو للنبي ﷺ.
 والشديد القوى: جبريل.

وقيل: الله تعالى.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]، و﴿الْقُوَىٰ﴾
 جمع: قوَّة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوَّة.

وقيل: ذو هيئة حسنة.

والأول هو الصحيح في اللغة.

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي: استوى جبريل في الجو؛ إذ رآه رسول الله ﷺ وهو
 بحراء.

وقيل: معنى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: ظهر في صورته له ست مئة جناح قد سدَّ

(١) في ب: «بوحي».

الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصُّور إذا نزل للوحي، وكان ينزل في صورة دحية.

﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) الضمير لجبريل.

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) الضميران^(١) لجبريل أي: دنا من محمد ﷺ فتدلى في الهواء.

وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) القاب: مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد ﷺ في القُرب بمقدار قوسين عربيين^(٢)، ومعناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود.

وقيل: ليس القوس التي يُرمى بها، وإنما هو^(٣) ذراعٌ تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز^(٤).

وتقدير الكلام: فكان مقدارُ مسافةِ قُربِ جبريل من محمد ﷺ مثل قَابِ قَوْسَيْنِ، ثم حُذِفَت هذه المضافات.
ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أو أقرب.

(١) في ب، هـ: «الضمير».

(٢) في أ، هـ: «عربيّتين».

(٣) في أ، هـ: «هي».

(٤) الكشاف والبيان للثعلبي (١٣٩/٩).

و﴿أَوْ﴾ هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، وأشبه التأويلات فيها: أنه إذا نظر إليه البشر احتمال عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى. وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح.

وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل، إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك^(١).

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى.

وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ [القدر: ١].

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح» إلخ، أقول: قد أصاب المصنف في تصحيحه أن الضمائر في الآيات لجبريل ﷺ، وأما قوله في تضعيف القول الثاني أن الضمائر تعود إلى الله: «إن هذا القول يرد عليه الحديث والعقل»، أقول: يريد بالحديث ما رواه البخاري عن عائشة ؓ لما سئلت عن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَنَّا﴾ ﴿٨﴾ قالت: ذاك جبريل، وأما قول المصنف: «والعقل» فمعناه أن العقل يدل على امتناع الدنو من الله تعالى، وهذا يجري على مذهب من ينفي علو الله فوق المخلوقات، وينفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه، وهذا خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من علوه تعالى فوق سماواته على عرشه، وأنه فعال لما يريد. والله أعلم.

وفي قوله: ﴿مَا أَوْحَى﴾ إيهامٌ يقتضي التفضيم والتعظيم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رأى بعينه حق.

والذي رأى: هو جبريل، يعني: حين رآه قد ملأ الأفق.

وقيل: الذي رأى: ملكوت السموات والأرض.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٢).

وقيل: الذي رأى: هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه؟»^(١).

﴿أَفْتَنُوكُمُ عَلَى مَا بَرَأَ﴾ (١٣) هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذبت لما قال: إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٤) أي: لقد رأى محمد جبريل ﷺ مرة أخرى، وهي ليلة الإسراء.

وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى»^(٢).

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

وسميت سدرۃ المنتهى؛ لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى.

وقيل: سميت بذلك؛ لأن ما نزل من أمر الله يُتَلَقَّى^(١) عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفلى إلى أعلى.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾^(١٥) يعني: أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرۃ المنتهى.

وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء.

والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾^(١٦) فيه إبهام؛ لقصد التعظيم.

قال ابن مسعود: غشيها فراش من ذهب.

وقيل: كثرة الملائكة.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»^(٢)، وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

(١) في أ، ج، د: «يلتقي».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني: ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك.

ويحتمل أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾:

مفعولاً.

أو نعتاً لـ ﴿ءَابَتِ رَبِّهِ﴾.

والمعنى يختلف على ذلك.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ۚ﴾ هذه أوثانٌ كانت تُعبد من دون الله، فخاطب الله مَنْ كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم. وقال ابن عطية: إن الرؤية هنا من رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرامٌ مرئية^(١).

فأما اللات: فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة.

وأما العزَّى: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل؛ فضربها بالسيف حتى قتلها.

وقيل: كانت بيتاً تعظمه العرب.

وأصل لفظ العزى: مؤنثة الأعز.

وأما مناة: فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١١٥).

هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿ثَالِثَةَ الْآخِرَى﴾ فأكدّها بهاتين الصفتين^(١).

وقال الرمخشري: ﴿الْآخِرَى﴾ ذمٌ وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضعية القدر ومنه: ﴿قَالَتْ أَخَرْنَهُمْ لِأُولَئِهِمْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة؟ وقد ذكر هذا المعنى في «النحل»^(٢) وغيرها.

ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى؛ مع أنهم إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ ضَيْرَى﴾ أي: هذه القسمة التي قسمت جائرة غير عادلة، يعني: جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى.

ووزن ﴿ضَيْرَى﴾ فُعْلَى - بضم الفاء -، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ الضمير للأوثان.

وقد ذكر المعنى في «الأعراف»^(٣) في قوله: ﴿أَتَجِدَلُونِي وَتَ أَسْمَاءُ﴾ [الأعراف: ٧١].

(١) المحرر الوجيز (١١٦/٨).

(٢) انظر (٧٥٤/٢).

(٣) انظر (٣٥٨/٢).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني : أنهم يقولون أقوالاً بغير حجة ، كقولهم : إن الملائكة بنات الله ، وقولهم : إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك .

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار ، والإنسان : جنس بني آدم ؛ أي : ليس لأحدٍ ما يتمنى ، بل الأمور بيد الله .

وقيل : إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام .

وقيل : إلى قول العاصي بن وائل : لأوتين ما لا وولداً .

وقيل : هو تمنى بعضهم أن يكون نبياً .

والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه .

[﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ١٦] إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُنثَى ﴿١٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿١٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلََّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٢٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعْمُ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٢٢﴾].

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية؛ ردُّ على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم؟

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه، ويرضى عنه.

﴿لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُنثَى﴾ يعني: قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم ردُّ عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: إن الله ملك أمر السموات والأرض؛ ليجزي الذي أسأوا بما عملوا.

وقيل: يتعلق بـ ﴿صَلَّى﴾ و﴿اهْتَدَى﴾.

﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»^(١).

﴿إِلَّا أَلَمَّ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلته والسقطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما أَلَمُوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه ألهم بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَحَنَّهُ﴾ جمع جنين.

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهياً عن أن يزكي بعض الناس بعضاً^(٢)، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.

❦ ❦ ❦

(١) انظر (٤٦/٢).

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٢٣).

[﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ٣٢ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ٣٣ ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يَرَى﴾ ٣٤ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ٣٥ ﴿وَأَنبَرِهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ٣٦ ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَ﴾ ٣٧ ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ ٣٨ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ٣٩ ﴿وَأَن سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى﴾ ٤٠ ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾ ٤١ ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ٤٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ٤٤ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٤٥ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٤٦ ﴿وَأَن عَلَيْهِ النَّشَأُ الْأُخْرَى﴾ ٤٧ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ٤٨ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ ٤٩ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ ٥٠ ﴿وَتَمُودًا إِذْ أَقْنَى﴾ ٥١ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ ٥٢ ﴿وَالْمُؤَنَفِكَهَ أَهْوَى﴾ ٥٣ ﴿فَفَسَنَهَا مَا عَشَى﴾ ٥٤ ﴿فَيَأِي مَالًا رَّبِّكَ تَنَمَائَى﴾ ٥٥ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ ٥٦ ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾ ٥٧ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ٥٨ ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْخَلْقِ يَتَعَبُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ﴾ ٦١ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ٦٢].

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ٣٢ الآية؛ نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقيل: نزلت في العاصي بن وائل.

﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطع العطاء وأمسك.

﴿وَأَنبَرِهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ٣٦ قيل: وفى طاعة الله في ذبح ولده.

وقيل: وفى تبليغ الرسالة.

وقيل: وفى شرائع الإسلام.

وقيل: وفى الكلمات التي ابتلاه الله بهن.

وقيل: وفى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَ﴾ ٣٧ ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ ٣٨ وما بعدها.

﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرًا أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٨﴾ ذكر فيما تقدم^(١)، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليه السلام.

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ السعي هنا: بمعنى العمل.

وظاهرها: أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعقق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام.

وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١).

والصحيح أنها محكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ.

وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق أنه لا يحمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرًا أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٨﴾ كأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه.

(١) انظر (٧٩٨/٢).

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (١٠) قيل : معناه : يراه الخلق يوم القيامة .
والأظهر : أن صاحبه هو الذي يراه لقوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) [الزلزلة : ٧] .

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْسُنُ بَلَدٍ﴾ (١١) فيه قولان :
أحدهما : أن معناه : إلى الله المصير في الآخرة .
والآخر : أن معناها : أن العلوم تنتهي إلى الله ، ثم يقف العلماء عند ذلك ، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية (١) : « لا فكرة في الرب » (٢) .
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (١٢) قيل : معناه : أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار ، وهذا تخصيص لا دليل عليه .

وقيل : أبكى السماء بالمطر ، وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز .
وقيل : خلق في بني آدم الضحك والبكاء .
والصحيح : أنه عبارة عن الفرح والحزن ؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح ، كما أن البكاء دليل على الحزن ، فالمعنى : أنه تعالى أحزن من شاء من عباده ، وسرَّ من شاء .

﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني : الحياة المعروفة والموت المعروف .

وقيل : أحيا بالإيمان وأمات بالكفر .

والأول أرجح ؛ لأنه حقيقة .

(١) قوله : « في الآية » لم ترد في ب ، هـ .

(٢) أخرجه البغوي بإسناده في تفسيره (٤١٧/٧) ، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في كتاب العظمة (٢١٧/١) عن سفيان الثوري من قوله .

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني : المني .

﴿إِذَا تَمَّتْ﴾ من قولك : أمني الرجل : إذا خرج منه المني .

﴿الْفَنَاءَ الْآخَرَى﴾ يعني : الإعادة للحشر .

﴿وَأَقْنَى﴾ أي : أكسب عباده المال ، وهو من قُنِيَ المال ، وهي كسبه وادّخاره .

وقيل : معنى ﴿أَقْنَى﴾ : أفقر ، وهذا لا تقتضيه اللغة .

وقيل : معناه : أَرْضَى .

وقيل : قَنَعَ عبده .

﴿الْشَّعْرَى﴾ نجمٌ في السماء ، وتسمى كلب الجبار وهما شِعْرَيَان : الغُميصاء والعَبُور ، وخصّها بالذكر دون سائر النجوم ؛ لأن بعض العرب كان يعبدها .

﴿عَادَا الْأَوَّلَى﴾ وصفها بـ ﴿الْأَوَّلَى﴾ ؛ لأنها كانت في قديم الزمان ، فهي أولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرين .

وقيل : إنما سميت أولى ؛ لأن ثمَّ عادًا أخرى متأخرة ، وهذا لا يصح .

وقرأ نافع ﴿عَادَا الْأَوَّلَى﴾ بإدغام تنوين ﴿عَادَا﴾ في لام ﴿الْأَوَّلَى﴾ بحذف الهمزة ، ونقل حركتها إلى اللام ، وضَعَفَ المزنِي والمبرد هذه القراءة .

وهمَزَ قالون الواو ، دون وَرْش .

وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين ﴿عَادَا﴾ وإسكان لام ﴿الْأَوَّلَى﴾ .

﴿وَتُؤَدُّ فَأَ أَتَى﴾ أي: ما أبقى منهم أحداً.

وقيل: ما أبقى عليهم.

﴿وَالْمُؤْنَفَكَةُ أَهْوَى ۝٥٢﴾ فَمَشْنَهَا مَا عَشَى ۝٥٣﴾ هي مدينة قوم لوط.

ومعنى ﴿أَهْوَى﴾: طَرَحَهَا من علوٍ إلى سفلى.

وفي قوله: ﴿مَا عَشَى﴾ تعظيمٌ للأمر.

﴿فَيَايَ آلاَءِ رَبِّكَ تَنَمَّاءُ ۝٥٤﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، معناه: بأيِّ نعم ربك تشكُّ؟

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: القرآن، أو النبي ﷺ.

ومعنى ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾: من نوعها وصفتها.

﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ۝٥٥﴾ أي: قُرِبَتِ القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه:

أن يكون مصدراً كالعاقبة^(١)، أي: ليس لها كشفٌ.

وأن يكون بمعنى: كاشف، والتاء للمبالغة كعلامة.

وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره: نفسٌ كاشفة، أو جماعة كاشفة.

ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة، أي: ليس لها من يزيلها

إذا وقعت.

(١) في أ، ج، د، هـ: «كالعاقبة».

والآخر : أن يكون بمعنى الاطلاع ؛ أي : ليس لها من يعلم وقتها إلا الله .
﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن ، وتعجبهم منه : إنكاره ^(١) .
﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾ ^(٢) أي : لا عبون لاهون .

وقيل : غافلون مفرطون .

﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾ ^(٣) هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره ، وقد
قال ابن مسعود : قرأها رسول الله ﷺ فسجد ، وسجد كل من كان معه ^(٤) .

(١) في د : «إنكارهم له» .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦٧) ، ومسلم (٥٧٦) .

﴿ سورة القمر ﴾

[﴿ أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَسِيمٌ ② ﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَيِّنَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤ قَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ⑥ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ⑦ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ⑧ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ⑨ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِرَ ⑬ تَجَرَّى بِاعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنِ كَانَ كُفْرٌ ⑭ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ⑮ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑯ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ⑰ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑱ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ⑲ تَنَزَّعُ النَّاسُ كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ تَخَلَّي مُتَفَعِّرٍ ⑳ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ㉑ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ㉒.]

﴿ أَقْرَبَ السَّاعَةُ ﴾ أي: قُرُبَتِ الْقِيَامَةُ، ومعنى قربها: أنه بقي إليها^(١) من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى^(٢).

(١) في أ، هـ: «لها».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠).

﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبارٌ عما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»^(١). وقال ابن مسعود: انشقَّ القمر فرأيته فرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه.

وقيل: معنى ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل، تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش. والآية المشار إليها: انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر.

ومعنى ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾: دائم.

وقيل: معناه: ذاهب يزول عن قريب.

وقيل: معناه: شديد، وهو على هذا من البرّة، وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَفِرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بدّ له من غاية، فالحق يحقّ والباطل يبطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿الْأَنْبَاءِ﴾ هنا يراد بها: ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ :

اسم مصدر بمعنى : ازدجارٌ .

أو اسم موضع بمعنى : أنه مظنة أن يُزْدَجَر به .

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَا يَفِيدُ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿فَمَا تَنْزِيلُ الْذُرِّ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ :

نافية .

أو استفهامية لمعنى ^(١) الاستبعاد والإنكار .

﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾ أي : أعرض عنهم ؛ لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم .

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ :

مضمرة تقديره : اذكر .

أو قوله : ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك .

وليس العامل فيه ﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾ ؛ لفساد المعنى ، فقد تمَّ الكلام في قوله :

﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾ فيوقف عليه .

وقيل : إن المعنى : تول عنهم إلى يوم يدع الداع .

والأول أظهر وأشهر .

(١) في ج، د، هـ : «بمعنى» .

والداعي : جبريل ، أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور .

والشيء التكر : الشديد الفطيع ، وأصله من الإنكار ؛ أي : هو منكور ؛ لأنه لم يُرَ قط مثله ، والمراد به : يوم القيامة .

﴿ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ ﴾ كناية عن الدلة .

وانتصب ﴿ خُشْعًا ﴾ على الحال من الضمير في ﴿ يَخْرُجُونَ ﴾ .

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ أي : من القبور .

﴿ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَثِرَةً ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض ، فيه استدلال على البعث ، كالاستدلال بخروج النبات .

وقيل : إنما شبههم بالجراد في كثرتهم ، وأن بعضهم يموج في بعض .

﴿ مُهْطِئِينَ ﴾ أي : مسرعين .

وقيل : ناظرين إلى الداعي .

﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ يعني : نوحًا عليه السلام ، ووضفه هنا بالعبد تشريف له واختصاص .

﴿ وَأَزْدُجِرَ ﴾ أي : زجروه بالشتم والتخويف ، وقالوا له : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٦] .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ أي : قد غلبني الكفار فانتصر لي ، أو انتصر لنفسك .

وقالت المتصوفة : معناه : قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر

مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (١١) عبارة عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب.

وقيل: فتحت يومئذ في السماء أبواب حقيقة.

والمنهمر: الكثير.

﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض.

﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قُضِيَ في الأزل.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قُدِرَ بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعاً.

﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ (١٢) يعني: السفينة.

والدُسِّر: هي المسامير، واحدها دَسَار.

وقيل: هي مقادم السفينة.

وقيل: أضلاعها.

والأول أشهر.

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعِيه لها^(١).

﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أي: جزاء لنوح.

وقيل: جزاء لله تعالى.

والأول أظهر .

وانتصب ﴿جَزَاءً﴾ على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه : ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال ؛ أي : فعلنا ذلك كله جزاءً لنوح .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿كُفِّرَ﴾ :

من الكفر بالدين ، والتقدير : «لمن كُفِّر به» فحذف الضمير .

أو يكون من الكفر بالنعمة ؛ لأن نوحًا ﷺ نعمة من الله كفَّرها قومه ، فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف .

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا مَائَةً﴾ الضمير :

للقصة المذكورة .

أو الفعلة .

أو السفينة ، وروي في هذا المعنى : أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة .

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ تحضيض على الادِّكار ، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده .

ووزن ﴿مُدْكِرٍ﴾ مُفْتَعَل ، وأصله : «مُذْتَكِر» ثم أبدل من التاء دال وأدغمت فيها الدال .

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿١١﴾ توقيف فيه تهديد^(١) لقريش .

(١) في أ : «وتهديد» .

والنذر: جمع نذير.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال الأصغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن.

وقيل: معنى الآية: سهلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة.

وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؛ لينبه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكر عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ^(١) السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوِّتة، فهو من الصَّرير بمعنى: الصوت.

وقيل: معناه: باردة؛ فهو من الصَّر.

﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مُتَمَرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروي أن رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»^(٢).

(١) في أ: «يعظ».

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٦/٨): «الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثاً رواه أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر». ١. هـ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبير (٢٨٦/١٠) من حديث جابر مرفوعاً، ولفظه: «إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر».

﴿تَزِغُ الْوَيْلَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم.

﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنُقَّرٍ﴾ أعجاز النخل: هي أصولها، والمنقعر: المنقطع، فشبّه الله عادًا لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طوّال عظام الأجساد كالنخل.

وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا^(١) بلا رؤوس، فشبّههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان.

وقيل: كانوا قد حفروا حفرةً يمتنعون فيها من الريح، فهلكوا فيها فشبّههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرة.



(١) في أ: «أجساد»، وفي د: «أجسادهم».

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٢﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَجِدَا نَبْعُهُ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٣﴾
 أَلَفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٤﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٥﴾ إِنَّا
 مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَنِنَّةٌ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٦﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخَضَّرٌ
 ﴿٢٧﴾ فَادَّوَا صَاحِبَهُمْ فَطَعَانُوهُ فَعَمَّرَ ﴿٢٨﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيَّحَةً
 وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣١﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ
 لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالِ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٣﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
 كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ
 ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٧﴾
 فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٩﴾].

﴿أَبَشَرًا﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر.

والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا، وطلبوا أن يكون الرسول من
 الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون.

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عناء.

وقيل: معناه: جنون.

وقيل: معناه: همٌّ وغم.

وأصله: من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿أَلَفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل

منهم؛ فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

﴿أَشِرٌّ﴾ أي: بَطَرٌ متكبر.

﴿وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَلَمَاءٌ فَسَمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي : لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة ، فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود على ثمود وعلى الناقة ؛ تغليياً للعقلاء .
 وقيل : إن الضمير لثمود ، والمعنى : أن لا يتعدى بعضهم على بعض .
 ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُخَضَّرٌ﴾ أي : محضور مشهود .
 ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني : عاقر الناقة ، واسمه قَدَار ، وهو أَحِيمَر ثمود وأشقاها .

﴿فَنَعَاظِي﴾ أي : اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة .
 وقيل : تعاظى السيف .
 ﴿صَيَحَّةٌ وَجِدَّةٌ﴾ صاح جبريل صيحة ماتوا منها .
 ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم : هو ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها .
 والمحتظر : الذي يعمل الحظيرة وهي حائظ من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، يكون تحليفاً للمواشي أو للسكنى ، فشبّه الله ثمود لها هلكوا بما يفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها .

وقيل : المحتظر : المحترق .
 ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في «العنكبوت»^(١) .
 ﴿فَتَمَارَوْا بِالْأَنْدَرِ﴾ أي : تشككوا .
 ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا : هم الملائكة الذين

(١) انظر (٣/٤٧٢) .

أرسلهم الله إلى لوط، ليُهْلِكُوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم،
وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم، فاستوت مع وجوههم.
وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط
فلم يروا فيه أحدًا.



[وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارًا كُفْرًا خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَنْ لَكُمْ بِرَاءَةٍ فِي الزَّيْرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٍّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْتَقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾].

﴿أَكْفَارًا كُفْرًا خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار.

ومعناه: هل الكفار منكم خيرٌ عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين؛ بحيث هلكوا هم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتهم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يهلككم.

﴿أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةٌ فِي الزَّيْرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب؟ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: نحن نجتمع ونتنصر لأنفسنا بالقتال.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿٤٥﴾ هذا وعدٌ من الله لرسوله بأن يهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ المراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا: الكفار، وضلالهم: في الدنيا، والسعر لهم: في الآخرة، وهو الاحتراق.

وقيل : أراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ القدرية ؛ لقوله في الرد عليهم : ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) .

والأول أظهر .

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ أي : يُجْرُونَ فيها .

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) المعنى : أن الله خلق كل شيء بقدر ، أي : بقضاء معلوم سابق في الأزل .

ويحتمل أن يكون معنى ﴿بِقَدَرٍ﴾ : بمقدار في هيئته وصفاته ^(١) وغير ذلك .

والأول أرجح ، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية .

وانتصب ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ بفعل مضمر يفسره : ﴿خَلَقْتُهُ﴾ .

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله .

والواحدة يراد بها الكلمة ، وهي قوله : «كن» .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني : أشباهكم من الكفار .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥١) أي : كل ما فعلوه مكتوب ، في صحائف الأعمال .

﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي : مكتوب ، وهو من السَّطَر ، تقول : سطرت واستطرت بمعنى واحد .

(١) أ ، ج : «وصفته» .

والمراد بالصغير والكبير: أعمالهم.

وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٌ﴾ يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرضي.

﴿سورة الرحمن﴾

[﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠﴾ فِيهَا فَكِكُهُ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٥﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ١٦﴾ رَبُّ الشَّرِيفِينَ وَرَبُّ الْعَرَبِينَ ١٧﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالزَّيْتُونَ ٢٢﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٤﴾ فَيَأْيَ آيَةٍ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ٢٥﴾]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علَّمه الله القرآن .

وقيل : معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ : جعله علامة وآية لمحمد ﷺ .

والأول أظهر .

وارتفع ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالابتداء ، والأفعال التي بعده أخبار متوالية ، ويدلُّ على ذلك مجيئها دون حرف عطف .

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قيل : جنس الناس .

وقيل : يعني : آدم .

وقيل : يعني : محمدًا ﷺ .

ولا دليل على التخصيص ، فالأول أرجح .

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ①﴾ يعني : النطق والكلام .

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤﴾ أي : يجريان في الفلك بحسابٍ معلوم وترتيب مقدّر ، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير .

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥﴾ النجم عند ابن عباس : هو النبات الذي لا ساق له كالبقول ، والشجر : النبات الذي له ساق .

وقيل : النجم : جنس نجوم السماء .

والسجود : عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى .

وقيل : سجود النجم : غروبه ، وسجود الشجر : بظله .

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني : الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرّر ذكره ؛ اهتمامًا بأمره .

وقيل : أراد العدل .

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي : لا تنقصوا إذا وزنتم .

﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ أي : للناس .

وقيل : الإنس والجن .

وقيل : الحيوان كله .

﴿الْأَكْمَامِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

جمع كُم - بالضم - ، وهو ما يغطي ويلفُ النخل من الليف ، وبه شُبّه كُم القميص .

أو يكون جمع كِم - بكسر الكاف - ، وهو غلاف الثمرة .

﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع .

وقيل : الثَّن .

﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ قيل : هو الريحان المعروف .

وقيل : كل مشموم طيب الريح من النبات .

وقيل : هو الرزق .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾ الآلاء : هي النعم .

واحدها : إِي على وزن : مِعَى .

وقيل : أَلَى على وزن قَفَا .

وقيل : أَلِي على وزن أَمِرٍ .

وإِلَى على وزن حِضْن .

والخطاب للثقلين الإنس والجن ؛ بدليل قوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ .

وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكّت أصحابه فقال : «إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا : لا نكذب

بشيء من آلاء ربنا»^(١).

وكرر هذه الآية؛ تأكيداً ومبالغة.

وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الإنسان هنا: آدم، والصلصال: الطين اليابس، فإذا طُيخ فهو فخار.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾^(٢) الجان: الجن، يعني: إبليس والد الجن.

والمارج: اللهب المضطرب من النار.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٣) يريد: مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر.

وقيل: مشرقَي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»^(٤).

﴿يَلْقَيَانِ﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر.

وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما: بانصباب الأنهار في البحر.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرک (٥١٥/٢)، والبزار في مسنده (١٩٠/١٢).

(٢) انظر (٣٤٤/٢).

وأما قول من قال : إن البحرين بحر فارس والروم ، أو بحر القلزم واليمن
فضعيف ؛ لقوله في «الفرقان» : ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان : ٥٣] ،
وكل واحد من هذه أُجَاج .

والمراد بـ ﴿ الْبَحْرَيْنِ ﴾ في هذه السورة ما أراد في «الفرقان» .
﴿ يَنْتَهَا بَرَزَخٌ ﴾ أي : حازر ، يعني : جرم الأرض ، أو حازراً من قدرة الله .
﴿ لَا يَنْفِيَانِ ﴾ أي : لا يبغني أحدهما على الآخر بالاختلاط .
وقيل : لا يبغيان على الناس بالفيض .
﴿ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانُ ﴾ اللؤلؤ : كبار الجواهر ، والمرجان :
صغاره .

وقيل : بالعكس .
وقيل : إن المرجان حجر أحمر ، قال ابن عطية : وهذا هو الصواب ^(١) .
وأما قوله : ﴿ مِنْهُمَا ﴾ ولا يخرج إلا من أحدهما ، فقد تكلمنا عليه في
«فاطر» ^(٢) .

﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ^(١٤) يعني : السفن ، وسماها منشآت ؛
لأن الناس يُنشؤونها .

وقرئ بكسر الشين : بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج .
والأعلام : الجبال ، شبه السفن بها .

(١) المحرر الوجيز (١٦٧/٨) .

(٢) انظر (٦٠٩/٣) .

[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٣١) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٣٢) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) بَشَلُّهُمْ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٤) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٥) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣٦) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٧) يَمْعَمَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُرُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْذُرُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٨) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٩) بُرْسُلٌ عَلَيْكُمَا شَوَاطِئٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٤٠) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤١) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٤٢) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٤٤) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) يَعْرِفُ الْجُحُومُونَ بِسَمْعِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ (٤٦) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْجُحُومُونَ (٤٨) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ ءَانٍ (٤٩) فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠)].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٣١) الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر.

ويعني بـ ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾: بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء. ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٣٢)﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات^(١). و﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقرب من معنى العظيم.

وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون:

بمعنى أنه يكرم عباده كما قال في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

[الإسراء: ٧٠].

أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسيحه وعبادته.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال؛ لافتقار الجميع إليه.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى: أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم، من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء، وغير ذلك.

وروي: أن رسول الله ﷺ قرأها فقليل له: وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين»^(١).

وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟

فقال: هو في شأن يديه لا في شأن يتيديه.

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَنَّهُ الثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد، كقولك لمن تهدده: «سأتفرغ لعقوبتك»، وليس المعنى: التفريغ من شغل.

ويحتمل أن يريد: انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها، فلا يبقى إلا شأن الآخرة، فعبر عن ذلك بالتفريغ.

قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين، لأنهما ثقلاً بالذنوب.

﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهروب والخروج من أقطار

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، وذكره البخاري تعليقاً من قول أبي الدرداء (١٤٤/٦).

السموات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرّون يومئذ؛ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون. وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا؛ والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا.

وقوله: ﴿فَانْفُذُوا﴾ أمرٌ يراد به التعجيز.

﴿لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِأَمْرِ سُلْطَانٍ﴾ أي: لا تقدرّون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ﴾ الشواظ: لهب النار.

والنحاس: الدخان.

وقيل: هو الصُّفْر يذاب ويُصبُّ على رؤوسهم.

وقرئ ﴿شَوَاظٌ﴾ بضم الشين وكسرهما، وهما لغتان.

وقرئ ﴿وَنَحَّاسٌ﴾:

بالرفع عطفاً على ﴿شَوَاظٌ﴾.

وبالخفض عطفاً على ﴿نَّارٍ﴾.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾ قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾.

وقال ابن عطية: جوابها محذوف^(١).

﴿فَكَانَتْ زُرَّةٌ كَاللَّيْهَانِ﴾ معنى ﴿زُرَّةٌ﴾: حمراء كالوردة.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٥). وقال: «جواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف، مقصود به الإيهام، كأنه تعالى يقول: فإذا انشقت السماء فما أعظم الهول!».

وقيل : هو من الفرس الورْد.

قال قتادة : السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء .

والدهان : جمع دُهْنٍ كالزيت وشبهه ، شبه السماء يوم القيامة به ؛ لأنها تذاب من شدة الهول .

وقيل : شبه لمعانها بلمعان الذهب .

وقيل : إن الدهان هو الجلد الأحمر .

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المعرفة ؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك ؛ لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم ، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صفائحهم ، وأما السؤال الثابت في قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢] وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ ، فلا تعارض بين النفي والإثبات .

وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن .

والأول أحسن .

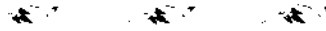
﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني : بعلاماتهم^(١) وهي سواد الوجوه وغير ذلك .

و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ هنا الكفار ؛ بدليل قوله : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ .
﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ﴾ قيل : معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه .

(١) في أ : «علاماتهم» .

وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه، فيطوى ويطرح في النار.
﴿يَطْوُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ إِنِّي﴾ الحميم: الماء السُّخْنُ، والآني: الشديد
الحرّ.

وقيل: الحاضر من قولك: أنى الشيء: إذا حضر.
والأول أظهر.



[وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤١] فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٤٣ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٤ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَجْوَيْنِ ٤٥ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٦ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ٤٧ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٨ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٤٩ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٠ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْفُطُوفِ وَالْمَرْجَانُ ٥١ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُّ ٥٢ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٤ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ٥٦ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ٥٨ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ مُدْهَامَتَانِ ٦٠ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ٦٢ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ فِيهِمَا فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ٦٤ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ٦٦ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٦٨ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُّ ٧٠ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ٧٢ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ تَبَرَّكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧٤].

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤١﴾ ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ : القيام بين يديه للحساب، ومنه : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١﴾ ﴿المطففين: ٦﴾.

وقيل : قيام الله عليه بأعماله، ومنه : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقيل : معناه : لمن خاف ربه وأقحم المقام، كقولك : خفت جانب فلان، واختُلف هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين؟، وذلك مبني على قوله : ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ هل يراد به واحد أو جماعة؟

وقال الزمخشري: إنما قال ﴿جَنَّاتٍ﴾؛ لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن^(١).

﴿ذَوَاتًا أَفْنَانٍ﴾ ثنى «ذات» هنا على الأصل؛ لأن أصله: «ذوات»، قاله ابن عطية^(٢).

والأفنان: جمع فَنٍّ، وهو الغصن.

أو جمع فَنٍّ، وهو الصنف من الفواكه وغيرها.

﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ذَوَاتًا أَفْنَانٍ﴾ أي: نوعان.

﴿وَحِجَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنى: هو ما يجتنى من الثمار، و﴿دَانٍ﴾: قريب.

وروي أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أي حال كان؛ من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها.

وفي قوله: ﴿وَحِجَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ﴾ ذكر في «الصفات»^(٣).

﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ المعنى: أنهم أبكار، و﴿لَمْ يَطْمِئُنْ﴾ معناه: لم يفتضح.

وقيل: الطمئ: الجماع سواء كان لبكر أو غيرها.

(١) الكشف (١٥/١٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٧٧)، فردَّ عينها في التثنية، ولم يقل: «ذاتًا»، وانظر: البحر

المحيط لأبي حيان (٨/٥٣٦).

(٣) انظر (٣/٦٦٥).

ونفى أن يطمئنهن إنس أو جان؛ مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمئنهن شيء.

وقيل: أراد: لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن^(١) يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر. ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٣٨) شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال.

وقد ذكر معنى المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (٣٩) المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة.

ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢)، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا: أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في «الواقعة».

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقال في الأخريين: ﴿عَيْنَانِ

(١) في ج: «وعلى هذا القول فإن الجن...».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ ، والجري أشد من النضخ ، وقال هنا : ﴿ مِنْ كُلِّ فَكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ، وقال هناك : ﴿ فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك ، وكذلك صفة البُسْط ، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ : « جنتان من ذهب آتيتهما وكل ما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وكل ما فيهما »^(١) .

﴿ مُدْهَمَّتَانِ ﴾ ﴿٦٧﴾ أي : تضربان إلى السواد من شدة الخضرة .

﴿ عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴾ أي : تفوران بالماء ، والنضخ - بالحاء المعجمة - أشد من النضخ - بالحاء المهملة - .

﴿ فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ خصَّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة ؛ تشريفاً لهما ، وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه ، وهذا هو التجريد .

﴿ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ خيرات : جمع خَيْرَةٍ .

وقال الزمخشري وغيره : أصله خَيْرَاتٌ بالتشديد ثم خُفِّفَتْ ، كَمِيت ، وقد قرئ بالتشديد^(٢) .

قالت أم سلمة : يا رسول الله ! أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾ قال : « خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه »^(٣) .

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴾ ﴿٦٨﴾ الحور : جمع حَوْرَاء ، والمقصورات : المحجوبات ؛ لأن النساء يُمدحن بملازمة البيوت ويُذممن بكثرة الخروج .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٢) الكشف (١٧٥/١٥) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٢٢) .

والخيام: هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من لؤلؤ.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَافٍ خُضْرٍ﴾ الرفرف: البُسُط.

وقيل: الوسائد.

وقيل: رياض الجنة.

﴿وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ العبقرى: الطَّنَافِس.

وقيل: الزَّرَابِيُّ.

وقيل: الديباج الغليظ.

وهو منسوب إلى عَبَقَرٍ، وتزعم العرب أنه بلد الجن، فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

﴿نَبْرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ﴾ ذكر ﴿نَبْرَكَ﴾ في «الفرقان»^(١) وغيرها.

والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر.

وقرأ الجمهور ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ بالياء، صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرأ ابن عامر بالواو، صفة للاسم.

وقد ذكر معنى: ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

﴿ سورة الواقعة ﴾

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً»^(١).

ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة.

[﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَنُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَبُ الْيَمِينِ ⑧ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَبُ الشِّمَالِ ⑨ وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ ⑩ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ⑪ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑫ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ⑭ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ⑮ مُتَكِدِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ⑯ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ⑱ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ⑲ وَقَلَّحَهُمْ مِنْهَا يَسْخَرُونَ ⑳ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ㉑ وَخُورٌ عَيْنٌ ㉒ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ㉓ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ㉔ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْنِيًا ㉕ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ㉖ وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَبُ الْيَمِينِ ㉗ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ㉘ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ㉙ وَظِلٌّ مَّرْدُودٍ ㉚ وَمَآءٌ مَسْكُوبٍ ㉛ وَفِكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ㉜ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ㉝]

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٩١)، وانظر تخريجاً موسعاً له في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/٤١١).

وَفُرِّي مَرْوَعَةٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٠﴾ فَعَمَلْنَهُمْ أُنْكَارًا ﴿٣١﴾ عُرًّا أَتْرَابًا ﴿٣٢﴾ لِأَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٣٣﴾ ثُلَّةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٤﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٥﴾.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ١١ يعني: إذا قامت القيامة، فالواقعة: اسم من
أسماء القيامة تدل على هولها، كالطامة والصاخة.

وقيل: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور.

وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ ١٢ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدرًا كالعاقبة، والمعنى: ليس لها كذب
ولا رد.

الثاني: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ صفة لمحذوف، كأنه قال: ليس لها حالة
كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفس كاذبة أي: تكذب في إنكار
البعث؛ لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ ١٣ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما
قبله لبيان المعنى.

والمراد بالخفض والرفع: أنها تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى
الجنة.

وقيل: ذلك عبارة عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تزلزل وتمد،
والجبال تُسَفُّ؛ فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ① أي: زُلزلت وحركت تحريكًا شديدًا.

و﴿إِذَا﴾ هنا بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿خَافِضَةً رَافِعَةً﴾ ②.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فُتَّت.

وقيل: سِيرَت.

﴿هَبَاءٌ مُنَبِّئًا﴾ الهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كُوَّة، قاله ابن عباس.

وقال علي بن أبي طالب: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب.

وقيل: ما تطاير من شرر النار، فإذا طَفِئَ لم يوجد شيء^(١).

والمنبئ: المفترق^(٢).

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ③ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلى في الجنة.

وأما أصحاب اليمين: فهم سائر أهل الجنة.

وأما أصحاب الشمال: فهم أهل النار.

(١) في أ: «يجد شيئًا»، وفي ب، ج: «يوجد شيئًا».

(٢) في ج، هـ: «المفترق».

﴿فَأَصْحَبُ الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ﴾ هذا ابتداء وخبر، فيه معنى التعظيم،

كقولك: زيد ما زيد؟

و﴿الْيَمِينَةِ﴾ يحتمل أن تكون:

مشتقة من اليمين وهو ضد الشؤم، وتكون ﴿الْشَّمَاءُ﴾ مشتقة من الشؤم. أو تكون ﴿الْيَمِينَةِ﴾ من ناحية اليمين، و﴿الْشَّمَاءُ﴾ من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين، والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يُحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال.

أو يكون من أخذ الكتب^(١) باليمين أو الشمال.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ﴾ الأول: مبتدأ، والثاني خبره:

على وجه التعظيم، كقولك: «أنت أنت».

أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة.

وقيل: إن ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾.

والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿فَأَصْحَبُ الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ ۖ﴾ و﴿أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ ۖ﴾ وعلى هذا يوقف على ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني، ويبتدئ بما بعده.

(١) في ب، د، هـ: «الكتب».

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤﴾ الثلة: الجماعة من الناس، فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين.

والأولون: هم أول هذه الأمة، والآخرون: هم المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك: ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أمتي»^(١)، وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثُر السابقون من السلف الصالح، وقلُّوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم»^(٢).

وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي، فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها.

وقيل: إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخريين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا: أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة، وهذا بعيد.

وقيل: إن السابقين يراد بهم: الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٥﴾ السرر: جمع سرير.

والموضونة: المنسوجة.

وقيل: المشبكة بالدر والياقوت.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

وقيل : معناه : متواصلة قد أدني بعضها من بعض .

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ أي : وجوه بعضهم إلى بعض .

﴿وَلَدْنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان : صغار الخدم ، والمخلدون : الذين لا يموتون .

وقيل : المقرطون بالخلدات ، وهي ضرب من الأقراط .

والأول أظهر .

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب : جمع كوب ، وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم يمسك به .

والأباريق : جمع إبريق ، وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به .

﴿وَكَايَ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في «الصفات»^(١) .

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ أي : لا يلحق رؤوسهم الصداغ الذي يصيب من خمر الدنيا .

وقيل : لا يُفَرَّقُونَ عنها ، فهو من الصَّدْع وهو الفُرقة .

ومعنى ﴿لَّا يُنْزَفُونَ﴾ : لا يسكرون .

﴿وَفَلَكَمْ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ﴾ قيل : يتخبرون ما شأوا ؛ لكثرتها .

وقيل : متخيرة ؛ أي : مرضية .

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قدمنا معناه .

(١) انظر (٣/٦٦٤) .

وقرى:

[أ-] بالرفع:

على تقدير: فيها حور.

أو عطفت على الضمير في ﴿مُتَكِينٍ﴾^(١).

أو على ﴿وَلَدْنُ﴾.

[ب-] وبالحذف: عطفت على المعنى كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور

عين.

وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْكَوْنِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون؛ لأنه أبعد عن تغير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداق الذي لا تمسه الأيدي»^(٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾^(٣) اللغو: الكلام الساقط كالفحش وغيره.

والتأثيم: مصدر، بمعنى: لا يؤثم أحدٌ هناك نفسه ولا غيره.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾^(٤) انتصب ﴿سَلَمًا﴾ على أنه:

بدلٌ من ﴿قِيلًا﴾.

(١) فيكون التقدير: استقرؤا هم وحورٌ عينٌ حال كونهم متكئين. انظر: المحرر الوجيز

(١٩٦/٨) والكشاف (١٩١/١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٤/٢٢).

أو صفة له .

أو مفعول به ﴿فِيْلًا﴾ ؛ لأن معناه : قولٌ ، ومعنى السلام على هذا التحية ، والمعنى : أنهم يفشون السلام فيسلمون سلامًا بعد سلام .

ويحتمل أن يكون معناه : السلامة ، فينتصب بفعل مضمّر تقديره : اسلموا^(١) سلامًا .

﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ ١٧ ﴿ هذا مبتدأ وخبره ، قصد به التعظيم فيوقف عليه ، ويبتدأ بما بعده .

ويحتمل أن يكون الخبر ﴿فِي سِدْرٍ﴾ ، ويكون ﴿مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ اعتراضًا . والأول أحسن .

وكذلك إعراب ﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ﴾ .

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ ١٨ ﴿ السدر : شجر معروف .

قال ابن عطية : وهو الذي يقال له : شجر أم غيلان^(٢) .

وهو كثير في بلاد المشرق ، وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض .

والمخضود : الذي لا شوك فيه ، كأنه خُصِد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك .

وقيل : المخضود : هو المؤقر الذي انتشت أغصانه من كثرة جملة ، فهو

(١) في ب ، د : «سلموا» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧) .

على هذا: من خَضد الغصن: إذا ثناه.

﴿وَطَلَحَ مَنُضُورٌ﴾ (١٩) الطلح: شجر عظام كثيرة الشوك، قاله ابن عطية^(١).

وقال الزمخشري: هو شجر الموز^(٢).

وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقرأ علي ابن أبي طالب: «وطلع منضود» بالعين، فقليل له: إنما هو «وطلح» فقال: ما للطلح وللجنة! فقليل له: أنصلحها^(٣) في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير.

والمنضود: الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله، حتى لا يظهر له ساق.

﴿وَوَظِلٌّ مَّمْدُودٌ﴾ (٢٠) أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه شمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم ﴿وَوَظِلٌّ مَّمْدُودٌ﴾»^(٤).

﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ (٢١) أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته.

وقيل: المعنى: أنه جارٍ في غير أخاديد.

وقيل: المعنى: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٢٢) أي: لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا، فإن

(١) المحرر الوجيز (٨/١٩٧).

(٢) الكشف (١٥/١٩٦).

(٣) في ب، هـ: «أنصلحها».

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٢).

شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسيرة، وقد روي أن ارتفاع سرير منها مسيرة خمس مئة عام.

وقيل: هي النساء، وهذا بعيد.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدّم ذكر الفرش وهي تدل على النساء. وأما من قال: إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها.

وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين. ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن - بخلاف الدنيا -، فالعجوز ترجع شابة والقيحة ترجع حسنة.

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكراً.

﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته.

وعبر عنهن ابن عباس: بأنهن العواشق لأزواجهن.

وقيل: هي الحسنة الكلام.

﴿أَنزَابًا﴾ (٢٧) لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٢٨) أي: مستويات في السن مع أزواجهن،

وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عاماً.

و﴿لَا ضَحْبَ الْيَمِينِ﴾ يتعلق بقوله : ﴿أَنشَأْنَهُنَّ﴾ على ما قال الزمخشري^(١) .
ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿أَزْوَاجًا﴾ ، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى ؛ أي : أترابٌ
لأزواجهن .

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٦) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ أي : جماعة من أول هذه الأمة
وجماعة من آخرها ، وقد قال رسول الله ﷺ : «الفرقتان من أمتي»^(٢) ، وفي
ذلك ردٌّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة .

وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ،
بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين ؛ وذلك لأن السابقين في أول
هذه الأمة أكثر منهم في آخرها ؛ لفضيلة السلف الصالح ، وأما أصحاب
اليمين فكثيرٌ في أولها وآخرها .

~~~~~

(١) الكشف (٢٠١/١٥) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٤/٢٢) .

[وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٥١] فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٥٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٥٣  
لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٥٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٥٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ٥٦  
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ٥٧ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٥٨  
قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٥٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٦٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الضَّالُّونَ  
الْمُكَذِّبُونَ ٦١ لَّا كَلِمَ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ٦٢ فَالْتَوَىٰ مِنهَا الْبُطُونَ ٦٣ فَتَشْرُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّعِيمِ  
٦٤ فَتَشْرَبُونَ شُرَبَ الْهِيمِ ٥٥ هَذَا نُزْلُهُ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ٥٧  
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ  
بِمُسْتَوِفِينَ ٦٠ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ  
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ لَوْ  
نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ أَفَرَأَيْتُمْ  
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا  
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ  
٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ٧٣ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤].

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٥٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٥٣﴾ السموم: الحر الشديد.

والحميم: الماء الحار جدًا.

والychموم: هو الأسود.

والظل من يحموم: هو الدخان في قول الجمهور.

وقيل: سراق النار المحيط بأهلها؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظللهم.

وقيل: هو جبل في جهنم.



﴿وَكَاثُرًا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى ﴿يُصِرُّونَ﴾: يدومون من غير إقلاع.

و﴿الْحِنثِ﴾: هو الإثم.

وقيل: هو الشرك.

وقيل: الحنث في اليمين؛ أي اليمين الغموس.

﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ الآية؛ معناها: أنهم أنكروا البعث بعد الموت.

وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في «الرعد»<sup>(١)</sup>، و﴿أَوْ مَا بَاؤُنَا﴾ في «الصافات»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنبَاً الصَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

﴿فَنَشْرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول.

﴿فَنَشْرِبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ﴾ وزن ﴿الْهِيمِ﴾ فعلٌ بضم الفاء، وكسرت الهاء

لأجل الياء، وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام - بضم الهاء - وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأثنى هيماء.

وقيل: جمع هائم وهائمة.

وقيل: الهيم: الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيام

- بفتح الهاء -.

وقرئ ﴿شَرْبَ﴾ بضم الشين، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب؟

(١) انظر (٢/٦٦٩).

(٢) انظر (٣/٦٥٩).

وقرئ بالفتح، وهو مصدر.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿فَتَرِيُونَ﴾ على ﴿فَتَرِيُونَ﴾ ومعناها واحد؟  
فالجواب: أن المعنى مختلف؛ لأن الأول يقتضي الشرب مطلقاً،  
والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب<sup>(١)</sup> الهيم.  
﴿هَذَا تَرْتُمْنَ﴾ التزل: أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم  
فما ظنك بسائره؟

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيضٌ على التصديق إما بالخالق تعالى، وإما  
بالبعث؛ لأن الخلقة الأولى دليل عليه.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على  
الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضاً وعيداً وتعيداً نعم.  
ومعنى ﴿تُمْنُونَ﴾: تقذفون المني في رحم المرأة.

﴿أَسْمِعْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ هذا توقيفٌ يقتضي أن يجيبوا عليه بأن  
الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿عَن قَدَرْنَا يَتَنَكَّرُ الْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدراً بأجال معلومة وأعمار منها  
طويل وقصير ومتوسط.

﴿وَمَا عَن مَّسْبُوفِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾  
المسبوق على الشيء: هو المغلوب عليه؛ بحيث لا يقدر عليه.

(١) في ب، ج، هـ: «يشرب».

و﴿تُبَدِّلْ أَمْثَلَكُمْ﴾: معناه: نهلككم ونستبدل قومًا غيركم.

وقيل: نمسخكم قردة وخنازير.

و﴿نُنْشِئُكُمْ﴾ معناه: نبعثكم بعد هلاككم.

و﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه.

فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكر والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة.

وفي هذه دليل على صحة القياس.

﴿أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا: إنبات ما يُزرع وتماام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالحرث: قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا: زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ١٥ الحطام: اليابس المتفتت.

وقيل: معناه تبُّن بلا قمع.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٠/١٣)، والبخاري في مسنده (٣٠٨/١٧).

﴿فَطَلَّئْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي : تَطَرِّحُونَ الْفَكَاهَةَ وهي الْمَسْرَّةُ ، يقال : رجلٌ فَكِيهٌ : إذا كان مسرورًا منبسط النفس ، ويقال : تفكَّه إذا زالت عنه الْفَكَاهَةُ فصار حزينًا ؛ لأن صيغة «تَفَعَّلَ» تأتي لزوال الشيء ، كقولهم : تَحَرَّجَ وتَأَثَّم : إذا زال عنه الحرج والإثم .

فالمعنى : صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا .

وقد عبر بعضهم عن ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ بأن معناه : تتفجعون .

وقيل : تندمون .

وقيل : تعجبون .

وهذه معانٍ متقاربة ، والأصل ما ذكرنا .

﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ (١٦) بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿١٧﴾ تقديره : تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا .

والمُعْرَمُ المعذَّب ؛ لأن الغرام هو أشد العذاب .

ويحتمل أن يكون من العُرْم ؛ أي : مثقلون بما غَرِمْنَا من النفقة على الزرع .

والمحروم : الذي حرمه الله الخير .

﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السحاب .

والأجاج : الشديد الملوحة .

فإن قيل : لم ثبتت اللام في قوله : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وسقطت من قوله : ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ ؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه أغنى إثباتها أولاً عن إثباتها ثانياً مع قرب الموضعين .

والآخر : أن هذه اللام تدخل للتأكيد ، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب ؛ للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب ؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل .

﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي : تقدحونها من الزناد .

والزناد قد يكون من حجرين ، ومن حجر وحديدة ، ومن شجر وهو المرخ والعفّار ، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى : ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتًا﴾ أي : الشجرة التي تُزَنَدُ منها النار .

وقيل : أراد بالشجرة نفس النار ؛ كأنه يقول : نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك ، وهذا بعيد .

﴿مَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ أي : تذكّر بنار جهنم .

﴿وَمَتَّعَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ المتاع : ما يُتَمَتَّعُ به .

ويحتمل المقوين :

أن يكون من الأرض القواء ، وهي الفيافي ، فمعنى المقوين : الذين دخلوا في القواء ، ولذلك عبر ابن عباس عنه : بالمسافرين .

ويحتمل أن يكون من قولهم : أقوى المنزل : إذا خلا ، فمعناه : الذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام ، ولذلك عبّر بعضهم عنه : بالجائعين .

[﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأُنْتَدِ جُنُودٌ لَّنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحُنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلٌّ مِنْ جَمِيرٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلَةٌ جَمِيرٍ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا لَمَوْ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾].

﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ﴿«لا» في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام، نحو: «ألا». وقيل: هي نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف.

والأول أحسن؛ لأن زيادة «لا» كثيرة معروفة في كلام العرب.

و﴿مَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ فيه قولان:

أحدهما - قول ابن عباس - : إنها نجوم القرآن؛ إذ أنزل على النبي ﷺ مقطّعا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم.

والآخر - قول كثير من المفسرين - : إن النجوم الكواكب، ومواقعها: مغاربها ومساقطها.

وقيل: مواضعها من السماء.

وقيل : انكدارها يوم القيامة .

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه .

وقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض بين الموصوف وصفته ، فهو اعتراض في اعتراض ، والمقصود بذلك : تعظيم المقسم به ، وهو مواقع النجوم .

وجواب القسم : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) وأعاد الضمير على القرآن ؛ لأن المعنى يقتضيه ، أو لأنه مذكور على قول من قال : إن ﴿مَوَاقِعَ النُّجُومِ﴾ نزول القرآن .

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) أي : مصون ، والمراد بهذا الكتاب المكنون : المصاحف التي كُتِبَ فيها القرآن .

أو صحف القرآن بأيدي الملائكة .

﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) الضمير يعود على الكتاب المكنون . ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله ، إلا أن هذا ضعيف لوجهين : أحدهما : أن مسَّ الكتاب حقيقة ، ومس القرآن مجاز ، والحقيقة أولى من المجاز .

والآخر : أن الكتاب أقرب ، والضمير يعود على أقرب مذكور .

فإذا قلنا : إنه يعود على الكتاب المكنون :

[أ-] فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة : فـ ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ يراد به الملائكة ؛ لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب ،

والآية إخبارٌ أنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم .

[ب-] وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي <sup>(١)</sup> بأيدي الناس :  
فيحتمل :

أن يريد بالمطهرين المسلمين ؛ لأنهم مطهرون من الكفر .  
أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر ، وهو الجنابة والحيض ، فالطهارة  
على هذا : الاغتسال .

أو المطهرين من الحدث الأصغر ، فالطهارة على هذا : الوضوء .  
ويحتمل أن يكون قوله : ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ : خبرًا ، أو نهياً .  
على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهياً ، وقال : لو كان نهياً لكان بفتح  
السين .

وقال المحققون : إن النهي يصح مع ضم السين ؛ لأن الفعل المضاعف إذا  
كان مجزوماً واتصل به ضمير المفرد المذكر ضُمَّ عند التقاء الساكنين ؛ إتباعاً  
لحركة الضمير .

وإذا جعلناه خبراً فيحتمل :

أن يقصد به مجرد الإخبار .

أو يكون خبراً بمعنى النهي .

وإذا كان لمجرد الإخبار ، فالمعنى : أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون ؛

(١) في أ ، ب : «المصحف النقي» .



أي: هذا حقُّه وإن وقع خلافُ ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية:

فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين، فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك.

وأما المحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثاً أصغر، وهذا قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضاً أن يحمله بعلاقة أو وسادة.

وحجتهم: الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة.

ومن حجتهم أيضاً: كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثاً أصغر، وهو مذهب أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup> والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم

(١) رواه مالك مرسلاً (٢٣٤)، وابن حبان (٥٠٤/١٤) والدارقطني (١٢١/١) متصلاً.

(٢) في نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد نظر، فمذهب الإمام أحمد أنه يحرم على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر مس المصحف. انظر: الشرح الكبير مع الإنصاف (٧١/٢).

المسلمون أو الملائكة، أو جعلوا ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ لمجرد الإخبار.

**والقول الثالث:** أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، (وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أنه يراد به: الطهارة من الحدث الأكبر<sup>(١)</sup>).

ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان؛ لأجل المشقة.

واختلفوا في قراءة الجنب القرآن:

فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقاً.

وأجازه الظاهرية مطلقاً.

وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة.

واختلفوا في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب:

فعن مالك في ذلك روايتان.

وفرق بعضهم بين الكثير واليسير.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِتُونَ﴾ (٨١) هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه: هو القرآن.

﴿مُذْهِتُونَ﴾: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة وهي لين الجانب، والموافقة بالظاهر لا بالباطن.

وقال ابن عباس: معناه: مكذبون.

﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ (٨٢) قال ابن عطية: أجمع المفسرون على

(١) سقط من أ، ج، هـ.

أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنوء كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

فالمعنى: تجعلون شُكْرَ رِزْقِكُم التَّكْذِيبَ، فحذف «شُكْرَ»؛ لدلالة المعنى عليه.

وقرأ علي ابن أبي طالب: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»، وكذلك قرأ ابن عباس، إلّا أنه قرأ «تُكْذِبُونَ» بضم التاء وبالتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يَكْذِبُونَ في قولهم: نزل المطر بنوء كذا.

ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا و<sup>(٢)</sup>كوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(٣)</sup>.

والمنهي عنه في هذا الباب: أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به كقوله ﷺ: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»<sup>(٤)</sup>، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الشريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها

(١) المحرر الوجيز (٨/٢١٣).

(٢) في ب، د: «أو».

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٦١٣).

تعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن معنى الآية: تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ؛ فإنهم كانوا يقولون: إن آمنا به حرمتنا الله الرزق، كقولهم: ﴿إِنْ نَنْتَهِجْ أَلْهَدَىٰ مَعَكَ تُخَطِّفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [الفص: ٥٧]، فأنكر الله عليهم ذلك.

وإعراب ﴿أَنْتُمْ﴾ على هذا القول: مفعول بـ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب.

ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون.

وأما على القول الأول فإعراب ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ مفعول، لا غير.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض.

والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك.

وبلوغها للحلقوم: حين الموت.

والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؛ أي: هلا رددتم النفس حين الموت.

ومعنى الآية: احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يردُّوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون.

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (٤٣٢/٢)، والبيهقي في السنن الكبير (٣٥٩/٣).

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ (٨٦) هذا خطاب لمن يحضر الميث من أقاربه وغيرهم، يعني: تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قُرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه.

أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة.

﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ إن أراد بقوله: ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ﴾:

الملائكة فقوله: ﴿لَا تَبْصُرُونَ﴾ من رؤية العين.

وإن أراد نفسه تعالى: فهو من رؤية القلب.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٨٧) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؛ أي: هلاً رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين ومقهورين، فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم.

وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مديين؟؛ فارجعوها إن كنتم صادقين.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمتوفى.

وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فالمراد بـ ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ هنا: السابقون المذكورون هناك.

﴿فَرْوَحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الرُّوح: الاستراحة.

وقيل: الرحمة، وروى أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَرْوَحٌ﴾ بضم الراء<sup>(١)</sup>، ومعناه الرحمة.

وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح.

وأما الريحان:

فقليل: إنه الرزق.

وقيل: الاستراحة.

وقيل: الطيب.

وقيل: الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة.

وفي قوله: ﴿فَرْوَحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَلَسَلْتُ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ①﴾ معنى هذا على الجملة: نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم.

والسلام هنا يحتمل أن يكون: بمعنى السلامة، أو التحية.

والخطاب في ذلك يحتمل: أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد أصحاب اليمين.

[أ-] فإن كان للنبي ﷺ: فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم، أي: لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧/١٠).

[ب-] وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين :

فالسّلام بمعنى التّحية، والمعنى : سلام لك، أي : تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين، أي : يسلمون عليك، فهو كقوله : ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ (١٦) .

أو يكون بمعنى السّلامة، والتقدير : سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله : ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره : أنت من أصحاب اليمين .

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني : الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة .

﴿فَنَزَّلُ مِنْ جَمِيرٍ﴾ (١٣) التّزل : أول شيء يقدّم للضيف .

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (١٥) الإشارة إلى تضمته هذه السّورة من أحوال الخلق في الآخرة .

و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ : معناه الثّابت من اليقين .

وقيل : إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك : مسجد الجامع .

واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكّده : «هذا يقين اليقين» أو «صواب الصواب»، بمعنى : أنه نهاية الصواب<sup>(١)</sup> .

(١) المحرر الوجيز (٨/٢١٦) .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ :  
 «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ قال ﷺ :  
 «اجعلوها في سجودكم»<sup>(١)</sup>.

فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى»  
 وفي الركوع: «سبحان ربي العظيم» .  
 وأوجه الظاهرية .

ويحتمل أن يكون المعنى :

سَبِّحَ الله بذكر أسمائه ، والاسم هنا : جنس الأسماء ، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة للرب .

أو يكون الاسم هنا واحداً ، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة له ، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ، ويؤيد هذا ويشير إليه : اتصال سورة «الحديد» بها ، وفي أولها التسييح وجملة من أسماء الله وصفاته .

قال ابن عباس : اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد .

وروي أن الدعاء بعد قراءتها مستجاب .



(١) أخرجه أحمد (١٧٤١٤) ، وأبو داود (٨٦٩) ، وابن ماجه (٨٨٧) .



## ﴿ سورة الحديد ﴾

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَمْ يَلِكْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَحِيٍّ وَبُيُوتٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ لَمْ يَلِكْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ⑤ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْوَى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُحْسِنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑩].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسييح المذكور هنا وفي أول سائر

السور المسبِّحات يحتمل :

أن يكون حقيقة .

وأن يكون بلسان الحال ؛ لأن كل ما<sup>(١)</sup> في السموات والأرض دليلٌ على وجود الله وقدرته وحكمته .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وذكر التسييح هنا وفي «الحشر» و«الصف» بلفظ الماضي ، وفي «الجمعة» و«التغابن» بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضي الدوام .

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ أي : ليس لوجوده بداية ، ولا لبقائه نهاية .

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي : الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه ، الباطن : الذي لا تدركه الأبصار ، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كُنه ذاته .

وقيل : الظاهر : العالي على كل شيء ، فهو من قولك : ظهرتُ على الشيء : إذا علوت عليه ، والباطن : الذي بطن كل شيء أي : علم باطنه .  
والأول أظهر وأرجح<sup>(٢)</sup> .

ودخلت الواو بين هذه الصفات ؛ لتدل على أنه تعالى جامع لها ، مع اختلاف معانيها .

(١) في ب ، د : «من» .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف : «والأول أظهر وأرجح» أقول : يريد القول الأول في تفسير الظاهر والباطن من أسماء الله ، والصواب في تفسير هذين الاسمين هو القول الثاني ؛ لأنه الموافق لتفسيره ﷺ ؛ إذ قال في الدعاء : «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» ، وإنما رجَّح المؤلف القول الأول فرارا من إثبات علوه تعالى بذاته فوق مخلوقاته ، ونفي ذلك هو مذهب الأشاعرة ، وإثباته هو مذهب أهل السنة ، كما تقدم قريبا .

وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثَىٰ﴾ قد ذُكِرَ، وكذلك ما بعده <sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني: أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُؤَلِّجُ الْمُلُوكَ﴾ ذكر في «الحج» <sup>(٢)</sup>، و«لقمان» <sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ﴾ يعني: الإنفاق في سبيل الله وطاعته. روي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا: روي أن قوله: ﴿قَالَتَيْنِ أَمْنًا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ.

ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس.

وقوله: ﴿مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متّعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكمها أن تنفقوها فيه.

ويحتمل أن يعني: ﴿جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ﴾ ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم، كما خلفها لكم من كان قبلكم.

(١) انظر (٣٤٩/٢)، (٥٧٢/٣).

(٢) انظر (٢١٦/٣).

(٣) انظر (٥١١/٣).

والمقصود على كل وجه : تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه : أي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة ؟

فقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار ، و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿وَمَا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ، والواو في قوله : ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال .

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق :

ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان .

أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم ؛ حين أخرجهم من ظهر آدم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى .

﴿هُوَ الَّذِي يُرِزُّ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتِهِ﴾ يعني : محمداً ﷺ ، والعبودية هنا : للتشريف والاختصاص ، والآيات هنا : القرآن .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه : أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السموات والأرض إذا أفنى<sup>(٢)</sup> أهلها ؟

ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا .

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ﴾ الفتح هنا : فتح مكة .

وقيل : صلح الحديبية .

(١) قال في الكشاف (٢٣٣/١٥) : «كما تقول : مالك قائماً ، بمعنى : ما تصنع قائماً» .

(٢) في د : «فني» .

والأول أظهر وأشهر .

ومعنى الآية : التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة ، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك ؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفاً ، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد .

ويؤخذ من الآية : أن من أنفق في شدة أعظم أجراً ممن أنفق في حال الرخاء .

وفي الآية حذفٌ دلٌّ عليه الكلام ، تقديره : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ، ثم حذف ذلك ؛ لدلالة قوله : ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ .

وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه »<sup>(١)</sup> ، يعني : السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة .

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي : كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤٠) .

[مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ نَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يُشْرِكُهُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ فِيهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِیَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُضْدِفِينَ وَالْمُضْدِفَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ نَرَى﴾ العامل في الظرف: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو تقدير: اذكر.

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان.

والصحيح هو قول الجمهور: أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، فالمعنى على هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نورٌ يضيء

(١) انظر (٤٦٧/١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٨/٢٢).

قُدَّامَهُمْ وعن يمين كل واحد منهم ، وقيل : يكون أصله في أيمانهم ، يحملونه فينبسط<sup>(١)</sup> نوره قُدَّامَهُمْ .

وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه ، فمنهم من يكون نوره كالنخلة السَّحُوق<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من يضيء ما قُرب من قدميه ، ومنهم من يضيء مرة وبهم بالانطفاء مرة .

قال ابن عطية : ومن هذه الآية أخذ الناس مَشْيَ الْمُعْتَقِ بِالشَّعْصَعَةِ قُدَّامَ مُعْتِقِهِ إِذَا مَاتَ<sup>(٣)</sup> .

﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ تقديره : يقال لهم ذلك .

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ تَوَكُّمٍ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ : بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ .

أو متعلق بـ ﴿الْفَوْزَ الْعَظِيمَ﴾ ، أو بمحذوف : تقديره اذكر .

ومعنى الآية : أن كل مؤمن ومُظهر للإيمان يُعطى يوم القيامة نورًا ، فيبقى نور المؤمنين ، وينطفئ نور المنافقين ، فيقول المنافقون للمؤمنين ﴿انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ تَوَكُّمٍ﴾ أي : نأخذ منه ونستضيء به .

ومعنى ﴿انظُرُونَا﴾ : انتظرونا ، وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، والمنافقون ليسوا كذلك .

(١) في ب : «فيسطح» .

(٢) النخلة السَّحُوق : أي الطويلة التي بُعِدَ ثمرها على المجتني . كما في لسان العرب مادة (سحق) .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٢٢٦) .

ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاءوا بنورهم، ولكن يَضْعَفُ هذا؛ لأن «نظر» إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بـ «إلى».

وقرئ ﴿أَنْظِرُونَا﴾ بهمزة قطع، ومعناه: أَخْرُونَا، أي: أمهلوا في مشيكم حتى نلحقكم.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا: من قول المؤمنين، أو قول الملائكة.

ومعناه: الطرد للمنافقين، والتهكُّم بهم؛ لأنهم قد علموا أنهم ليس وراءهم نور.

﴿وَرَاءَكُمْ﴾ ظرف العامل فيه ﴿ارْجِعُوا﴾.

وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: «ارجعوا ارجعوا». ومعنى هذا الرجوع:

ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور.

أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان.

أو ارجعوا خائبين، وتنَحَّوْا عنا فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمُ سُورًا لِّمَّ بَابٍ﴾ أي: ضَرْبٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه.



وقيل: إن هذا السور هو الأعراف، وهو سور<sup>(١)</sup> بين الجنة والنار.

وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد.

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ باطنه: هو جهة المؤمنين، وظاهره: هو جهة المنافقين وهي خارجة، كقولك: ظاهر المدينة أي: خارجها.

والضمير في ﴿بَاطِنُهُ﴾ و﴿ظَاهِرُهُ﴾: يحتمل أن يكون:

للسور.

أو للباب.

والأول أظهر.

﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم للإيمان.

﴿فَنَنْتَفِئْ أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

﴿وَرَرَّيْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم.

وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين.

﴿وَأَزَيْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان.

﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون، أو يهزموا، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة.

(١) في ج: «سد».

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام.

أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب.

﴿الْمَرْوُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى: الولي الناصر،

فكان هذا استعارة منه، أي: لا ولي لكم تأوون إليه إلا النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم

يَحْجُزْ، يقال: أنى الأمر: إذا حان وقته.

وذكر الله يحتمل أن يريد به:

القرآن.

أو الذكر.

أو التذكير بالمواعظ.

وهذه آية موعظة وتذكير.

قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول

القرآن.

وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب

رجوعه إلى الله.

وحكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه، فنطق بهذه

الآية، فكسره ابن المبارك، وتاب إلى الله.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ عَظَفَ ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عَلَى ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾.

ويحتمل أن يكون نهياً .

والمراد : التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى .

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي : مدة الحياة .

وقيل : انتظار القيامة .

وقيل : انتظار الفتح .

والأول أظهر .

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي : يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات .

وقيل : إنه تمثيل للقلوب ؛ أي : يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر ، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلى أن تخشع قلوبهم .

والأول أرجح ؛ لأنه الحقيقة .

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتشديد الصاد ، من الصدقة ، وأصله : «المتصدقين» ، وكذلك قرأ أبي بن كعب .

وقرئ بالتخفيف من التصديق ، أي : صدَّقوا الرسول ﷺ .

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: «إن الذين تصدقوا وأقرضوا».

وقد ذكرنا معنى ﴿وَأَقْرَضُوا﴾ في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] <sup>(١)</sup>.

﴿الصَّادِقُونَ﴾ مبالغة من الصدق، أو من التصديق.

وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة «فَعِيل» لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مَسِيكٌ: من أمسك.

﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾:

مبتدأ وخبره ما بعده.

أو يكون معطوفاً على الصديقين.

[أ-] فإن كان مبتدأ: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء ﷺ؛ لأنهم يشهدون على قومهم.

[ب-] وإن كان معطوفاً: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء

(١) انظر (١/٤٦٧).

أي : جمعوا الوصفين ، وروي في هذا المعنى : أن رسول الله ﷺ قال :  
«مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية<sup>(١)</sup>.

والآخر : أنه جمع شاهد ؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله :  
﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبرٌ عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ .

وخبر عن المؤمنين إن كان ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ معطوفاً .

و﴿نُورُهُمْ﴾ هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة ، حسبما ذكر في هذه  
السورة .

وقيل : هو عبارة عن الهدى والإيمان .



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٤١٤).

[﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَبُّهُ مُمْصِرَاتٌ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٥﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٧﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُتَخَالِفٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٠﴾].

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ الآية؛ معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبت الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره.

﴿الْكُفَّارَ﴾ هنا يراد به: الزُّرَّاع، فهو من قولهم: كَفَرْتُ الْحَبَّ: أي سترته تحت الأرض، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يُعجب.

وقيل: أراد الكفار بالله، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة:

ف قيل : المعنى كونوا في أول صف من القتال .

وقيل : احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام .

وقيل : كونوا أول داخل إلى المسجد ، وآخر خارج منه .

وهذه أمثلة ، والمعنى العام : المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحة .

وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل .

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات ،  
بدليل قوله في «آل عمران» : ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ،  
وقد ذكرنا هناك معنى ﴿عَرْضُهَا﴾<sup>(١)</sup> .

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
نَبْرَأَهَا﴾ المعنى : أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من  
قبل أن تكون ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن  
يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء»<sup>(٢)</sup> .

والمصيبة هنا : عبارة عن كل ما يصيب<sup>(٣)</sup> من خير أو شر .

وقيل : أراد به المصيبة في العرف ، وهو ما يصيب من الشر ، وخص ذلك  
بالذكر ؛ لأنه أهم على الناس .

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني : القحوط والزلازل وغير ذلك .

(١) انظر (١/٥٧٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٣) في ب زيادة : «الإنسان» .

﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الموت، والفقر، وغير ذلك.

﴿نَبَرَاهَا﴾ معناه: نخلقها.

والضمير يعود: على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض.

وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله، ولا تكثرثوا بأمور الدنيا.

ومعنى ﴿لَا تَأْسَوْا﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها.

وقرأ الجمهور: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد؛ أي: بما أعطاكم الله من الدنيا.

وقرأ أبو عمرو: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالقصر؛ أي: بما جاءكم من الدنيا.

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما أتي بمال كثير - : «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينتنا».

فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم.

﴿كُلُّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال: صاحب الخيلاء، والفخور: الشديد الفخر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلِّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾.



أو خبر ابتداء مضمّر تقديره: هم الذين .

أو منصوب بإضمار: أعني .

أو مبتدأ وخبره محذوف .

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا: جنس الكتب .

والميزان: العدل .

وقيل: الميزان الذي يوزن به .

وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له: مَرُّ قَوْمِكَ يَزِنُوا بِهِ .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبّر عن خلقه وإيجاده بالإنزال .

وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة .

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال:

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ .

والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك .

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا بَعَثَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يُقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾].

﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ، بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا.

ومعنى ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم.

وإعراب ﴿وَرَهَابَانِيَّةً﴾ معطوف على ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: جعل الله في

قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و﴿أَبَدَّعُوهَا﴾ صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق.

والمعتزلة يعربون ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مفعولاً بفعل مضمر يفسره ﴿أَبَدَّعُوهَا﴾؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي.

وذكر الزمخشري الوجهين <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا : بمعنى فرضنا وشرعنا.

وفي هذا قولان:

أحدهما : أن الاستثناء منقطع، والمعنى : ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ؛ ابتغاء رضوان الله.

(١) الكشف (١٥/٢٥٨-٢٥٩).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف : «وإعراب (رهبانية) معطوف على (رأفة ورحمة)» إلخ، أقول : تضمن كلام المؤلف ذكر الوجهين في إعراب رهبانية، هل هي عطف على رأفة ورحمة؟ أو نصب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده، والتقدير : ابتدعوا رهبانية؟ ورجح المصنف الوجه الأول، ونسب الثاني للمعتزلة؛ لثلا يتعلق الجعل بمعنى الخلق بالرهبانية، وهي من فعل العبد، وعندهم أن العبد هو الذي يخلق فعله.

وأقول : إن الإعراب الثاني هو الراجح، وقد ذهب إليه جمع كالبعوي والقرطبي وابن عاشور وغيرهم؛ وذلك لأن مفعول جعل في الآية مقيّد في القلوب ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ﴾، والرهبانية سلوك ظاهر، وليس في إعراب رهبانية على الوجه الثاني حجة للمعتزلة، ولا منفعة للمخالف. قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله.

والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿أَبْدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: «ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها».

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم.

والضمير في ﴿رَعَوْهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله ﷻ عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه.

وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.  
﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا يُتَعْنَى؟  
فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى ﴿ءَامِنُوا﴾ دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.  
والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا: قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كُفْلًا مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي...» الحديث<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد:

النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة.

أو يكون عبارة عن الهدى.

ويؤيد الأول: أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا

لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ «لا» في قوله:

﴿إِنَّمَا﴾ زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس.

وقرأ ابن مسعود: «لكي يعلم».

والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ

ﷺ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرُونَ على شيء من فضل

الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم

لم يسلموا، فلا ينالون شيئاً من ذلك.

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا

أنهم لا يقدرُونَ أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر

والنور والمغفرة.

وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية

في الرد عليهم، فهذا يقوي هذا القول.

وروي أيضاً أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على

غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية مُعْلِمةً

أن المسلمين مثلهم في ذلك.

## ﴿ سورة المجادلة ﴾

[﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنْ  
 اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝۱﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ  
 إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ ۝۲﴾  
 وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ  
 ثَوْعٌ طَوْسٍ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝۳﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ  
 أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطَاعًا بِسِتْنِ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ  
 حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝۴﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُنْتِ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِشَةَ بِنْتَ بَنِي النَّبِيِّ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝۵﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ  
 جَمِيعًا فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝۶﴾].

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم.

وقيل : خولة بنت ثعلبة .

وقيل : خولة بنت خويلد .

وقيل : اسمها : جميلة .

وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت ،  
 فظاهر منها ، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبدًا ، فلما فعل أوسُ  
 ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : إن أوسًا أكل

شبابي ونثرث له بطني<sup>(١)</sup>، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني!، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل!؛ فإني وحيدة، ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: «اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري».

وروي أنها كانت تقول: «اللهم إن لي منه صبيّة صغاراً إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا».

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِفَهُمْ﴾ المحاورة: هي المراجعة في الكلام.

قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه الأصوات!، لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى عليّ وسمع الله كلامها<sup>(٣)</sup>.

ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زوجها وقال له: «أُتَعَيِّنَ رَقبة؟»، فقال: والله ما أملكها. فقال: «أتصوم شهرين متتابعين؟»، فقال: والله ما أقدر، فقال له: «أُتَطْعَم ستين مسكيناً؟» فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده. النهاية لابن الأثير (٤٠٦٧/٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣)، والحاكم (٥٢٣/٢)، والطبري في تفسيره (٤٥٤/٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي في الكبرى (٢٧٦/٥)، وابن ماجه (١٨٩)،

والبخاري تعليقا (١١٧/٩) بلفظ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات...».

عشر صاعًا، وقيل: بثلاثين صاعًا ودعا له، فكفر بالإطعام وأمسك زوجته<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قرئ ﴿يَظْهَرُونَ﴾ بألف بعد الظاء وبحذفها، وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار. والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل لامرأته: «أنت علي كظهر أمي».

ويجري مجرى ذلك عند مالك: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأييد، كالبنات والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظَّهْر أو لم يذكره، كقوله: «أنت علي كأمي» أو «كبطن أمي» أو «يدها» أو «رجلها»، خلافاً للشافعي؛ فإن ذلك كله ليس عنده بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليه؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ردَّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًا باطل؛ فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذبًا؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه. وهي لا تصير كذلك أبدًا.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٦/٢٢).



والظهار محرّم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء :

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَا هِيَ أَثْمَنُهَا﴾؛ فإن ذلك تكذيب للمُظاهر.

والثاني: أنه سماه منكراً.

والثالث: أنه سماه زوراً.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب.

وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية، فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عودٌ إليه، هذا قول ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معاً.

الثاني: أن العود هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك، فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ<sup>(٢)</sup> وجبت عليه الكفارة، سواءً أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضاً عن مالك، فإذا

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) في ب، ج: «وطئها».

عزم على الوطء وجبت الكفارة، سواءً أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.  
الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة، وهذا مذهب الشافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار لزمته الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى، وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكمًا في أول مرة، وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة، فذلك يردُّ عليهم.

ويختلف معنى ﴿لَمَّا قَالُوا﴾ باختلاف هذه الأقوال:

فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية: فـ «ما» مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم.

وأما على سائر الأقوال فـ «ما» بمعنى «الذي»، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرّموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

﴿فَتَحَرَّرُ رَقَبَةً﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني:

فالأول: تحرير رقبة.

والثاني: صيام شهرين متتابعين.

والثالث: إطعام ستين مسكينًا.

فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة، وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشترط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم التتابع باختياره: ابتدأه من أوله باتفاق.

وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان:

فقال مالك: يبني على ما كان معه.

وقال أبو حنيفة: يبتدئ.

وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك: أنه مدٌّ لكل مسكين بمد هشام<sup>(١)</sup>، واختلف في مد هشام:

ف قيل: إنه مدّان غير ثلث بمد النبي ﷺ.

وقيل: إنه مدٌّ وثلث.

وقيل: إنه مدان.

وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدًّا بمد النبي ﷺ لكل مسكين.

ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا: لم يُجزَّه عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين.

(١) هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، عامل المدينة لعبد الملك بن مروان. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٢٢).

والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ مذهب مالك والجمهور: أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئاً من ذلك حتى يكفر.

وقال الحسن والثوري: أراد الوطء خاصة، فأباح ما دونه قبل الكفارة. وذكر الله قوله: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ في التحرير والصوم، ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك:

فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد.

وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا<sup>(٢)</sup>، وهذا أظهر؛ لأنه أعم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون ويعادون.

﴿كُتِبُوا﴾ أي: أهلكوا.

(١) المحرر الوجيز (٢٤٧/٨).

(٢) الكشاف (٢٧٨/١٥).

وقيل : لعنوا .

وقيل : كُتِبَ الرجل : إذا بقي خَرَّبان .

ونزلت الآية في المنافقين واليهود .

~ ~ ~

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾] أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَنصَارِ وَالْعَدُوِّنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَنصَارِ وَالْعَدُوِّنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحَّوْا فِي الْمَجَالِسِ فَانْفَحُوا بَشَاحَ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا بَرِّفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَسْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾].

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ يحتمل أن يكون النجوى هنا :

بمعنى الكلام الخفي ، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ مضافاً إليه .

أو بمعنى الجماعة من الناس ، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ بدلاً ، أو صفة .

والأول أحسن .

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني : بعلمه وإحاطته ، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ، و﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما

بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا .

وقيل : نزلت في المنافقين .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ ؛ لأن هذا من فعل اليهود .

والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معاً ؛ لقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت في الطائفتين .

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون : «السلام عليك يا محمد» ، بدلاً من «السلام عليكم»<sup>(١)</sup> ، والسام : الموت ، وهو ما أرادوه بقولهم ، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم : «وعليكم» ، فسمعتهم عائشة يوماً فقالت : بل عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا عائشة ! ؛ إن الله يكره الفحش والتفحش» ، قالت : أما سمعت ما قالوا ؟ قال : «أما سمعت ما قلت لهم ؟ إني قلت : وعليكم»<sup>(٢)</sup> .

ويريد بقوله : ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ : قوله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل : ٥٩] .

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون : لو كان نبياً لعذبنا الله بإذيته ، فقال الله : ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي : يكفيهم ذلك عذاباً .

﴿إِنَّمَا التَّجَوَّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل<sup>(٣)</sup> : يعني : النجوى

(١) في أ ، هـ : «عليك» .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠) ، ومسلم (٢١٦٥) .

(٣) لم ترد في ب ، د .

بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك؛ لدلالة الأول عليه.

وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيُخْزِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ اختلف في سبب الآية:

ف قيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال.

وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه.

وقيل: أقام النبي ﷺ قوماً ليجلسَ أشياخاً من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية.

ثم اختلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟

فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدلُّ على ذلك قراءة ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالإفراد.

وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدلُّ على ذلك قراءة ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالإفراد على هذا للجنس.

والنفسُح المأمور به: هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«لا يقيم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).



وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد؛ هل هو على التحريم أو الكراهة؟

﴿يَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع لكم في جنته ورحمته.

﴿وَإِذَا قِيلَ ائْشُرُوا فَاْئْشُرُوا﴾ أي: إذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك.

واختلف في هذا الشوز المأمور به:

ف قيل: إذا دُعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة.

وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحياناً، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام.

وقيل: المراد: القيام في المجلس للتوسع.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، كقولك: «جاءني العاقل والكريم»، وأنت تريد رجلاً واحداً.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعاً درجات.

فالدرجات:

على الأول: للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء.

وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضاً، ولكن

بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»<sup>(٣)</sup> فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين! ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكِدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ قال ابن عباس: سببها أن قومًا من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، إلا لتظهر<sup>(٤)</sup> منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحًا لا يرد أحدًا، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة.

وقيل: سببها: أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ.

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسخها قوله بعدها: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ﴾ الآية، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته ﷺ.

واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟

فقال قوم: لم يعمل بها أحد.

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣).

(٤) في أ: «ليظهروا».

وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنه روي أنه كان له دينار  
فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم،  
وقيل: تصدق في كل مرة بدينار.

ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة، وأما من لم يجد  
فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَقَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها:

عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها.

أو<sup>(١)</sup> تخفيفها بعد وجوبها.

﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دُوموا على هذه الأعمال التي هي  
قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة.

.....

(١) في ب، ج: «و».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَيْمَانُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّهُمْ فِي رُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم.

﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هي مذكورة في السَّيَر وغيرها.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجُنَّة: ما يُسْتَرُّ به ويُتَّقَى به المحذور كالثرس  
ثم استعمل هنا استعارة؛ لأنهم كانوا يظهرون الأيمان لتعصم دماؤهم  
وأموالهم.

وقرئ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

﴿اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾ أي: غلب عليهم وتملك نفوسهم.

﴿فِي الْآذِلِينَ﴾ أي: في جملة الأذلين؛ أي: معهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدر.

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية؛ معناها: لا تجد مؤمنًا يحب كافرًا ولو كان أقرب  
الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم  
يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارًا، فقد قتل أبو عبيدة بن  
الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز<sup>(١)</sup> بن عمير يوم  
أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد.  
وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار  
رسول الله ﷺ.

والأحسن أنها على العموم.

وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان، وذلك بعيد.

﴿يُؤَادَوْنَ﴾ هذه مفاعلة من المودة، فتقضي أن المودة من الجهتين.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه.

(١) الذي في سيرة ابن هشام (١/٦٤٥) أن اسمه: «أبو عزيز».

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبتته فيها كأنه مكتوب.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق.

وقيل: بالقرآن.

وقيل: بجبريل.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه <sup>(١)</sup> في مقابلة قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾.

والحزب: هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.



(١) في ج، د: «هذه».

## ﴿ سورة الحشر ﴾

نزلت هذه السورة<sup>(١)</sup> في اليهود<sup>(٢)</sup> بني النضير، وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره، فأطلعهم الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَاُؤُلِي الْأَنْبِيَاءِ ② وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑥ مَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ وَلِلَّذِينَ الْفُرْقَانِ وَالْجَنَّتَيْنِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

(١) في أ: «الآية».

(٢) في د: «يهود».

وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنتهَوْا وَأَنفُوا اللَّهَ إِنَّا اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: بني النضير.

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة، أي: خروجهم من حصونهم أول الحشر، والقيام من القبور آخره، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الآخر»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن المعنى: لأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الآخر: أن حشر<sup>(٢)</sup> القيامة إلى أرض الشام.

وروي في هذا المعنى: أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٩/٢٢).

(٢) في ب زيادة: «الناس يوم»

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٤٥/١٠).



الثالث : أن المراد : الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج ،  
فإخراجهم من حصونهم : أول الحشر ، وإخراج أهل خير : آخره .

الرابع : أن معناه : إخراجهم <sup>(١)</sup> من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم ؛ لأنه  
أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ .

وقال الزمخشري : اللام في قوله : ﴿لأَوَّلٍ﴾ بمعنى : «عند» ، كقولك :  
جئت لوقت كذا <sup>(٢)</sup> .

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ يعني : لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم .

﴿فَأَنذَهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم .

﴿يُخْرِوْنَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراج المؤمنين : فهو هدم  
أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله : ﴿يُخْرِوْنَ﴾ ؛  
لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم .

وأما إخراج الكفار لبيوتهم فثلاثة مقاصد :

أحدها : حاجتهم إلى الخشب والحجارة ؛ ليسدوا بها أفواه الأزقة  
ويحصنوا ما خرَّبه المسلمون من الأسوار .

والآخر : ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك .

والثالث : أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين ، فهدموها شحاً عليهم .

(١) في د ، هـ : «أخرجهم» .

(٢) الكشف (٣٠٤/١٥) .

﴿فَاعْتَرِوا بِنَأْوِي الْأَبْصَرِ﴾ استدلل الذين أثبوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلوا لهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ الجلاء: هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة، ولهم مع ذلك عذاب النار.

﴿شَاقُوا﴾ ذكر في «الأنفال»<sup>(١)</sup>.

﴿مَا قَطَّعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾ اللينة: هي النخلة.

وقيل: هي الكريمة من النخل.

وقيل: النخلة التي ليست بعجوة.

وقيل: ألوان النخل المختلفة.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم، وأحرقوا، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد!، فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك؛ ليخزي الفاسقين بني النضير.

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها.

(١) انظر (٤٤٧/٢).

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم :  
فأجازه الجمهور ؛ لهذه الآية ، وإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل  
بني النضير .

وكرهه قوم ؛ لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيش الذي وجههم <sup>(١)</sup> إلى  
الشام أن لا يقطعوا شجراً مثمراً .

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى ﴿أَفَاءَ  
اللَّهُ﴾ : جعله فينا لرسول الله ﷺ .

و﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف ، وهو سرعة السير .

والركاب : هي الإبل .

والمعنى : أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش  
المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ، ولا حصلوه بقتال ، ولكن حصل  
بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذ لبني  
النضير <sup>(٢)</sup> وما أخذ من فذك فهو فيء خاص للنبي <sup>(٣)</sup> ﷺ ، يفعل فيه ما يشاء ؛  
لأنه لم يؤجف عليها ، ولا قوتلت كبير قتال ، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ  
بالقتال ، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله ، وقسم  
سائرهما في المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، غير أن أبا دُجانة وسهل

(١) في ج ، د : «وجهه» .

(٢) في أ : «ما أخذه من بني النضير» .

(٣) في أ ، هـ : «بالنبي» .

ابن حنيف شكوا فاقاة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة.  
وقال عمر بن الخطاب: كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة،  
وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.

قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه، فهو  
لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية؛ اضطرب الناس في  
تفسير هذه الآية وحكمها اضطراباً عظيماً، فإن ظاهرها: أن الأموال التي  
تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس،  
ولا تقسم على من حضر الواقعة، وذلك يعارض ما ورد في «الأنفال» من  
إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة!

فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية «الأنفال»، وهذا خطأ؛ لأن آية  
«الأنفال» نزلت قبل هذه بمدة.

وقال بعضهم: إن آية «الأنفال» في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وإن  
هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل  
عليه.

وقيل غير ذلك.

والصحيح: أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية «الأنفال»:

فإن آية «الأنفال» في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل

والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم<sup>(١)</sup> بقيته على الغانمين.

وأما هذه الآية: ففي حكم الفيء، وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك، فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ.

وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي «الأنفال» لفظ الغنيمة، وقد تقرّر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء، وأن حكمهما مختلف.

قال أبو محمد ابنُ الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال<sup>(٢)</sup>.

وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق، فالصحيح: أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين.

فقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا؛ لقوله في الآية قبل هذا: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، فاستغنى بذكر ذلك أولاً عن ذكره ثانيًا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم.

(١) في ب، ج: «ونقسم».

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٨٩/٣).

ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم ؛ لأن الله سَوَّى بينهما في قوله : ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، وقد ذكرنا ذلك في «الأنفال» فأغنى عن إعادته .

وقد ذكرنا في «الأنفال» معنى قوله : ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك <sup>(١)</sup> .

﴿كَي لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي : كي لا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء ، وذلك أن رسول الله ﷺ قَسَمَ أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، فإنهم كانوا أغنياء ، فقال بعض الأنصار : لنا سهمنا من هذا الفيء ، فأنزل الله هذه الآية .

والدولة - بالضم والفتح - : ما يدول الإنسان <sup>(٢)</sup> ؛ أي : يدور عليه من الخير .

ويحتمل أن يكون من المداولة ؛ أي : كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ، ويبقى الفقراء بلا شيء .

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور ، أي : ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، فكانها أمرٌ للمهاجرين بأخذ الفيء ونهيٌ للأنصار عنه .

ولفظ الآية مع ذلك عامٌ في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه ، ولذلك استدلَّ

(١) انظر (٢/٤٥٩) .

(٢) في ب : «على الإنسان» .

بها عبد الله بن مسعود على أن المنع من لبس المُحَرَّم المخيط، ولعن الواشمة والواصلة: في القرآن؛ لورود ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾؛ ليبين بذلك أن المراد المهاجرون، ووصفهم بأنهم ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و﴿الدَّارُ﴾: هي المدينة؛ لأنها كانت بلدَهم، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين. فإن قيل: كيف قال ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وإنما تَبَوَّأ الدار - أي: تُسَكَن - ولا يُتَبَوَّأ الإيمان؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه: تبوؤوا الدارَ وأخلصوا الإيمان فهو كقوله:

فعلفئها<sup>(٢)</sup> تَبْنَا وماء بارداً<sup>(٣)</sup>

تقديره: علفئها تَبْنَا وسقيئها ماء.

الثاني: أن المعنى: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطنٌ لهم؛ لتمكُّنهم فيه، كما جعلوا المدينة كذلك.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، (٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) في د: «علفئها».

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه: «حتى شئتُ همالةً عيناها». قال بدر الدين العيني في «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»: «هذا رَجَز مشهور بين القوم، ولم أر أحداً عزاه إلى راجزه».

فإن قيل: قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدتهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل؛ لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد: تبوؤوا الدار مع الإيمان معاً؛ أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبؤي<sup>(١)</sup> الدار، فيكون: ﴿الْإِيْمَنَ﴾ على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن؛ لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان ﴿الْإِيْمَنَ﴾ مفعولاً معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان ﴿الْإِيْمَنَ﴾ معطوفاً على ﴿الْدَارَ﴾.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل: إن الحاجة هنا: بمعنى الحسد.

ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها.

والضمير في ﴿يَجِدُونَ﴾ للأنصار، وفي ﴿أُوتُوا﴾ للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، فلا يجدون في صدورهم شيئاً بسبب ذلك.

(١) في ب، د: «بنزول».



﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج.

والخصاصة: هي الفاقة.

وروي أن سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتهم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة<sup>(١)</sup>.

وروي أيضًا أن سببها: أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نؤمي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: «عجب الله من فعلكما البارحة» ونزلت الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ شَحْنُ النفس: هو البخل والطمع.

وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

(١) أخرجه الواقدي في كتاب المغازي (ص: ٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوفٌ على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل.

فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم: الفرقة الثالثة من الصحابة وهم ما عدا المهاجرين والأنصار، كالذين أسلموا يوم فتح مكة.

وقيل: يعني: من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن مَنْ قال في أحدٍ من الصحابة قول سوء فلا حظَّ له في الغنيمة والفِيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله.

[﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشَهُدٌ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾] لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَئِكَ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ لَا يُقَدِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ إِنْ أَحَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ الآية ؛ نزلت في عبد الله ابن أبي بن سلول وقوم من المنافقين ، بعثوا إلى بني النضير ، وقالوا لهم : اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيفما تقلبت حالكم .

﴿ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ أي : لا نسمع فيكم قول قائل ، ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم .

ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَئِكَ الْأَذْبَرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَا يَنْصُرُوهُمْ ﴾ ؟

فالجواب : أن المعنى : على الفرض والتقدير ؛ أي : لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار .

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ الرهبة : هي الخوف .

والمعنى : أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله .  
﴿لَا يَنْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي : لا يقدر  
على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق ،  
أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم .

﴿بِأَسْهُمٍ يَنْتَهُمُ شَدِيدٌ﴾ يعني : عداوة بعضهم لبعض .  
﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي : تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة  
وقلوبهم متفرقة <sup>(١)</sup> بالمخالفة والشحناء .

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي : هؤلاء اليهود كمثال الذين من قبلهم ،  
يعني : اليهود بني قينقاع ؛ فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني  
النضير ، فكانوا مثلاً لهم .

وقيل : يعني : أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا  
وقهروا .

والأول أرجح ؛ لأن قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة ،  
وذلك أوقع على بني قينقاع ، وأيضاً فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق ؛  
لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم ، وذلك هو المراد  
بقوله : ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ .

و﴿قَرِيبًا﴾ ظرف زمان .

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغوا

(١) في ج ، د ، هـ : «مفترقة» .

اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشیطان؛ فإنه يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه .

والمراد بالشیطان والإنسان هنا : الجنس .

وقيل : أراد الشیطان الذي أغوى قريشاً يوم بدر وقال لهم : إني جار لكم .

وقيل : المراد بالإنسان برصيص العابد؛ فإنه استودع امرأة فزين له الشیطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشیطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل ، فتعرض له الشیطان وقال له : اسجد لي وأنجيك ، فسجد له فتركه الشیطان وقال له : إني بريء منك ، وهذا ضعيف في النقل .

والأول أرجح .

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشیطان والإنسان ، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود .



[يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سُئِلُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾].

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمرٌ بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة.

ومعنى ذلك : محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات ، وإنما عبّر عن يوم القيامة بـ ﴿غَدٍ﴾ تقريباً له ؛ لأن كل ما هو آت قريب .

فإن قيل : لم كرر الأمر بالتقوى ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه تأكيد .

والآخر - وهو الأحسن - : أنه أمر بالتقوى أولاً استعداداً ليوم القيامة ،

ثم أمر به ثانياً ؛ لأن الله خبير بما يعملون ، فلما اختلف الموجبان كرره مع كل واحد منهما .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني: الكفار<sup>(١)</sup>.

والنسيان هنا يحتمل أن يكون: بمعنى الترك، أو الغفلة؛ أي: نسوا حقَّ الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ الآية؛ توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم!.

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه. وقيل: الغيب: الآخرة، والشهادة: الدنيا.

والعموم أحسن.

﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقديس<sup>(٢)</sup>، وهو التنزه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فُعُول للمبالغة كالسُبُوح.

﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: الذي سَلِمَ عباده من جَوْرِهِ.

والآخر: السليم من النقائص.

وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وُصِفَ به مبالغةً، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

(١) في زيادة: «والمنافقين».

(٢) في أ، هـ: «التقديس».

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من الأمن؛ أي: الذي آمن عباده.

والآخر: أنه من الإيمان؛ أي: المصدق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله.

﴿الْمُهِمِّنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب والشاهد والأمين.

قال الزمخشري: أصله «مؤيمن» بالهمزة ثم أبدلت هاء<sup>(١)</sup>.

﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر.

والآخر: أنه من الجبر؛ أي: يجبر عباده برحمته.

والأول أظهر.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقًا.

﴿الْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن

البارئ والفاطر يراد بهما: الذي بدأ الخلق واخترعه.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من

أحصاها دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشاف (٣٤٤/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).



قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، فقالت له: ولم ذلك؟ قال: لأنني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النبي ﷺ فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: «ضع يدك على رأسك». قلت: ولم ذاك يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة «الحشر» أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا ولم ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ١٩٠) وأخرجه من طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٣)، وقال السيوطي في «ذيل اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٠٨): «قال الذهبي: هذا حديث باطل».

## ﴿ سورة الممتحنة ﴾

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَّةً تُلَفُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ②﴾ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ④﴾ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُسْغِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ⑤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑦﴾].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَّةً﴾ العدو: ينطلق على الواحد والجماعة، والمراد به: هنا كفار قريش، وهذه الآيات <sup>(١)</sup> نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورى عن ذلك بخير، فشاع في الناس أنه خارج إلى خير، وأخبر

(١) في ب، ج، د: «الآية».

هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزيبر والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب!، فقال علي ابن أبي طالب: ما كُذِبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِبَ، والله لتُخرجن الكتاب أو لنجردنك! قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حُجْزَتِها، فجاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «من كتب هذا؟» قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليّ، فوالله ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني، ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأً مُلصَقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يدٌ يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدّق حاطبٌ، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيراً»<sup>(١)</sup>. فنزلت الآية عتاباً لحاطب، وزجراً عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

و«ألقى» يتعدى بحرف جر، وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩].

وهذه الجملة:

في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ .  
أو في موضع الصفة لـ ﴿أُولَئِكَ﴾ .  
أو استئناف .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ ، أو في ﴿تَلْقَوْنَ﴾ .  
﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني: إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج<sup>(١)</sup> إلى أرض الحبشة.

﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ مفعول من أجله؛ أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم .  
﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ ، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء .  
و﴿جِهَادًا﴾:

مصدر في موضع الحال .

أو مفعول من أجله .

(١) في ب زيادة: «مهاجرًا».

وكذلك ﴿أَبْتِغَاءَ﴾ .

﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾ معناه : إن يظفروا بكم .

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي : تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم .

قال الزمخشري : وإنما قال : ﴿وَدُّوا﴾ بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع ؛ لأنه أراد : ودُّوا كفركم قبل كل شيء<sup>(١)</sup> .

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون :

من الفصل بالحكم بينهم .

أو من الفصل بمعنى التفريق ؛ أي : يُفَرِّقُ بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة .

وقيل : إن العامل في ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ما قبله ، وذلك بعيد .

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة : هو الذي يُقْتَدَى به .

فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم .

ومعنى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ : من آمن به من الناس .

وقيل : الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً من عصره ، ورجح ابن

(١) الكشاف (٣٥٢/١٥) .

عطية<sup>(١)</sup> هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته: «ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»<sup>(٢)</sup>.

﴿بُرِّءُوا﴾ جمع بريء.

﴿كَفَرْنَا يَكُفِّرْ﴾ أي: كذبناكم في أقوالكم.

ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿إِسْوَةٌ خَسَنَةٌ﴾، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أمر أن يُقْتَدَى به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالة؛ لأنهم يقولون: غلبناهم لأننا على الحق، وهم على الباطل.

والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا؛ لأنه

(١) المحرر الوجيز (٢٧٩/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر؛ بحيث لا يفتن الكفار بذلك<sup>(١)</sup>.

❦ ❦ ❦

---

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨١).

[عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ۙ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَالَسْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهُمْ أَنْفَقُوا ۚ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ يَنْهَىٰ عَنْ عِلْمٍ حَكِيمٍ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ الذِّبَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ۚ وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْسِدُنَّ بِهِنَّ بِيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ۚ]

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ لما أمر الله المسلمين بعبادة الكفار ومقاطعتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فأنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش.

وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية<sup>(١)</sup>.



﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة<sup>(١)</sup> من لم يقاتلهم<sup>(٢)</sup> من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب؛ كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يُعينوا عليه.

الثاني: أنهم من كفار قريش، من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة.

والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أُمِّي قدمت عليّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»<sup>(٣)</sup>.

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا. وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم: فهم كفار قريش.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن.

وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تُستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها،

(١) في هامش د: «خ: مودة».

(٢) في د: «من لم يقاتلهم في الدين».

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

ولا لخوفٍ ولا غير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

**والثاني :** أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .  
**والثالث :** أن تُعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا ؛ من ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهم ، وترك الزنا والبهتان والعصيان فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها ، قالته عائشة رضي الله عنها .

﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية ، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يردَّ المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلمًا من الرجال والنساء ، فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ، ومنع من ردَّ المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين ، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدَّحْدَاحَة ، وقيل : سُبَيْعَة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال : يا محمد ردها علينا ، فإن ذلك في الشرط لنا عليك ، فنزلت الآية ، فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردَّها ، وأعطى مهرها لزوجها .

وقيل : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط ، هربت من زوجها إلى المسلمين .

واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على ردِّ من أسلم منهم ، أو تجوز حتى الآن ؟ على قولين .  
**والأظهر :** الجواز ؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء .

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ﴾ هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات.

﴿وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني: أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزواجهن بالصدق.

﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ العَصَم: جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني: المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة.

وقيل: يعني: كل كافرة، فعلى هذا: نسخ منها جواز تزوج الكتابيات بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب، كانت كافرة فطلقها. ﴿وَسَأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ مَّا أَنْفَقُوا﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم، اللاتي قررن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَمَاتُوا الذَّيْبَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ معنى ﴿فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: هروب نساء المسلمين إلى الكفار.

والخطاب في قوله: ﴿فَعَابْتُمْ﴾ و﴿فَمَاتُوا الذَّيْبَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾: للمسلمين.

وقوله: ﴿عَابْتُمْ﴾ ليس من العقاب على الذنب، وإنما هو:

من العُقْبَى؛ أي: أصبتم عقبي وهي الغنيمة.

أو من التعاقب على الشيء، كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون<sup>(١)</sup> إلى الكفار ونساء الكفار يهربون<sup>(٢)</sup> إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء.

وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهُمْ أَفْقُوًّا﴾ قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم، ولا نعطي صدق من فرّت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى، وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصّدّاق لمن فرّت زوجته من المسلمين إلى الكفار.

ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال: إن معنى ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾: غنمتم.

وقيل: من مال الفياء.

وقيل: من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرّ أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه.

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة؛ إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن

(١) في د، هـ: «يهربن».

(٢) في د، هـ: «يهربن».

الله قال في المشركين: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام، ولا تَمَسُّ يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه. ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ يَبْهَتَيْنِ﴾ معناه عند الجمهور: أن تنسب المرأة إلى زوجها ولداً ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. وإنما قال: ﴿يَقَرِّيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد به بين رجلها.

واختار ابن عطية: أن يكون البهتان هنا على العموم في أن يُنسب إلى الرجل غير ولده، أو يُفترى على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

والى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به: اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به: الفروج.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من

(١) رواه مالك في الموطأ (٧٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١١)، ومسلم (١٨٦٦).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٧).

الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه.

وورد في الحديث: «أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقررن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة - وهي امرأة أبي سفيان بن حرب - : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه، قال: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف»، فلما قررن على أن لا يزني، قالت هند: يا رسول الله أتزني الحرة؟ فقال ﷺ: «لا تزني الحرة»، يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك»<sup>(١)</sup>.

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقررت<sup>(٢)</sup> وعُلمت من الشريعة بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، وكان بعض فقهاء المسلمين يتوَدَّد إليهم ليصيبوا من أموالهم.

وقيل: يعني: كفار قريش.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٦/٢٢).

(٢) في ب: «قُرِّرَتْ».

والأول أظهر؛ لأن الغضب قد صار عرفاً لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

﴿قَدْ يَسْأَلُ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكَافَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود: فمعنى ﴿يَسْأَلُ مِنَ الْآخِرَةِ﴾: يسأوا من خير الآخرة والسعادة فيها.

ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قریش: فالمعنى: يسأوا من وجود الآخرة وصحتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيباً جزماً.

وقوله: ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكَافَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: كما يسأل الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يتعلق بـ ﴿يَسْأَلُ﴾، وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ لبيان الجنس؛ أي: كما يسأل الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم يثقنوا أنهم يعذبون<sup>(١)</sup> فيها.

❦ ❦ ❦

(١) في ب، د: «معذبون».

﴿ سورة الحواريين <sup>(١)</sup> ﴾

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❶ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ❷ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ❸ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوسٍ ❹ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ❺ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ❶ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ❷ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ❸ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ❹].

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال :

أحدها : - قول ابن عباس - : أن جماعة قالوا : ودنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ، ففرض الله الجهاد ، فكرهه قوم ، فنزلت الآية .  
والآخر : أن قوماً من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص : ٩٢) : «سورة الصف ، ونسبها إلى الحواريين» .



بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت؛ زجرًا لهم.  
والثالث: أنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف؛ لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم، وفيما يُظهرون.

ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل.  
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٤ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس؛ لأجل هذا الآية، ويقول: أخاف من مقت الله.  
والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها.

وانتصب ﴿مَقْتًا﴾ على التمييز، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾.  
وقيل: فاعل ﴿كَبُرَ﴾ محذوف، تقديره: كبر فعلكم مقتًا، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمرة.  
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال.

وقال بعض الناس: قتال الرِّجَالَةِ أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف، خفي على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التصاف، وإنما المقصد: الثبوت والجد في القتال<sup>(١)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٨/٢٩٢).

﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرُوضٌ﴾ المرصوص : هو الذي ضُمَّ بعضه إلى بعض .  
 وقيل : هو المعقود بالرصاص ، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة .  
 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام  
 وبعضيانه وتنقصه <sup>(١)</sup> .

وانظر في «الأحزاب» قوله : ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ [الأحزاب: ٦٩] <sup>(٢)</sup> .  
 ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم ، وتوبيخ  
 لهم ، وتقييح لإذابته مع علمهم بأنه رسول الله ، ولذلك أدخل «قد» الدالة  
 على التحقيق .

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب .

وزيغ القلب : هو ميله عن الحق .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إنما قال موسى : ﴿يَنْقُورِ﴾ ، وقال  
 عيسى : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ؛ لأنه لم يكن له فيهم أب .

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه مذكور في «البقرة» في قوله : ﴿مُصَدِّقًا  
 لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١] <sup>(٣)</sup> .

﴿وَمُتَّبِعًا رَسُولٍ﴾ عن كعب : أن الحواريين قالوا لعيسى : يا روح الله هل  
 بعدنا من أمة؟ قال : نعم ، أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء .

(١) في أ، د، هـ : «وتنقصه» .

(٢) انظر (٣/٥٦٨) .

(٣) انظر (١/٣٠٨) .

﴿أَسْمُهُ أَهْمُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

وأحمد: مشتق من الحمد.

ويحتمل أن يكون: فعلاً سمي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمر.

ويحتمل أن يكون: بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد: عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام.

ويؤيد الأول: اتصاله بما قبله.

ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) انظر (٤٨٩/٢).

[يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُصِغِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَيُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءِأَمْوَالَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَبْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾  
وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا  
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ  
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾].

﴿تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية؛ تفسيرٌ للتجارة المذكورة.

قال الأخفش: هو عطف بيان عليها.

وقال الزمخشري: هو استئناف<sup>(١)</sup>.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزمٌ في جواب ﴿تَوْمِنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود: «آمنوا وجاهدوا» على الأمر.

وقال الفراء: هو جواب ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ﴾؛ لأنه يقتضي التحضيض.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع ﴿أُخْرَىٰ﴾ على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره: ولكم نعمة أخرى.

أو<sup>(٢)</sup> انتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره: ويمنحكم أخرى.

وقيل: هو مخفوض بالعطف على ﴿يَحَرِّفُ﴾، وهذا ضعيف.

(١) الكشف (٣٩١/١٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ تفسير للأخرى ، فهو بدل منها ، أو خبر ابتداء مضمرة تقديره هي نصرٌ .

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري : عطفٌ على ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ؛ لأنه في معنى الأمر<sup>(١)</sup> .

﴿كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾ جمع ناصر ، وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج ، وسماهم الله به ، وليس ذلك المراد هنا .

﴿كَأَنَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى ؛ لأن ظاهره : كونوا أنصاراً لله كقول عيسى ، والمعنى : كونوا أنصاراً لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى : من أنصاري إلى الله .

وقد ذكر في «آل عمران» معنى الحواريين و﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿فَانْصَبُوا ظَهْرَهُنَّ﴾ قيل : إنهم ظهروا بالحجة .

وقيل : بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام .

وقيل : إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ .

(١) الكشف (١٥/٣٩٥) .

(٢) انظر (١/٥٤٣) .

## ﴿ سورة الجمعة ﴾

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑤ قُلْ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ شَيْئًا أَنْ يَرْجُوا قِيَامَ يَوْمِهِمْ أَنْ يَنْصَبُوا بِهِمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ سَاءَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ بِمَثَلٍ دُونَ ذَلِكَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ⑥ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑦]

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في «الحشر» (١).

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني : محمداً ﷺ.

و﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ : هم العرب، وقد ذكر معنى الأُمِّي في «الأعراف» (٢).

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾، وأراد بهؤلاء : فارس، سئل

(١) انظر صفحة ٣٦٢.

(٢) انظر (٢/٣٩٥).

رسول الله ﷺ: من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سليمان الفارسي، وقال: «لو كان العلم بالثريا لئله رجال من هؤلاء»<sup>(١)</sup> يعني: فارس.

وقيل: هم الروم.

و﴿مَنْهُمْ﴾ على هذين القولين يريد به: في البشرية وفي الدين، لا في النسب.

وقيل: هم أهل اليمن.

وقيل: هم التابعون.

وقيل: هم سائر المسلمين.

والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن «لَمَّا» لنفي الماضي القريب من الحال.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ يعني: اليهود، ومعنى ﴿خُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ كُلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، و﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يطيعوا<sup>(٢)</sup> أمرها، ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره، ولا يدري ما فيها.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٥٠).

(٢) في هـ: «يطيعوا».

﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني : اليهود الذين كذبوا محمداً ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها ؛ لأن التوراة تنطق بنبوته ﷺ ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة .  
﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup> .

❦ ❦ ❦

(١) انظر (١/ ٣٤٠) .



[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النداء للصلاة: هو الأذان لها.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بيان لـ ﴿إِذَا﴾، وتفسير له.

و﴿ذِكْرُ اللَّهِ﴾ يراد به: الخطبة والصلاة.

★ ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل:

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة:

هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات؟

أو واجب لظاهر هذه الآية؟؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد.

وقيل: على باب المسجد.

وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا، وبقي بقرطبة زماناً وهو باق بالمشرق إلى الآن.

قال أبو محمد ابن الفرس: قال مالك في «المجموعة»<sup>(١)</sup>: إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: كان المؤذن<sup>(٣)</sup> للجمعة واحدًا، ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزّوراء لسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟

الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب: «فامضوا إلى ذكر الله» وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»<sup>(٤)</sup>.

الخامسة: حضور الجمعة واجب؛ لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق.

ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور، خلافاً للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية.

وحجة الجمهور: قول رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة على كل مسلم في

(١) المجموعة على مذهب مالك وأصحابه، كتاب ألفه محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) من كبار أصحاب سحنون. انظر: الديباج المذهب (٢/ ١٧٤).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥٥٨).

(٣) في أ: «الأذان».

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).

- جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»<sup>(١)</sup>.
- وحجتهم في المسافر: أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر.
- واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟
- وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟
- والمشهور: أنها لا تسقط عنهما؛ لعموم الآية.
- السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟
- فقل: إذا زالت الشمس.
- وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.
- السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟
- فقل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك.
- وقيل: ستة أميال.
- وقيل: تجب على من داخل المصر.
- وقيل: على من سمع النداء.
- وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.
- الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط<sup>(٢)</sup> الجمعة أم لا؟ على قولين، والمشهور: سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٧).

(٢) في أ، هـ: «شروط».

﴿وَذُرُّوا الْبَيْعَ﴾ أمرٌ بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع.

واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟  
واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد؛ هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟

والأظهر: جوازه؛ لأنه إنما منع منه مَنْ يُدْعَى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

﴿فَأَنْشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكى الإجماع على ذلك ابن عطية<sup>(١)</sup> وابن الفرس<sup>(٢)</sup>.

﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا إباحة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هو طلب العلم.

وإن صح الحديث لم يُعَدَلْ إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام،

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٠٤).

(٢) أحكام القرآن (٣/٥٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٦٤٤).

وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورًا بها، فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا، قال جابر بن عبد الله: أنا أحدهم.

وذكر بعضهم: أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة.

واختلف في الثاني عشر:

ف قيل: عبد الله بن مسعود.

وقيل: عمار بن ياسر.

وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية.

وروي أنه ﷺ قال: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُومت في السماء على المنفصلين»<sup>(١)</sup>.

وظاهر الآية: يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة؟ فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود، وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية. وروي ابن الماجشون عن مالك: ثلاثون<sup>(٢)</sup>.

وقال الشافعي: أربعون.

وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٣٦/٥).

(٢) في ب زيادة: «رجلاً».

وقيل : اثنا عشر ، عدد الذي بقوا مع النبي ﷺ .

فإن قيل : لم قال : ﴿ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟  
فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه أراد : انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ، ثم حذف أحدهما ؛ لدلالة الآخر عليه . قاله الزمخشري <sup>(١)</sup> .

والآخر : أنه قال ذلك تهمُّماً بالتجارة ؛ إذ كانت أهم ، وكانت هي سبب اللهو ، ولم يكن اللهو سببها ، قاله ابن عطية <sup>(٢)</sup> .

﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا ؟

وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ؟

فمن أوجبه واشترطه : أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام .

ومن لم يوجبه : رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب .

ومذهب مالك : أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين .

وقال أبو حنيفة : لا يجلس بين الخطبتين ؛ لظاهر الآية ، وذكر القيام فيها دون جلوس .

وحجة مالك : فعل رسول الله ﷺ .

(١) الكشف (١٥/٤٢٠) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٠٥-٣٠٦) .

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾ إن قيل : لم قدم الله هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو ؟

فالجواب : أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه ؛ وذلك أن العرب تارة يبتدون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل ، كقولك : «فلان يخون في الكثير والقليل» فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه ، وتارة يبتدون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر ، كقولك : «فلان أمين على القليل والكثير» فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ، ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً ؛ فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى ، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة .

وكذلك قوله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها ، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها ، وقوله : ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو ، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه ، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن .

## ﴿ سورة المنافقين ﴾

[إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنِفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنُكِّلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾].

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنِفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلذلك كذبهم الله في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنِفِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ أي: كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ فليس من كلام المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ



الْمُتَفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ إبطالاً للرسالة، فوسّطه بين حكاية قول المنافقين وبين تكذيبهم؛ ليُزيل هذا الوهم وليحقّق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله: ﴿لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

﴿جَنَّةٌ﴾ ذكر في «المجادلة»<sup>(١)</sup>.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الإشارة:

إلى سوء عملهم.

أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم.

وأما قوله: ﴿ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيماناً صحيحاً، ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد: آمنوا في الظاهر، كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا

ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنهم حسانُ الصُّور.

﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني: أنهم فصحاء.

والخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعُ﴾:

للنبي ﷺ، ولكل مخاطب.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسَدَّدٌ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم، فكان لهم منظر

بلا مخبر.

وقال الزمخشري: إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي تكون في سقف أو مغروسة في جدار؛ فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة<sup>(١)</sup>.

وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط.

﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم.

﴿فَنَالَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم.

﴿أَنْ يُوَفَّكَونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع<sup>(٢)</sup> ظهوره؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أمالوها إعراضا واستكبارا.

وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جهجاه ابن سعيد<sup>(٣)</sup> أجير لعمر بن الخطاب، وسنان الجهنني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنانا، فغضب سنان ودعا

(١) الكشف (٤٢٩/١٥).

(٢) في ب، د: «بعد».

(٣) الذي سيرة ابن هشام (٢/٢٩٠): «جهجاه بن مسعود»، وفي الإصابة (٢/٢٦٤): «جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود».

بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبيي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال الأول: «سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكُلُكَ»، ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز: نفسه وأتباعه، ويعني بالأذل: رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرّوا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبيي، فحلف أنه ما قال شيئاً من ذلك، وكذب زيدا، فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد، وقال له: «لقد صدّقك الله يا زيد»، فخزي عبد الله بن أبيي، ومقته الناس، فقليل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك!، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد!، ثم مات عبد الله بن أبيي بعد ذلك بقليل<sup>(١)</sup>.

وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبيي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول الله ﷺ: «لأزيدن على السبعين» فلما فعل عبد الله بن أبيي وأصحابه ما فعلوا شدد الله

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٥٥/٢٢).

عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه<sup>(١)</sup>.  
وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية  
الأخرى بمدة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٩/١١).

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾].

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلکم.

و﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ هنا: على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة.

وقيل: يعني: الصلاة المكتوبة.

والعموم أولى.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك.

وقيل: يعني: الزكاة المفروضة.

والعموم أولى.

﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالجزم: عطف على موضع جواب الشرط<sup>(١)</sup>.

وقرأ أبو عمرو ﴿وَأَكُونُ﴾ بالنصب عطف على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾.



(١) والتقدير: إن تؤخرني أصدق وأكن من الصالحين. المحرر الوجيز (٣١٦/٨).

## ﴿ سورة التغابن ﴾

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَادُوا ثَوَاتِهِمْ أَوْبَهُوْنَا أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَى عَنْهُمْ وَرَرِي لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكَ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا: هو اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى: هو الذي خلقكم على صنفين: فمنكم من خلقه

مؤمنًا ومنكم من خلقه كافرًا، فالإيمان والكفر على هذا: هو ما قضى الله على كل أحد.

والأول أظهر؛ لأن عظمه على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة، لا في أصل الخلقة.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع<sup>(١)</sup>.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ تعديد نعمة في حُسنِ خَلْقِ بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر، فلا يخرج ذلك عن حُسن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس.

وقيل: يعني: العقل والإدراك الذي حُصَّ به الإنسان.

والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تنطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرًا، أو تكبروا عن اتباع بشر.

والبشر: يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذَّبَ﴾ قال عبد الله بن عمر: زعم كناية عن كذب<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر (٥٣٩/٢)، (٧٢٨/٢)، (٧١٢/٣).

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٩/٢٣) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كُتِبَ الكذب».

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكَ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ :

﴿لِلنَّبِيِّينَ﴾ .

أو ﴿خَيْرٌ﴾ .

أو محذوف تقديره : اذكر .

ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿ذَلِكَ يَوْمَ النَّارِ﴾ ، يعني : يوم القيامة .

و﴿النَّارِ﴾ : مستعار من تغابن الناس في التجارة ، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة ، فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء ، فالتغابن على هذا بمعنى الغبن ، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين ، كقولك : تضارب وتقاتل ، إنما هي فعل واحد كقولك : تواضع ، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup> .

وقال الزمخشري : يعني : نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء ، والتغابن على هذا بين اثنين ، قال : وفيه تهكم بالأشقياء ؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢١) .

(٢) الكشف (١٥/ ٤٥٥) .



[مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ بَتَّائِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاتِّكِ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقَرُوا لِلَّهِ مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يحتتم أن يريد بالمصيبة:

الرزايا، وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس.

أو يريد جميع الحوادث من خير وشر.

و﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عبارة عن قضائه وإرادته تعالى.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قيل: معناه: من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا حسن، إلا أن العموم أحسن منه.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ سببها: أن قوماً أسلموا وأرادوا الهجرة، فبطنهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك.

وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع

أهله وأولاده<sup>(١)</sup> فشكوا من فراقه، فرق لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَأِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا﴾ الآية.

ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدواً من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وروي أنه لما نزل ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ شق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا أَسْطَعْتُمْ﴾.

وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ معناه: فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، فهذه الآية - على هذا - مبينة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبيد.

وإعراب ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ ظرفية.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيويه.

وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنفِقُوا﴾؛ لأن الخير بمعنى المال.

وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقاً خيراً لأنفسكم.

(١) في أ، هـ: «وولده».

﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ ذكر في «الحشر»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ تُقِرُّوْا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في «اللغات»<sup>(٣)</sup>.



---

(١) انظر صفحة ٣٥٦.

(٢) انظر (١/٤٦٧).

(٣) انظر المواد (١٢٩)، و(٥٤٠).

## ﴿ سورة الطلاق ﴾

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْلُجُ فَاتَسَكَّوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَبْسُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَيْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ اتَّسَكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْهِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لَيْسَ فِى ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ إِنَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً عَاتِقًا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل : لم نوذي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد

ذلك خطاب الجماعة؟

فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ خطاباً له ولهم، وخُصَّ هو ﷺ بالنداء أولاً تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: «يا فلان افعلوا»، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه ﷺ هو المبلغ إلى أمته<sup>(١)</sup>، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك.

وقيل: تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتكم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمة دونه.

وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ ﴿طَلَّقْتُمْ﴾ تعظيماً له، كما تقول للرجل المعظم: «أنتم فعلتم»، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأنه يقتضي اختصاصه ﷺ بالحكم دون أمته.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ هنا: إذا أردتم الطلاق.

واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟

وأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع، ولكن يلزم.

وأما اليمين بالطلاق فممنوع<sup>(٢)</sup>.

﴿فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْدَتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلاً لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب: «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»، وقرأ

(١) في ب، د: «لأمة».

(٢) في أ، ب: «فهو ممنوع».

ابن عمر: «لَقُبْلٍ عَدْتِهِنَّ»، ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمره الله بها وهو استقبال العدة. واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هل هو تعبد؟

والصحيح أنه معلل بذلك.

وينبني على هذا الخلاف فروع:

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها وهي حامل أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟

فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع.

ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم أمر بالرجعة على وجه الإيجاب عند مالك، ودون إيجاب عند الشافعي حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: «مرة فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٧٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/٣٠٣)، (٣٠٩/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها ؛ لتعتد بذلك الطهر ، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء ؟ فليس طلاقاً لعدتها كما أمره الله .

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك ؛ لما بينى عليها من الأحكام ، في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك .

﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله ﷻ أن يُخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ، ونهاها أن تخرج هي باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت عن بيتها ، ولا أن تغيب عنه نهاراً إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكاً للزوج ، أو مكتراً عنده لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة ، وإن كانت قد أمتعت فيه مدة الزوجية ؛ ففي لزوم خُرُج<sup>(١)</sup> العدة له قولان في المذهب ، والصحيح لزومه ؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي ؟ على خمسة أقوال :

الأول : أنها الزنا ، فتخرج لإقامة الحد ، قاله الليث بن سعد والشعبي .  
 الثاني : أنه سوء الكلام مع الأصهار ، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظاً للنسب ، قاله ابن عباس ، ويؤيده قراءة أبي بن كعب : «إلا أن يفحشَنَّ عليكم» .

(١) في ب ، ج : «خروج» ! .

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئاً من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضاً، وإليه مال الطبري<sup>(١)</sup>.

الرابع: أنه الخروج عن<sup>(٢)</sup> بيتها خروج انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة<sup>(٣)</sup>.

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى، قاله قتادة.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به: الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامثلوا ما أمرتم به، لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم. وقيل: المعنى: لعل الله يحدث أمراً من نسخ هذه الأحكام، وهذا بعيد. وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية: تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر، فأمره الله بمراجعتها.

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأُولَىٰ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد: آخر العدة. والإمساك بمعروف: هو تحسين العشرة، وتوفية النفقة. والفراق بالمعروف: هو أداء الصداق، والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥).

(٢) في ب، د: «من».

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٤).



﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد المأمور به : هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين في المذهب.

وقال ابن عباس: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق.

وقد ذكرنا العدالة في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك، خلافاً لمن أجاز شهادة النساء في ذلك.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من المسلمين.

وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك: ردُّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود.

وإقامة الشهادة:

يحتمل أن يريد به: القيام بها، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر (١/٤٩٨).

(٢) أحكام القرآن (٣/٥٧٦).

ويحتمل أن يريد: إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسرهُ الزمخشري<sup>(١)</sup>، وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْسِطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلاقاً واحداً، حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجاً بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثاً: إنك لم تتق الله فبانَّت منك امرأتك، ولا أرى لك مخرجاً؛ أي: لا رجعة لك.

وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل الله له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضاً عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمس أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومته، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسع الله رزقه.

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشاف (٤٧١/١٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٣٦/٩).

والرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم.

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين:

رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [مرد: ٦].  
ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره.  
وقد تكلمنا على التوكل في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يُعجزه شيء، وهذا حصص على التوكل وتأكيده؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه<sup>(٢)</sup>.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقداراً معلوماً ووقتاً محدوداً.

﴿وَالَّتِي يَسِّرَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا: يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صِغَرٍ أو كِبَرٍ؟ فنزلت هذه الآية

(١) انظر (١/ ٥٩٠).

(٢) في ج: «ما سواه».

مُعْلَمَةٌ أَنَّ الْمَطْلُوقَةَ إِذَا كَانَتْ مِمَّنْ لَا تَحِيضُ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ يَعْنِي: الَّتِي انْقَطَعَتْ حَيْضُهَا لِكِبَرِ سِنِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ﴾ يَعْنِي: الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَبْلُغِ الْمَحِيضَ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ﴾، أَوْ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ كَذَلِكَ.

وقوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ هُوَ مِنَ الرِّيبِ بِمَعْنَى الشَّكِّ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِنْ أَرَبْتُمْ فِي حَكْمِ عِدَّتِهَا فَاعْلَمُوا أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ.

وَالْآخَرُ: إِنْ أَرَبْتُمْ فِي حَيْضِهَا هَلْ انْقَطَعَ أَوْ لَمْ يَنْقَطِعْ.

فَهِىَ عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ: فِي الَّتِي انْقَطَعَتْ حَيْضُهَا لِكِبَرِهَا حَسَبَمَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ.

وَهِيَ عَلَى التَّأْوِيلِ الثَّانِي: فِي الْمَرْتَابَةِ وَهِيَ الَّتِي غَابَتْ عَنْهَا الْحَيْضَةُ وَهِيَ فِي سَنٍ مِنْ تَحِيضٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي عِدَّتِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ خَاصَّةٌ حَسَبَمَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ.

وَالْآخَرُ: أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ تَسْتَبْرِئُ بِهَا أَمَدَ الْحَمْلِ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَقَدَوْتُهُ فِي ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا تَعْتَدُ بِالْأَقْرَاءِ وَلَوْ بَقِيَتْ ثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّى تَبْلُغَ سَنَ مِنْ لَا تَحِيضُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ: عَامَةٌ فِي الْمَطْلُوقَاتِ وَالْمَتَوَفَّى عَنْهُنَّ، فَمَتَى كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا وَضَعُ حَمْلِهَا.

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعدتها - عندهما - أبعد الأجلين: إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشر.

فحجة الجمهور: حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بَعَكْكَ، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «انكحي من شئت»<sup>(١)</sup>. وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ علياً رضي الله عنه لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصص - يعني: سورة «الطلاق» - نزلت بعد الآية التي في «البقرة»: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ﴾ أمر الله بإسكان المطلقات طول العدة. فأما المطلقة غير المبتوتة: فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق. وأما المبتوتة: ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي. والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة، وهو مذهب أبي حنيفة.

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤).

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

فحجة مالك: حديث فاطمة بنت قيس، وهو أن زوجها طلقها ألبتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة»<sup>(١)</sup>، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة.

وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة: قول عمر بن الخطاب: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»<sup>(٢)</sup>.

وحجة من لم يجعل لها لا سكنى ولا نفقة: أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ معناه: أسكنوهن مكاناً من بعض مساكنكم، ف﴿مِنْ﴾ للتبعية، ويفسر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه.

﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾ الوجد: هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكناً مما تقدرون عليه.

وإعرابه: عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾.

ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل؛ عملاً بهذه الآية؛ سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا.

واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا.

فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه.

وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً:

فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات.

وقال قوم: لها النفقة في التركة.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجره الرضاع، وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه.

﴿وَأَنصِرُوا بُيُوتَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان.

وقيل: معنى ﴿وَأَنصِرُوا﴾ تشاوروا، ومنه: ﴿إِنَّكَ أَلَمْلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠].

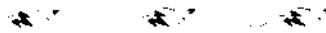
﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ المعنى: أن تشططت الأم على الأب في أجره الرضاع، وطلبت منه كثيرًا؛ فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما

هو أرفق به، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أمرٌ بأن ينفق كل أحد على مقدار حاله<sup>(١)</sup>، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تُضَيِّع الزوجة بل يكون الحال معتدلاً. وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك، خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية.

ومن عَجَزَ عن نفقة امرأته: فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه، خلافاً لأبي حنيفة.

وإن عَجَزَ عن الكسوة دون النفقة: ففي التطليق عليه قولان في المذهب.



(١) في ب، ج: «ماله».



[وَكَايْنٍ مِّن قُرْبَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسرًا ۝٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا اللَّهَ يَخْرُجُ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢] .

﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي : حاسبنا أهلها .

قيل : يعني : الحساب في الآخرة ، وكذلك العذاب المذكور بعده .

وقيل : يعني : في الدنيا ، وهذا أرجح ؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ، ولأن قوله : ﴿فَحَاسَبْنَهَا﴾ و﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ بلفظ الماضي ؛ فهو حقيقة فيما وقع ، مجاز فيما لم يقع .

فمعنى ﴿فَحَاسَبْنَهَا﴾ أي : واخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرهما .

والعذاب : هو عقابهم في الدنيا .

والنُّكر : هو الشديد الذي لم يعهد مثله .

﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾ الذكر هنا : هو القرآن ، والرسول : هو محمد ﷺ .

وإعراب ﴿رَسُولًا﴾ : مفعول بفعل مضمر تقديره : أرسل رسولاً ، هذا

الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup>، وهو أظهر الأقوال.

وقيل: إن الذكر والرسول معاً يراد بهما القرآن، والرسول على هذا: بمعنى الرسالة.

وقيل: إنهما يراد بهما القرآن، على حذف مضاف تقديره: ذكرًا ذا رسول.

وقيل: يراد بهما النبي ﷺ، والذكر من أسمائه، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿رَسُولًا﴾ مفعول بالمصدر الذي هو الذكر.

وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل أبدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سمي ذكرًا لكثرة ذكره لله<sup>(٢)</sup>.

وهذا كله بعيد.

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع.

وأما الأرض فاختلف فيها:

فقيل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «من غصب شبرًا من أرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنما هي واحدة.

فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾:

على القول الأول: يعني به المماثلة في العدد.

(١) المحرر الوجيز (٣٣٦/٨).

(٢) الكشف (٤٨٤/١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عَظَم الجِرْم وكثرة العُمَار، وغير ذلك.

والأول أرجح.

﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر:

الوحي.

أو أحكام الله وتديره لخلقه.



## ﴿ سورة التحريم ﴾

[﴿بَيِّنَّا النُّبَىٰ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَىٰ مَرَضَاتِ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النُّبَىٰ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَذَكَّرْنَ عِنْدَ رَبِّكِ سَيِّئَاتٍ تَتَذَكَّرْنَ وَأَنْبَاكَ ﴿٥﴾ بَيِّنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِكُمُ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ بَيِّنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْدِرُهُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا تَحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾].

﴿بَيِّنَّا النُّبَىٰ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحدهما: أن رسول الله ﷺ جاء يوماً إلى بيت زوجته حفصة بنت عمر ابن الخطاب، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته مارية فقال معها<sup>(١)</sup> في البيت، فجاءت حفصة فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ

(١) في د: «فقدد معهما»، وفي هـ: «فدخل معها».

مترضيًّا<sup>(١)</sup> لها : «أبرضيك أن أحرمها؟» ، قالت : نعم ، فقال : «إني قد حرمتها»<sup>(٢)</sup> .

والرواية الأخرى : أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلًا ، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها : أكلت مغاير ، والمغاير : صمغ العُرْفُط ، وهو حلو كريه الريح ، ففعلن ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : «لا ولكني شربت عسلًا» ، فقلن له : جرسَتْ نحلته العرْفُط<sup>(٣)</sup> ، فقال رسول الله ﷺ : «لا أشربه أبدًا» ، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة ، فدخل بعد ذلك على زينب فقالت : ألا أسقيك من ذلك العسل ؟ فقال : «لا حاجة لي به»<sup>(٤)</sup> .

فتزلت الآية عتابًا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل .

والرواية الأولى أشهر ، وعليها تكلم الناس في فقه السورة .

وقد خرَّج الرواية الثانية البخاري وغيره .

ولتكلم على فقه التحريم :

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء :

فلا يلزم ، ولا شيء عليه عند مالك .

(١) في ب ، ج ، د : «مرتضيًّا» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣ / ٨٤) .

(٣) أي : أكلت العرْفُط ، يقال للنحل : الجوارس . النهاية لابن الأثير (٢ / ٦٢٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٨) ، ومسلم (١٤٧٤) .

وأوجب عليه أبو حنيفة كفارة.

وأما تحريم الأمة :

فإن نوى به العتق لزم.

وإن لم ينو به ذلك لم يلزم. وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام.

وأما تحريم الزوجة : فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة :

فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم : إنما يلزم<sup>(١)</sup> فيه كفارة يمين.

وقال مالك في المشهور عنه : ثلاث تطليقات في المدخول بها، ويُنَوَّى في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلاق أو اثنتين أو ثلاث.

وقال ابن الماجشون : هي ثلاث في الوجهين.

وروي عن مالك : أنها طلاق بائنة.

وقيل : طلاق رجعية.

﴿تَبَنَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي : تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني : تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية.

وأما تحريم العسل فلم يقصد به رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من

(١) في أ، هـ : «تلزم».

التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أَرَبَ.

وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة؛ لأنه حرَّم ما أحل الله! <sup>(١)</sup>، وذلك قلة أدب على منصب النبوة.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلَّة: هي الكفارة.

وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة «المائدة» من صفتها <sup>(٢)</sup>.

واختلف في المراد بها هنا :

[أ-] فأما على قول من قال : إن الآية نزلت في تحريم الجارية : فاختلف في ذلك :

فمن قال : إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلل بها .

ومن قال : إن التحريم يلزم منه <sup>(٣)</sup> طلاق قال : إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف، فقال : «والله لا أطؤها أبداً».

[ب-] وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل : فاختلف أيضاً :

فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال : هذه الكفارة للتحريم .

ومن قال : لا كفارة فيه قال : إنما هذه الكفارة ؛ لأنه حلف أن لا يشربه .

(١) الكشف (١٥/٤٩١).

(٢) انظر (٢/٢٠٦).

(٣) في أ، هـ : «فيه».

وقيل : هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً .

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون :

بمعنى الولي الناصر .

أو بمعنى السيد الأعظم .

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة

أقوال :

أحدها : أنه تحريم الجارية ، فإنه لما حرمها قال لحفصة : « لا تخبري بذلك أحداً » .

والآخر : أنه قال <sup>(١)</sup> : إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده <sup>(٢)</sup> .

والثالث : أنه قوله : « شربت عسلاً » .

والأول أشهر .

﴿وَبَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة .

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرَّ إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية ، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك ، فعاتب حفصة عن إفشائها لسره وطلقها ، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها ، وقيل : لم يطلقها .

(١) في دزيادة : «لحفصة».

(٢) في د : «بعدي».



فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ حذف المفعول وهو عائشة، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به.

وقيل: معناه: أظهر الله عليه<sup>(١)</sup> الحديث، من الظهور.

وقوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي: عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعضه؛ حياء وتكرماً، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب.

وقرئ ﴿عَرَفَ﴾ بالتخفيف؛ من المعرفة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت أن عائشة هي التي أخبرته به، فقالت له: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلمت.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما: مما جرى منهما في قصة تحریم الجارية أو العسل.

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾: أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود: «زاغت».

والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة.

﴿وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره.

و﴿مَوْلَاهُ﴾ هنا:

يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على ﴿مَوْلَاهُ﴾، ويكون

(١) أي: على النبي ﷺ. الكشاف (٤٩٧/١٥).

﴿وَجِبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه.

ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى: الولي الناصر، فيكون ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ معطوفاً، فيوصل مع ما قبله، ويوقف على ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾، ويكون ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريف له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك»<sup>(١)</sup>، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: «معك» يقتضي معنى النصر.

﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ اختلف في ﴿وَصَلِّحُ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟

فعلى القول بأنه مفرد: هو أبو بكر الصديق، وقيل: علي بن أبي طالب. وعلى القول بأنه جمع: فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَىٰ رُبُّهُۥٓ إِن تَلَاقَكُنَّ﴾ الآية؛ نصره للنبي ﷺ.

وروي أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقة، ولقد قال عمر حينئذ

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت<sup>(٢)</sup>.

والسائحات: معناه الصائمات، قاله ابن عباس، وقد روي عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: معناه مهاجرات.

وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.

وقوله: «ثَبَّتَ وَأَبْكَرَ» قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون<sup>(٤)</sup>؛ فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح.

ودخلت الراو هنا للتقسيم، ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثبوة والبكارة لا يجتمعان.

وقال الكوفيون: هي واو الثمانية، وذلك ضعيف.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي: أطيعوا الله، وأمروا أهليكم بطاعته؛ لتقوا

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) انظر (٥٤٤/٣).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٩٤/٥) من دون إسناد، ولم أقف على إسناد له.

(٤) كذا العبارة في جميع النسخ الخطية!، ولعل صوابها: «والمراد بالثبوات: آسية امرأة فرعون». انظر: التعريف والإعلام للسهيلى (ص: ٣٤٢).

أنفسكم وأهلكم بطاعته من النار، فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة.

﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني: زبانية النار.

و«غَلَّظَهُمْ»<sup>(٢)</sup> وشدنتهم: يحتمل أن يريد:

في أجرامهم.

أو في قسوة<sup>(٣)</sup> قلوبهم.

﴿وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ﴾.

وقيل: إن معنى ﴿لَا يَعْصُونَ﴾ امثال الأمر، ومعنى ﴿وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جُدُّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿لَا نَعْذِرُكَ الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون هذا:

خطاباً من الله للكفار.

أو خطاباً من الملائكة.

(١) انظر (٢٩١/١).

(٢) في ب: «وغلظتهم».

(٣) في ب، ج: «قساوة».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشَسِّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَرَاتَ نُوحٍ وَأُمَرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الذِّكْرُ وَأَنَّ مِنَ الْقَتْلَيْنِ ﴿١٢﴾].

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدًا، ولا يريد أن يعود.

وقيل: معناه: توبة خالصة، فهو من قولهم: غسل ناصح: إذا خلص من الشمع.

وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، كتوبة الثلاثة الذين خلفوا.

وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم<sup>(١)</sup>.

وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في «النور»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ يحتمل أن يكون: ما قبله.

أو ما بعده.

أو محذوف تقديره: اذكر.

والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحتمل أن يكون:

معطوفاً على ﴿النَّبِيِّ﴾.

أو مبتدأ وخبره بعده.

﴿تُورِثُهُمْ يَسْعَى﴾ ذكر في «الحديد»<sup>(٢)</sup>.

﴿جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(٣)</sup>.

﴿أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة، وهذا يفتقر إلى صحة النقل.

﴿فَخَانَتْهُمَا﴾ قال ابن عباس: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه

(١) انظر (٢٩١/٣).

(٢) انظر صفحة ٣١٣.

(٣) انظر (٥١٠/٢).

مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانت مع ذلك كافرتين.

وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك وقال: ما زنت امرأة نبي قط؛ تنزيهاً من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل، كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه؛ كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما.

وقيل: هو مثل لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن الله إنما ضربه للذين كفروا.

﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾ اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسى ﷺ، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تعني: كفره وظلمه.

وقيل: مضاجعته لها، وهذا ضعيف.

﴿أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني: الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له: هو صيانتها وعِفَّتْها عن كل مكروه.

وقيل: يعني فرج درعها، وهذا ضعيف.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله فيه عيسى ﷺ.

وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشریف له .

﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ﴾ كلمات ربها : يحتمل أن يريد بها :

الكتب التي أنزل .

أو كلامه مع الملائكة وغيرهم .

﴿وَكِتَابِهِ﴾ بالتوحيد : يحتمل أن يريد به : التوراة ، أو الإنجيل ، أو جنس الكتب .

وقرئ بالجمع يعني : جميع كتب الله .

﴿مِنَ الْفَتَنِينَ﴾ أي : من العابدين .

فإن قيل : لم قال ﴿مِنَ الْفَتَنِينَ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى ؟

فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء ، فغلب الذكور .





## ﴿ سورة الملك ﴾

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه<sup>(١)</sup>.

وأنه ﷺ قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>.

[﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَنتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ ⑥ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ⑦ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ⑨ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑩ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ⑫ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑬ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑭ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ⑮ ]

﴿ تَبَرَّكَ ﴾ فعل مشتق من البركة.

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (٢٦١/٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠).

وقيل : معناه : تعاضم .

وهو مختص بالله تعالى ، ولم يُنطق له بمضارع .

﴿يَبْدِئُ الْمُلْكُ﴾ يعني : مُلْكُ السموات والأرض والدنيا والآخرة .

وقيل : يعني : مُلْكُ الملوك في الدنيا ، فهو كقوله : ﴿مَنْ لَكَ الْمُلْكُ﴾

[آل عمران : ٢٦] .

والأول أعم وأعظم .

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني : موت الخلق وحياتهم .

وقيل : الموت : الدنيا ؛ لأن أهلها يموتون ، والحياءة : الآخرة ؛ لأنها

باقية ، فهو كقوله : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [التكوير : ٦٤] وهو على

هذا وصف بالمصدر .

والأول أظهر .

﴿لَيَبْلُوَكُمْ﴾ أي : ليختبركم ، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم

الحجة بما يصدر منهم ، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه .

والمعنى : ليلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم .

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها فقال : «أيكم أحسن

عقلاً<sup>(١)</sup> ، وأشدكم لله خوفاً ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع في طاعة

الله<sup>(٢)</sup> .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «عملاً» ، والمثبت موافق لما في الرواية .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٣٥) .

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض.

والطباق:

مصدرٌ وُصفت به السموات.

أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق.

وقيل: إنه جمع طبقة.

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ أي: من قلة تناسبٍ وخروج عن الإتيان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتيان، بحيث ليس فيها ما يعيها من الزيادة والنقصان والاختلاف.

وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات.

ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة، ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر؛ لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، فكان قوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ بياناً وتكميل لما قبله.

والخطاب في قوله: ﴿مَا تَرَى﴾ و﴿أَنْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وما بعده: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر.

﴿فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ الفطور: الشقوق، جمع فطر وهو الشق. ورجع البصر: ترديده في النظر.

ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل<sup>(١)</sup>.

(١) في د: «خلال».

بل هي ملتزمة مستوية .

﴿ثُمَّ أُنْجِ الْبَصَرَ كَرَيْنًا﴾ أي : انظر نظراً بعد نظر للتثبت والتحقيق .

وقال الزمخشري : معنى التثنية في ﴿كَرَيْنًا﴾ التكثير ، لا مرتين خاصة ، كقولهم : «لييك» فإن معناه إجابات كثيرة<sup>(١)</sup> .

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ : هو المبعد عن الشيء الذي طلب .

والحسير : هو الكليل الذي أدركه التعب .

فمعنى الآية : أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاً أو خللاً رجع بصرك ولم تر شيئاً من ذلك ؛ فكأنه خاسئ ؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل ، وهو مع ذلك قليل من شدة النظر وكثرة التأمل .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ السماء الدنيا : هي القرية منا .

والمصابيح : يراد بها النجوم .

فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال .

وإن كانت في غيرها من السماوات فقد زُيِّنَت السماء الدنيا ؛ لأنها ظاهرة فيها لنا .

ويحتمل أن يريد أنه زُيِّنَ السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في

(١) الكشف (١٥/٥٣٨) .

غيرها، على أن القول بمواضع الكواكب وفي أيّ سماء هي لم يرد في الشريعة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجوماً؛ لأن الكواكب الثابتة ليست تُرجم الشياطين، فهو كقولك: «أكرمت بني فلان»: إذا أكرمت بعضهم.

والرجوم: جمع رَجِمَ، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يُرجم به.

قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوماً للشياطين: أن الشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها؛ لأنها ثابتة في الفلك<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة السماء، ورجوم الشياطين وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يعني: للشياطين.

﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ الشَّهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا:

ما يُسمع من صوت جهنم؛ لشدة غليانها وهولها.

أو شهيق أهلها.

والأول أظهر.

(١) الكشاف (٥٤٢/١٥).

﴿وَهِيَ تَقُورُ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها .  
 ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض؛ لشدة غيظها على الكفار .

فيحتمل:

أن تكون هي المغتاظة بنفسها .  
 ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية .  
 والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا .  
 وغيظ النار يحتمل:

أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها .  
 أو يكون عبارة عن شدتها .  
 ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية: هل جاءكم<sup>(١)</sup> نذير؟ أي: رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ .  
 وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تُلقَى في النار .  
 ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون:  
 من قول ملائكة النار للكفار .  
 أو من قول الكفار للرسول في الدنيا .

(١) في أ، ب: «جاءهم» .

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ اعترفهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف.

وذنبهم هنا: يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ انتصب ﴿فَسُحْقًا﴾ بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم غائبون عن الناس، ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ المعنى: سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته.

ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾:

فاعلاً يراد به الخالق، والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه.

أو يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولاً ، والفاعل مضمّر تقديره : ألا يعلم الله من خلق .

والأول أرجح ؛ لأن ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إذا كان مفعولاً اختصّ بمن يعقل ، والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل .





[هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ  
 ١٥) ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ  
 أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ  
 كَانَ نَكِيرِ ١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِدٌ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمِسُّكُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ بَصِيرٌ ١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُحْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي  
 غُرُورٍ ٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ٢١) أَفَمَن يَمْشِي  
 مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ  
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ  
 ٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
 مُّبِينٌ ٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ  
 ٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ  
 ٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
 إِنِ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ٣٠) ]

﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فَعُول هنا بمعنى : مفعول ، أي : مذلولة ، فهي كركوب  
 وحلوب .

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ابن عباس : هي الجبال .

وقيل : الجوانب والنواحي .

وقيل : الطرق .

والمعنى : تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض ، فاستعار لها الذَّلَّ  
 والمناكب ؛ تشبيهاً بالدواب .

﴿وَالْيَوْمِ النُّشُورِ﴾ يعني : البعث يوم القيامة .

﴿ءَأْمِنْتُمْ﴾ الآية ؛ مقصودها التهديد والتخويف للكفار ، وكذلك الآية التي بعدها .

﴿تَمُورُ﴾ ذكر في «الطور»<sup>(١)</sup> .

﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد : حجارة ، أو ريحًا شديدة .

﴿نَذِيرٍ﴾ بمعنى الإنذار ، وكذلك ﴿نَكِيرٍ﴾ بمعنى الإنكار .

﴿أَوَّلَهُمْ بَرًا إِلَىٰ أَلْطَّرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها .

﴿صَفَّتْ﴾ جمع صافّة ، وهي التي تبسط جناحيها للطيران .

والقبض : ضم الجناحين إلى الجنب .

وعطف ﴿وَقَبَضْنَ﴾ على ﴿صَفَّتْ﴾ ؛ لأن الفعل في معنى الاسم تقديره : قابضات .

فإن قيل : لِمَ لَمْ يقل «قابضات» على طريقة ﴿صَفَّتْ﴾ ؟

فالجواب : أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران ، كما أن مدّ الأطراف هو الأصل في السباحة ، فذكر بصيغة اسم الفاعل ؛ لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطير<sup>(٢)</sup> قليلًا للاستراحة والاستعانة ، فذكره بلفظ الفعل ؛ لقلته .

(١) انظر صفحة ٢٢٣ .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «الطائر» .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم .

ودخلت «أم» التي يراد بها الإنكار على «مَنْ» فأدغمت فيها ، وكذلك ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ .

والضمير في ﴿أَمْسَكَ﴾ : لله ؛ أي : من يرزقكم إن منع الله رزقه .

﴿بَلْ لَّجُوا﴾ أي : تمادوا في العتوّ والنفور عن الإيمان .

﴿أَمَّنْ يَنْشِئُ مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الآية ؛ توقيفٌ على الحالتين ، أيهما أهدى ، والمراد بها : توبيخ الكفار .

وفي معناها قولان :

أحدهما : أن المشي هنا استعارة في سلوك طريقة الهدى والضلال في الدنيا .

والآخر : أنه حقيقة في المشي في الآخرة ؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه .

فأما على القول الأول :

فقليل : إن الذي يمشي مكبًا : أبو جهل ، والذي يمشي سويًا : محمد ﷺ ، وقيل : حمزة .

وقيل : هي على العموم في كل مؤمن وكافر .

وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا على القول الثاني .

والمكب: هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل، وكبه غيره، فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة، بخلاف سائر الأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، والوعد يراد به: البعث، أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد.

﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريباً.

وقيل: عياناً.

﴿سَيَنْتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون به.

والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ الآية؛ سببها: أن الكفار كانوا يتمنون هلاك

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ نظيره قوله سبحانه: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وهذا معنى ما قاله المصنف أنه افتعال من الدعاء بمعنى طلب الشيء، وعدي بالباء كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وقول المصنف: «والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال»، أقول: منشأ هذا التردد أن الفعل مبني للمفعول «قيل»، فيحتمل ما ذكره المصنف، ويحتمل أن القائل هو الله، توبيخاً للكافرين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. والله أعلم.

النبي ﷺ والمسلمين ، فأمره الله أن يقول لهم : إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا ؛ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال .  
والهلاك هنا يحتمل أن يراد به : الموت ، أو غيره .

ومعنى ﴿فَمَنْ يُجِئُ الْكَافِرِينَ﴾ : من يمنعهم من العذاب .  
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية ؛ احتجاج على المشركين .  
والغور : مصدر وصف به فهو بمعنى غائر ؛ أي : ذاهب في الأرض .  
والمعين : الكثير .

واختلف هل وزنه فَعِيل أو مَفْعول ؟

فالمعنى : إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم إله غير الله بماء معين ؟



## ﴿سورة ن والقلم﴾

[بَٓٔ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ  
 مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾  
 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾  
 وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدُهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِنَّ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَسْلَمَ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَاعَ  
 لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلِ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى  
 عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْفَرْطُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ  
 الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا بِبَصَرِهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾  
 فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا  
 وَهُمْ يَسْتَخْفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرَةٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا  
 قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ  
 رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوْنُسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾  
 عَسَى رَبَّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾].

﴿بَٓٔ﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

ويختص ﴿بَٓٔ﴾ بأنه قيل: إنه حرف من «الرحمن»، فإن حروف الرحمن

في ﴿الرَّ﴾ و﴿حَمَ﴾، و﴿تَ﴾.

وقيل: إن نون<sup>(١)</sup> هنا يراد به: الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وهذا لا يصح.

على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه: ذو النون.

وقيل: إن نون هنا يراد به الدَّوَاة، وهذا غير معروف في اللغة.

ويَبْطِل قول من قال إنه الحوت أو الدَّوَاة: بأنه لو كان كذلك لكان معرباً بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفاً دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿الْمَ﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿وَالْقَالِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه القلم الذي كُتِبَ به في اللوح المحفوظ، فالضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة.

والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس، أقسم الله به لما فيه من المنافع والحِكم، والضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبته الكفار له من الجنون.

و﴿يَنْعَتِ رَبِّكَ﴾ اعتراض بين ﴿مَا﴾ وخبرها، كما تقول: «أنت - بحمد الله - فاضل».

(١) في ب، د: «ن».

والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿عَبْرَ مَنْثُونٍ﴾ ذكر في «فصلت»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خُلُقِ رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»<sup>(٣)</sup> تعني: التأدب بآدابه وامتثال أوامره.

وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق. وتفصيل ذلك: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وكثرة العبادة، وشدة الحياء، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتؤدة، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره ﷺ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(٤)</sup>.

وقال الجنيد: سمي خُلُقُه عَظِيمًا؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله ﷻ.

(١) الكشاف (٥٦٧/١٥).

(٢) انظر صفحة ٦.

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٥٢).



﴿فَسَبِّحْ وَبُصِّرْ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قيل : إن ﴿الْمَفْتُونُ﴾ هنا بمعنى المجنون .

ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة .

والخطاب في قوله : ﴿فَسَبِّحْ﴾ للنبي ﷺ ، وفي قوله : ﴿وَبُصِّرْ﴾ لكفار قريش .

واختلف في الباء التي في قوله : ﴿بِأَيِّكُمُ﴾ على أربعة أقوال :  
الأول : أنها زائدة .

الثاني : أنها غير زائدة ، والمعنى : بأيكم الفتنة ، فأوقع ﴿الْمَفْتُونُ﴾ موقع الفتنة كقولهم : «ما له معقول» أي : عقل .

الثالث : أن الباء بمعنى «في» ، والمعنى : في أي فريق منكم المفتون ، واستحسن ابن عطية هذا <sup>(١)</sup> .

الرابع : أن المعنى : «بأيكم فتنة المفتون» ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهْنُ فَيَذَرُوهُنَّ﴾ المداهنة : هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي ، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ : لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك ، فنزلت الآية .

ولم ينتصب ﴿فَيَذَرُوهُنَّ﴾ في جواب التمني ؛ بل رفعه بالعطف على ﴿نَدَّهْنُ﴾ . قاله ابن عطية <sup>(٢)</sup> .

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٦٧) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٦٨) .

وقال الزمخشري: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهم يدهنون<sup>(١)</sup>.

﴿حَالَفٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل.

﴿مُهِنٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل.

قال ابن عطية: هو من مُهِنَ: إذا ضعف، فالميم فاء الفعل<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: هو من المهانة، وهي الذلة والحقارة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: المهين: الكذاب.

﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس.

﴿مَشَّامٍ بَنِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»<sup>(٤)</sup>.

﴿مَنَاعٍ لِلْعَمَلِ﴾ أي: شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال.

وقيل: معناه: مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان، وهو الظلم.

﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عُتْلٍ﴾ أي: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

(١) الكشف (١٥/٥٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٦٨).

(٣) الكشف (١٥/٥٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا.

وقيل: هو الذي في عنقه زَنَمَةٌ كزئمة الشاة التي تتعلّق في حلّقها.

وقيل: معناه: مريب قبيح الأفعال.

وقيل: ظلوم.

وقيل: لئيم<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان.

واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة:

فقيل: لم يُقصد بها شخصٌ معين، بل كل من اتصف بها.

وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكان كذلك.

وقيل: أبو جهل.

وقيل: الأخنس بن شَرِيق، ويؤيد هذا: أنه كانت له زَنَمَةٌ في عنقه، قال ابن عباس: عرفناه بزئمته، وكان أيضًا من ثقيف، ويعدّ في بني زُهرة، فيصح وصفه بزئيم على القولين.

وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله، متعلّق بقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُ﴾ أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه.

(١) في ب، د: «لائم».

ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن: أساطير الأولين؛ لأنه ذو مال وبنين، يتكبر بماله وبنيه، والعامل في ﴿أَنْ كَانَ﴾ على هذا فعلٌ من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله.

والأول أظهر.

وقد تقدم معنى ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿سَيَسُئُ عَلَى الْخُرُطُورِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافاً به، وتقييحاً له.

والمعنى: نجعل له سِمةً وهي العلامة على خرطومه.

واختلف في هذه السمة:

ف قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر.

وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم.

وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة؛ ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشاً كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفاً من نار فأحرقتها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها، فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوا فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما

(١) انظر (٢/٢٥٤).

قالوا، فندموا وتابوا إلى الله .

ووجه تشبيهه قريش بأصحاب الجنة : أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة ، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك ، فعاقبهم الله كما عاقبهم .

وقيل : شبه قريشاً لما أصابهم الجوع بشدة القحط ، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ ؛ بأصحاب الجنة لما هلك جنتهم .

﴿ إِذْ أَنتَمَوْا يُصِرُّهَا مُصِرِّينَ ﴾ أي : حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح ، وكانت الغلة تمرًا <sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴾ (١٨) في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : لم يقولوا : « إن شاء الله » حين حلفوا ليصرمونها .

والآخر : لا يستنون شيئاً من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم .

والثالث : لا يتوقفون في رأيهم ولا يشنوا عنه ؛ أي : لا يرجعون عنه .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ ﴾ قال الفراء : الطائف الأمر الذي يأتي بالليل .

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ (٢٠) فيه أربعة أقوال :

الأول : أصبحت كالليل ؛ لأنها اسودَّت لما أصابها ، والصريم في اللغة : الليل .

الثاني : أصبحت كالنهار ؛ لأنها ابيضَّت كالحصيد ، ويقال : « صريم » لليل وللنهار .

(١) في ج ، د ، هـ : « تمرًا » .

الثالث : أن الصريم : الرماد الأسود بلغة بعض العرب .

الرابع : أصبحت كالمصرومة ؛ أي : المقطوعة .

﴿فَنَادُوا مُضِيعِينَ﴾ أي : نادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا ، وقال بعضهم لبعض : ﴿اغْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ﴾ أي : جنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مَرِمِينَ﴾ لها أي : حاصدين<sup>(١)</sup> لثمرها .

﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضاً في السر ، ويقولون : ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ .

و﴿أَنْ﴾ في قوله : ﴿أَنْ اغْدُوا﴾ و﴿أَنْ لَا يَدْخُلُهَا﴾ حرف عبارة وتفسير .

﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ﴾ ١٥ في الحرد أربعة أقوال :

الأول : أنه المنع .

والثاني : أنه القصد .

الثالث : أنه الغضب .

الرابع : أن الحرد اسم علم للجنة .

و﴿قَدِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون :

من القدرة ؛ أي : قادرين في زعمهم .

أو من التقدير بمعنى التضيق ؛ أي : ضيقوا على المساكين .

﴿إِنَّا لَسَّالُونَ﴾ أي : أخطأنا طريق الجنة ، قالوا ذلك لما لم يعرفوها ، فلما

(١) في د : «قاطعين» .

عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي: حَرَمَنَا اللهُ خَيْرَهَا .  
 ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]  
 أي: خيارًا .

﴿لَوْلَا تَسْتَحُونَ﴾ أي: تقولون: «سبحان الله» .

وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه .

وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم<sup>(١)</sup>: «إن شاء الله» .

والأول أظهر؛ لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ .

والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حَضَّهم على التسييح .

﴿يَتْلَوْنَهُ﴾ أي: يلوم<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضًا :

على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين .

أو على غفلتهم عن التسييح، بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تَسْتَحُونَ﴾ .

﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ طَلَبُوا الْبَدْلَ: فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي  
 الآخرة .

والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل  
 منها عنقودًا .

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش .

(١) في أ، ج، هـ: «كقولهم» .

(٢) في أ: «يلوموا» .

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٢٦﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْاِيقَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣١﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَافٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٤﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٣٥﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَٰذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٣٧﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ آخِرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَقَلِّوْنَ ﴿٣٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٠﴾ لَوْلَا أَنْ نَدَارِكُهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَئِنَّا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤١﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُمْ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْثُومٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾].

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يُسَوِّي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله.

والمراد بالمجرمين هنا: الكفار.

﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ خبره، وتمَّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكان أصل ﴿إِنَّ﴾ الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ معناه: تختارون لأنفسكم.



ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ عَلَيْنَا بَلَدَةٌ إِلَّا يَوْمَ الْفَيْصَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيماناً أن لكم ما تحكمون؟

ومعنى ﴿بَلَدَةٌ﴾: ثابتة واصلة إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه<sup>(١)</sup> الأيمان، ولذلك أكده بـ ﴿إِنَّ﴾ واللام.

و﴿مَا تَحْكُمُونَ﴾ هو اسم ﴿إِنَّ﴾، دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلِّمُوا إِلَهُكُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشاً أيهم زعيم بهذه الأمور؟

والزعيم: هو الضامن للأمر، القائم به.

﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم.

واختلف هل قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾:

في الدنيا؛ أي: أحضروهم حتى يرى حالهم؟

أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟

والشركاء: هم المعبودون من الأصنام وغيرها.

(١) في أ: «تقتضيه».

وقال الزمخشري: معناه: أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه؟ فأتوا بهم، يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه<sup>(١)</sup>.  
والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي منادي يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وعُبرَات<sup>(٢)</sup> من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظمًا واحدًا فلا يستطيعون سجودًا<sup>(٣)</sup>.  
وتأويل الحديث كتأويل الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) الكشف (٥٩٤/١٥).

(٢) جمع عُبر: أي: بقايا. النهاية لابن الأثير (٢٩٦٥/٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، إلخ، أقول: اكتفى المؤلف رحمه الله بذكر قول المتأولين في الآية، وهو أن معنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي: يكشف عن هول يوم القيامة، والساق على هذا هي الشدة، ومن معاني الساق في اللغة الشدة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّفَّتْ أَلْسَانُ بِأَلْسَانٍ﴾ أي: اتصلت الشدة بالشدة عند الموت، وذكر المؤلف الحديث =

﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا .

فإن قيل : كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟

فالجواب : أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا ، لا على وجه التكليف والعبادة .

﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي : قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه ، وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه .

﴿قَذَرُوا وَمَنْ يَكْذِبْ يَهْدِ اللَّهُ الْحَدِيثَ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن .

وإعراب ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ﴾ مفعول معه ، أو معطوف .

وقد ذكرنا في «الأعراف» ﴿مَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وما بعده<sup>(١)</sup> .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه : أنت لا تسألهم أجره على الإسلام فتثقل عليهم ، فلا عذر لهم في تركهم الإسلام .

وقد فسرنا هذا وما بعده في «الطور»<sup>(٢)</sup> .

= وأجراه مجرى الآية ، والقول الثاني الذي أعرض عنه المؤلف أن المراد بالساق ساق الله تعالى ، كما في رواية في الصحيح : «فيكشف ربنا عن ساقه» ، فالحديث يفسر الآية ، فيكون معناها : يوم يكشف ربنا عن ساقه ، ويؤيد ذلك أنه حينئذ يسجد له كل من كان يسجد في الدنيا استجابة وطاعة ، ويعجز المنافقون عن السجود ، كما يدل لذلك الآية والحديث ، والآية تحتل القولين ، وتفسيرها بما دل عليه الحديث أولى ؛ فإن السنة تفسر القرآن .

(١) انظر (٢/٤٢٢) .

(٢) انظر صفحة ٢٣١ .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقتضي مسالمة للكفار، نُسخت بالسيف.

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْهَوْتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماء صاحب الحوت؛ لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضًا ذو النون، والنون هو الحوت.

وقد ذكرنا قصته في «الأنبياء»<sup>(١)</sup> و«الصفات»<sup>(٢)</sup>.

فنهى الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا.

وروي أن هذه الآية نزلت لما همَّ النبي ﷺ أن يدعو على الكفار.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس، ونداؤه: هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَنُذِيقَنَّهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب ﴿لَوْلَا﴾، والمنفي هو الذم، لا نُبْذُهُ بالعراء؛ فإنه قد قال في «الصفات»: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصفات: ١٤٥].

فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم.

وقد ذكرنا العراء في «الصفات»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَرْجِلَنَّكَ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم.

(١) انظر (١٦٤/٣).

(٢) انظر (٦٨٢/٣).

(٣) انظر (٦٨٤/٣).

و﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، بدليل دخول اللام.

و﴿لَيَزِلُّونَكَ﴾ معناه: يُهلكونك، كقولك: «نظر فلان إلى عدوه نظراً كاد يصصره»، وأصله: من زلق القدم.

وقرئ بفتح الياء وضمها، وهما لغتان.

وقيل: إن المعنى: يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك.

وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: القرآن؛ أي: هو موعظة وتذكير للخلق.

## ﴿ سورة الحاقة ﴾

[ ﴿ الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤﴾  
فَاتَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٥﴾ وَالْعَادُ فَأَهْلِكُوا ٦﴾ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٧﴾ سَخَّرَهَا  
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ٨﴾ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَغْجَارُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ  
٩﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ١٠﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ١١﴾ بِالْغَاطِثَةِ ١٢﴾ فَفَصَّوْا  
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٣﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْغَارِ ١٤﴾ لِنَجْمِلَنَّ لَكُمُ  
نَذِيرَهُ ١٥﴾ وَتَعَبَهَا أَذْنٌ وَاعِيَةٌ ١٦﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٧﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا  
دَكَّةً وَاحِدَةً ١٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٩﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ٢٠﴾ وَالْمَلَائِكَةُ  
عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَةٌ ٢١﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ  
٢٢﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٢٣﴾ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْثَرُ ٢٤﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيهِ  
٢٥﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٢٦﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٧﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا  
بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ٣٠﴾ فَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَرَأَيْتُ أَنِّي  
٣١﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ٣٢﴾ بَلِّغْتَنِي كَأَنِّي الْفَاسِيَةُ ٣٣﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي ٣٤﴾ هَلَكَ عَنِّي  
سُلْطَانِي ٣٥﴾ خَذُوهُ فَعُوقُوهُ ٣٦﴾ ثُمَّ إِلْحِجِمُوهُ ٣٧﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ  
٣٨﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٩﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ٤٠﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا  
حِمِيمٌ ٤١﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٤٢﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ٤٣﴾ ] .

﴿ الْحَاقَّةُ ١﴾ هي القيامة ، ووزنها فاعلة .

وسميت الحاقة :

لأنها تَحِقُّ، أي: يصح وجودها، ولا ريب في وقوعها.

أو لأنها حَقَّتْ<sup>(١)</sup> لكل أحد جزاء عمله.

أو لأنها تبدي حقائق الأمور.

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢) ﴿مَا﴾ استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر ﴿الْحَاقَّةُ﴾.

وكان الأصل: «الحاقة ما هي؟»، ثم وضع الظاهر موضع المضمرة زيادةً في التعظيم والتهويل.

وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣) لفظه الاستفهام، والمراد به: التعظيم والتهويل.

﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تَقْرَعُ القلوب بأهوالها.  
﴿بِالطَّائِفَةِ﴾ يعني: الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة.

وقيل: الطاغية مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا (١١) [الشعر: ١١].

وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية.

(١) في ب: «حَقَّتْ».

والباء :

على هذين القولين : سببية .

وعلى القول الأول : كقولك : « قتلتي زيدًا بالسيف » .

﴿ بِرِيحٍ صَّارِصٍ ﴾ ذكر في « فصلت »<sup>(١)</sup> .

﴿ عَائِيَةً ﴾ أي شديدة ، وسميت بذلك ؛ لأنها عَتَتْ على عاد .

وقيل : عَتَتْ على خُزَّانِها<sup>(٢)</sup> ، فخرجت بغير إذنهم .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر .

﴿ حُسُومًا ﴾ ابن عباس : معناه : كاملة متتابعة لم يتخلَّلها غير ذلك .

وقيل : معناه شُومًا ونَحْسًا .

وقيل : هو جمع حاسم ، من الحسم وهو القطع ؛ أي : قطعتهم بالإهلاك .

ف ﴿ حُسُومًا ﴾ :

على القولين الأولين : مصدر في موضع الحال .

وعلى الثالث : حال ، أو مفعول من أجله .

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴾ جمع صريع ، وهو المطروح بالأرض .

(١) انظر صفحة ١٣ .

(٢) في د : « خزنتها » .



والضمير المجرور يعود:

على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها.

أو على الأيام والليالي.

أو على الريح.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في «القمر» معنى تشبيههم بأعجاز النخل<sup>(١)</sup>.

والخاوية: هي التي خَلَتْ من طول بِلَاها وفسادها.

﴿مَنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية.

وقيل: من فئة باقية.

وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ يريد: من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادًا وثمود قد ذُكِرَا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أُشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

وقرئ ﴿قَبْلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: جنده وأتباعه.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون:

مصدرًا بمعنى الخطيئة.

أو صفةً لمحذوف تقديره: بالفعل الخاطئة.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه: فالرسول موسى عليه السلام.

وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط عليه السلام.

وإن عاد على الجميع: فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة.

﴿رَأْيَةً﴾ أي: عظيمة، وهو من قولك: ربا الشيء: إذا كثر.

﴿طَغَا الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد:

أنه طغى على أهل الأرض.

أو على خزائنه.

يعني: وقت طوفان نوح عليه السلام.

﴿حَمَلَتْكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة.

فإن أراد سفينة نوح: فمعنى ﴿حَمَلَتْكُمْ﴾: حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة.

وإن أراد جنس السفن: فالخطاب على حقيقته.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة، وهي الحمل في السفينة.

وقيل: للسفينة:

فإن أراد جنس السفن: فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها.

وإن أراد سفينة نوح: فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيdanها أوائل هذه الأمة.

﴿وَقَبِيحًا أَذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير ﴿لِتَجْلَهَا﴾ ، وهذا يقوِّي أن يكون للفعلة .

والأذن الواعية : هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه ، يقال : وَعَيْتُ العلم : إذا حَصَلَتْه ، ولذلك عَبَّرَ بعضهم عنها بأنها التي عَقَلَتْ عن الله .

وروي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : «إني دعوت الله أن يجعلها أذُنك يا علي» ، قال علي : فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته <sup>(١)</sup> .

قال الزمخشري : إنما قال : ﴿أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ بالتوحيد والتنكير ؛ للدلالة على قلة الوعاة ، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عَقَلَتْ عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها <sup>(٢)</sup> .

﴿نَفْخَةٌ وَحِدَةٌ﴾ يعني : نفخة الصعق ، وهي الأولى .

﴿فَذُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال .

ومعنى ﴿ذُكَّتَا﴾ : ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشري : والدك أبلغ من الدق <sup>(٣)</sup> .

وقيل : معناه : بسطت حتى تستوي الأرض والجبال .

﴿وَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي : قامت القيامة .

وقيل : صخرة بيت المقدس ، وهذا ضعيف .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢٢) .

(٢) الكشاف (١٥/٦١٣) .

(٣) الكشاف (١٥/٦١٦) .

﴿وَاهِيَةً﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: «دار واهية» أي: ضعيفة الجدران.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ الملك هنا: اسم جنس.

والأرجاء: الجوانب، واحدها رَجَا - مقصور -، والضمير يعود على السماء.

والمعنى: إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها.

وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض. والأول أظهر وأشهر.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدَّتْهم.

وقيل: ثمانية أملاك، رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قَوَّاهم الله بأربعة سواهم»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خطاب لجميع العالم.

والعرض: البعث و<sup>(٢)</sup>الحساب.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٩/٢٣).

(٢) في أ، هـ: «أو».

﴿خَافِيَةً﴾ أي: حالٌ خافية من الأعمال والسرائر.  
ويَحْتَمِلُ المعنى: لا يخفى من أجسادكم شيء؛ لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِمِيزَانٍ﴾ الكتاب هنا: صحائف الأعمال.

﴿فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ اسم فعل.

قال ابن عطية: معناه: تعالوا<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى: «خُذْ»، و﴿كِتَابِي﴾ مفعولٌ يطلبه ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ و﴿أَقْرَأُوا﴾ من طريق المعنى، تقديره: «هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي» ثم حُذِفَ<sup>(٢)</sup> لدلالة الآخر عليه<sup>(٣)</sup>.

وعمل فيه:

العامل الثاني، - وهو ﴿أَقْرَأُوا﴾ - عند البصريين.

والعامل الأول - وهو ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ - عند الكوفيين.

والدليل على صحة قول البصريين: أنه لو أُعْمِلَ الأول لقال: «اقرؤوه».

والهاء في ﴿كِتَابِي﴾ للوقف، وكذلك في ﴿حِسَابِي﴾ و﴿مَالِي﴾ و﴿سُلْطَانِي﴾

وكان الأصل أن تسقط في الوصل، لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم.

(١) المحرر الوجيز (٣٩٢/٨).

(٢) أي: حذف مفعول ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾.

(٣) الكشاف (٦٢١/١٥).

ومعنى الآية: أن العبد الذي يُعطى كتابه بيمينه يقول للناس: «اقرأوا كتابيه» على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا: بمعنى اليقين.

﴿رَاضِيًّا﴾ أي: ذات رضا، كقولهم: تامل لصاحب التمر.

قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل، نُسب الفعل إليها مجازًا، وهو لصاحبها حقيقة<sup>(٢)</sup>.

﴿فُطِفُوهَا﴾ جمع قُطِف - بكسر القاف -<sup>(٣)</sup> وهو ما يُجْتَنَى من الشمار ويقطف كالعنقود.

﴿دَانِيَةً﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بقمه من شجرها، على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية، يعني: أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشَاقِلَةٍ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>، فجعل علة إعطائهم كتبهم<sup>(٤)</sup> بشمالهم عدم إيمانهم.

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٩٣).

(٢) الكشف (١٥/٦٢٢).

(٣) قوله «بكسر القاف» زيادة من أ، هـ.

(٤) في أ، د: «كتابهم».

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم<sup>(١)</sup> بأيمانهم.

لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار؟ أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابَكُمْ﴾؛ لأن هذا كلام مسرور، فيبعد أن يقوله من يُحمل إلى النار.

﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابَكُمْ﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطاه<sup>(٢)</sup> كتابه.

وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدومًا لا يجري عليه شيء<sup>(٣)</sup>.

والأول أظهر.

﴿بَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ (٧) أي: ليت الموتة الأولى كانت القاضية، بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٨) يحتمل أن يكون:

نفياً.

أو استفهامًا يراد به النفي.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٩) أي: زال عني ملكي وقدرتي.

وقيل: ذهب عني حجتي.

﴿خَذُوهُ﴾ خطاب للزبانية، يقوله لهم:

الله تعالى.

(١) في أ، ج، د: «كتابهم».

(٢) في د: «لا يعطى».

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩٣).

أو الملائكة بأمر الله .

﴿فَقُلُّوْهُ﴾ أي : اجعلوا غُلًّا في عنقه .

وروي أنها نزلت في أبي جهل .

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ﴿ذَرْعُهَا﴾ : أي مبلغ أذرع كيلها .

واختلف في هذا الذراع :

ف قيل : إنه الذراع المعروف .

وقيل : هو بذراع الملك .

وقيل : في الذراع سبعون باعًا ، كل باع كما بين مكة والكوفة .

ولله در الحسن البصري في قوله : الله أعلم بأي ذراع هي ! .

وجعلها سبعين ذراعًا ؛ لإرادة وصفها بالطول ، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير .

ويحتمل أن تكون هذه السلسلة :

لكل واحد من أهل النار .

أو تكون بين جميعهم ، وقد حكى الثعلبي ذلك <sup>(١)</sup> .

﴿فَأَسْلُكُوْهُ﴾ أي : أدخلوه ، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر

وتخرج على دبره ، ف ﴿أَسْلُكُوْهُ﴾ على هذا من المقلوب في المعنى ،

كقولهم : «أدخلت القلنسوة في رأسي» .

(١) الكشاف والبيان (٣١/١٠) .



وروي : أنها تُلَوَّى عليه حتى تَغْمَهُ وتَضْغَطَهُ ، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها .

وإنما قدم قوله : ﴿ فِي سِلَاقَةٍ ﴾ على ﴿ فَأَتْلُوهُ ﴾ لإرادة الحصر ؛ أي : لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة .

وكذلك قَدَّمَ ﴿ الْبَحِيمِ ﴾ على ﴿ صَلُّوْهُ ﴾ لإرادة الحصر أيضًا .  
﴿ طَعَامَ الْمَسْكِينِ ﴾ يحتمل :

أن أراد إطعام المسكين ، فوضع الاسم موضع المصدر .

أو يقدر : « لا يحض على بذل طعام المسكين » .

وأضاف الطعام إلى المسكين ؛ لأن له إليه نسبة .

ووضَّفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وأحرى .

وهذه الآية تدل على عِظَمِ الصدقة وفضلها ؛ لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله .

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ ﴿ ٢٥ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ليس له صديق .

والآخر : ليس له شراب ، ولا طعام إلا من غسلين ، فإن الحميم : الماء الحار ، والغسلين : صديق أهل النار عند ابن عباس .

وقيل : شجر يأكله أهل النار .

وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غُسلت، وهو «فُعَلين» من الغَسَل.

﴿الْخَطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمِّدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير تعمُّد.

﴿الْخَطِئُونَ﴾

[﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٣٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مَّكَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٤١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾].

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ «لا» زائدة غير نافية.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ يعني: جميع الأشياء؛ لأنها تنقسم إلى ما يُبصر وما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن.

والرسول الكريم: جبريل.

وقيل: محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾:

نافية، فنفي إيمانهم بالجملة.

أو تكون مصدرية، فوصف إيمانهم بالقلة<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم؛ أي: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٣٩٧/٨).

(٢) الكشف (٦٣٠/١٥).

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٨) التقوُّل: هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل .  
ومعنى الآية: لو تقوَّل علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن<sup>(١)</sup> من عند الله .

﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ابن عباس: اليمين هنا: القوة، ومعناه: لو تقوَّل علينا لأخذناه بقوتنا .

وقيل: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسَجَّن: أُخِذَ بيده وبيمينه .  
وقال الزمخشري: معناه: لو تقوَّل علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٩) ؛ لأن السِّيف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى ؛ ليكون ذلك أشد عليه ؛ لنظره إلى السيف<sup>(٢)</sup> .

﴿الْوَيْتَنِ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قُطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه .

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٥٠) الحاجز: المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنع أحد منكم ولم يدفع عنه عقابنا<sup>(٣)</sup> .

وإنما جمع ﴿حَاجِزِينَ﴾ ؛ لأن ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة .

﴿وَأَنْتُمْ لِلذِّكْرِ الضَّمِيرُ﴾ للقرآن .

(١) في ب زيادة: «كلام الله وهو . . .» .

(٢) الكشاف (٦٣٢/١٥) .

(٣) في أ، هـ: «عقابنا» .

وقيل : لمحمد ﷺ .

والأول أظهر .

﴿وَإِنَّكُمْ لَخِصْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي : حسرة عليهم في الآخرة ؛ لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين .

﴿وَإِنَّكُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون : هذا من إضافة الشيء إلى نفسه ، كقولك : مسجد الجامع .

وقال الزمخشري : المعنى : عين اليقين ، ومحض اليقين<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عطية : ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه<sup>(٢)</sup> .



(١) الكشف (١٥/٦٣٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٩٨) .

## ﴿ سورة المعارج ﴾

[﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُنْجَرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَبِيٍّ ﴿١١﴾ وَصَحْبِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتْهُ أَلْفَى تَوْبَةٍ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى ﴿١٥﴾ نَرَاةَ الشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢٩﴾ فَمَنْ أَبْغَى وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز: احتمل معنيين:

أحدها: أن يكون بمعنى الدعاء؛ أي: دعا داع بعذاب واقع، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: «أمطر علينا حجارة من السماء»، وكان الذي قالها النضر بن الحارث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار؛ أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى: «عن»، وتكون الإشارة إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» وشبه ذلك.

وأما من قرأ ﴿سَال﴾ بغير همز: فيحتمل وجهين:  
 الأول: أن يكون مخففاً من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران.  
 والثاني: أن يكون من سال السيل: إذا جرى، ويؤيد ذلك: قراءة ابن عباس: «سال سَيْلٌ»، وتكون الباء على هذا كقولك: «ذهب بزيد». وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.  
 وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له: سائل.

فتلخص من هذا: أن في القراءة بالهمز<sup>(١)</sup> معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل:

[أ-] أن يتعلق بـ ﴿وَأَقْرَبَ﴾، وتكون اللام:

بمعنى «على».

أو تكون صفة للعذاب.

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «يحتمل»!

[ب-] أو يتعلق بـ ﴿سَالٌ﴾ إذا كانت بمعنى : دَعَا ، أي : دعا للكافرين بعذاب .

[ج-] أو يكون مستأنفاً ، كأنه قال : هو للكافرين .

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق :

بـ ﴿وَاقِعٌ﴾ ؛ أي : واقع من عند الله .

أو بـ ﴿دَافِعٌ﴾ ؛ أي : ليس له دافع من عند الله .

أو يكون صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾ .

أو مستأنفاً .

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج ، وهو المصعد إلى علوٍ ، كَالسُّلَّمِ والمدارج التي يُرْتَقَى بها .

قال ابن عطية : هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة<sup>(١)</sup> .

وقيل : هي المراقي إلى السماء ، وهذا أظهر ؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة والروح إليه ، أي : إلى عرشه ، ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه<sup>(٢)</sup> .

فالعروج : هو من الأرض إلى العرش<sup>(٣)</sup> .

(١) المحرر الوجيز (٤٠١/٨) .

(٢) في هـ : «وقضاه» .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمته : «قال ابن عطية : هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة» ، أقول : يريد ابن عطية أن المعارج أمور معنوية ، =



والروح هنا : جبريل عليه السلام بدليل قوله : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾

[الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقيل : الروح : ملائكة حفظة على الملائكة ، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقله .

وقيل : الروح : جنس أرواح الناس وغيرهم .

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين : أحدهما : أنه يوم القيامة .

والآخر : أنه في الدنيا .

والصحيح : أنه يوم القيامة ؛ لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار يَكْوَى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»<sup>(١)</sup> يعني : يوم القيامة .

= وهي صفات الكمال ، فلا تدل على علو الذات في حقه تعالى ، بل على علو القدر ، وهذا يتفق مع مذهب نفاة علو الله بذاته ، ولكن ابن جزى رحمه الله رجح أن المعارج هي المصاعد إلى السماء ، بدليل قوله تعالى : ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ﴾ ، ولكنه قال : تعرج الملائكة والروح إليه أي : إلى عرشه ، وهذا تأويل بصرف الكلام عن ظاهره ، وهو أنها تعرج إلى الله ، ولا موجب لهذا التأويل إلا النزعة إلى نفي العلو الذي هو مذهب القوم ، وقد جاء في السنة ما يشهد لظاهر الآية ، وهو قوله ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وفيه : «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي» الحديث . والصواب في الآية أن الملائكة والروح تعرج إلى الله .

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) .

ثم اختلف :

هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر .

أو هل وصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال : «يوم طويل» إذا كان فيه مصائب وهموم .

وإذا قلنا إنه في الدنيا : فالمعنى : أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة .

وقيل : الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا ، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة .

وهذا كله على أن يكون قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ يتعلق بـ ﴿ تَعْرُجُ ﴾ .

ويحتمل أن يكون ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ صفةً للعذاب ، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة ، والمعنى على هذا مستقيم .

﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره ، أي : اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ، ولذلك وصفه بالقرب ؛ مبالغة في تسلية النبي ﷺ .

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝١ ﴾ يحتمل أن يعود الضمير :

على العذاب .

أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة .

والبعيد يحتمل أن يراد به :

بُعد الزمان .

أو بُعد الإمكان.

وكذلك القرب يحتمل أن يراد به :

قرب الزمان ؛ لأن كل آت قريب ، ولأن الساعة قد قربت .

أو قرب الإمكان ؛ لقدرة الله عليه .

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ ۖ ۞﴾ ﴿٨﴾ ﴿يَوْمَ﴾ هنا :

[أ-] بدل من ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ .

[ب-] أو بدل من الضمير المنصوب في ﴿وَنَرْنَهُ﴾ .

[ج-] أو منصوب :

بقوله : ﴿قَرِيبًا﴾ .

أو بقوله : ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ﴾ .

أو بفعل مضمر تقديره : اذكر ، أو : يقع العذاب يوم تكون السماء كالمهل .

والمهل : هو دُرْدِيُّ الزيت ، شَبَّ السماء به في سوادها وانكدار أنوارها

يوم القيامة .

وقيل : هو ما أذيب من الفضة ونحوها ، شَبَّ السماء به في تلونه .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ ۞﴾ العِهْن : هو الصوف ، شَبَّ الجبال به في انتفاشه

وتخلخل<sup>(١)</sup> أجزائه .

(١) في ج ، د : «وتخلل» .

وقيل: هو الصوف المصبوغ ألواناً، فكيون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمير.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا: الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إغاثة<sup>(١)</sup>؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيء.

وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يُبْصِرُكُمْ﴾ يقال: بَصَرَ الرجلُ بالرجل: إذا رآه، وبَصَرْتُهُ إياه - بالتشديد-: إذا أريته إياه.

والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع.

والمعنى: أن كل حميم يُبْصِرُ حميمه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَنَجِيَّتِهِ﴾ يعني: امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني: القرابة الأقربين.

﴿تُؤْتِيهِ﴾ أي: تضمه، فيحتمل أن يريد:

تضمه في الانتماء إليها.

أو في نصرته وحفظه من المضرات.

﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وهذا الفعل

معطوف على ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾ إشعاراً ببعد النجاة

وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّا﴾.

(١) في أ، هـ: «إغاثة».

﴿إِنَّمَا لَطَنُ﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها .

ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر .

و﴿لَطَنُ﴾ علم لجهنم ، مشتق من اللظى بمعنى اللهب .

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) الشوى : أطراف الجسد .

وقيل : جلد الرأس ، فالمعنى : أن النار تنزعها ثم تعاد .

و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالرفع :

بدل من ﴿لَطَنُ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمرة .

أو خبر لـ ﴿إِنَّمَا﴾ إن جعلنا ﴿لَطَنُ﴾ : منصوباً على التخصيص ، أو بدلاً من الضمير .

أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّمَا﴾ إن جعلنا ﴿لَطَنُ﴾ خبراً لها .

و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب : حال .

﴿تَدْعُوا مَن أَذْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) يعني : الكفار الذين تولوا عن الإسلام .

ودعاؤها لهم : عبارة عن أخذها لهم .

وقال ابن عباس : تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

وقيل : معناه : تُهْلِك ، حكاه الخليل عن العرب .

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) يقال : أوعيتُ المال وغيره : إذا جمعته في وعاء .

فالمعنى : جمع المال وجعله في وعاء ، وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلِّه ومنعوه من حقه .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا : اسم جنس ، بدليل الاستثناء منه .  
وسئل أحمد بن يحيى مؤلف «الفصيح» عن الهلوع؟ فقال : قد فسره الله فلا تفسيرَ أَيْبَن من تفسيره وهو قوله : ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾ (١) .

وذكر الله ذلك على وجه الذم لهذا الخُلُق ، ولذلك استثنى منه المصلين ؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا ، فلا يجزَعون من شرها ولا يبخلون بخيرها .

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ الدوام عليها : هو المواظبة بطول العمر .

والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا : هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها .

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في «الذاريات» معنى ﴿حَقٌّ﴾ ، والسائل والمحروم (٢) .

ووصفه هنا بالمعلوم :

إن أراد الزكاة : فهي معلومة المقدار شرعًا .

(١) نقله في الكشاف (١٦/١٨) .

(٢) انظر صفحة ٢١٠ .

وإن أراد غيرها : فمعنى المعلوم : أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده .

﴿عَبْرُ مَاثُونٍ﴾ أي : لا يكون أحد آمناً منه ؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام ، فلا ينبغي للعبد أن يزول عنه الخوف حتى يدخل الجنة .

﴿لَا مَنَّتَيْهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في «المؤمنين» ، وكذلك ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قال ابن عباس : يعني : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال الجمهور : يعني : الشهادة عند الحكام ، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها ؟

ف قيل : هو التحقيق لها ، كقوله ﷺ : «على مثل الشمس فاشهد»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup> .

وقيل : هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع .

فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء : فهو واجب عليه .

وأما إذا لم يُدع إلى الأداء : فإن الشهادة على ثلاثة أقسام :

أحدها : حقوق الناس ، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك .

(١) انظر (٢٢٧/٣) .

(٢) في ب ، هـ : «فاشهدوا» .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١١٠/٤) ، وابن عدي في الضعفاء (٦٩/٤) .

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك، دُعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه.





[﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَتَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا عَسَى يَمْسُوفِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ مَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَيْكُمْ يُفْضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ نَزْهَةً ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾].

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا صَلَّى أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْكَفَّارَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ. ومعنى ﴿فَبَلَّكَ﴾: في جهتك وما يليك.

﴿عِزِينَ﴾ (٣٧) أي: جماعات شتى وهو جمع عِزَّة - بتخفيف الزاي -، وأصله: عِزْوَةٌ، وقيل: عِزَّةً، ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة.

﴿أَتَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثم جنة فنحن أهلها.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المنى الذي خلق منه الإنسان.

وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

الأول: تحقير الإنسان والردُّ على المتكبرين، كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مذرة<sup>(١)</sup>، ويصير جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

(١) المذرة: القذرة. القاموس المحيط (م ذ ر).

الثاني: الردُّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مِّمِّي يَتَوَكَّلُ عَلَى الْغِيَاثِ (٣٧)﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة.

﴿فَلَا أَقْسِرُ﴾ معناه: أقسم، و«لا» زائدة.

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ذكرت في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ (٤٠)﴾ عَلَى أَنْ تُدَلَّ خَيْرًا مِنْهُمْ تهديد للكفار بإهلاكهم، وإبدال قوم خير منهم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نَعْجز عن التبديل المذكور، أو عن البعث.

﴿فَذَرَهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النُّصُب: الأصنام، وأصله: كل ما نُصب إلى الإنسان، فهو يقصد إليه مسرعًا؛ مِنْ عِلْمٍ أو بناء أو غير ذلك.

وفيه لغات: فتح النون وإسكان الصاد، وضمهما، وضم النون وإسكان الصاد.

و﴿يُؤْفَؤْنَ﴾ معناه: يسرعون.

والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.



## سورة نوح ﷺ

[﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَتَوَخَّيْتُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَنَهَارًا﴾ ٣ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ٤ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيْءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِسُوا بِآبَائِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ ٥ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ ٦ ثُمَّ إِنِّي أَغْلَسْتُ لَهُمْ وَأَنْشَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ٧ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ٨ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ٩ وَتُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ ١٠ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ١١ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٢ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ١٣ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ١٤ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٥ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ١٦ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ١٧ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ١٨].

﴿أَنْ أَنْذِرْ﴾ و﴿إِنْ أَعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾ :

مفسرة .

أو مصدرية على تقدير : «بأن أنذر» و«بأن أعبدوا» .

والأول أظهر .

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد:

عذاب الآخرة.

أو الغرق الذي أصابهم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ هنا للتبويض أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى.

وقيل: إن ﴿مِنْ﴾ هنا زائدة، وذلك باطل؛ لأن «مِنْ» لا تزداد عنه سيبويه إلا في غير الواجب.

وقيل: هي لبيان الجنس.

وقيل: لا ابتداء الغاية.

وهذان قولان ضعيفان في المعنى.

والأول هو الصحيح؛ لأن التبويض فيه متجه.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا: يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخرؤا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا، وذلك مقتضى القول بالأجلين، وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(١)</sup>.

وأما على مذهب أهل السنة: فهي من المشكلات، وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى: أن نوحاً عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجلٍ قد

حان، لكن قد سبق في الأزل إنهم إمّا ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، أو ممن قُضي له بالكفر والمعالجة<sup>(١)</sup>.

وكأنّ نوحاً عليه السلام قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي عليه بالكفر والمعالجة، فكأنّ الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يُبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يُبرز إمّا الإيمان والتأخير، وإما الكفر والمعالجة، وأما عند الله: فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدّر محتوم، وأجلهم كذلك معلوم مقدّر محتوم.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضاً ردٌّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين.

ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلاً ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسع مئة عام، فالألف عام هي التي لا تؤخر إذا جاءت، والتسع مئة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤١٦).

(٢) الكشف (١٦/٢٩).

﴿دَعَوْتُهُمْ لِنَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان؛ ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم أعرضوا عن سعادتهم.

﴿جَعَلُوا أَصْيَعُكُمْ فِيْءِ آذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، فيحتمل: أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك. ﴿وَأَسْتَفْشَنُوا نِيَابَهُمْ﴾ أي: جعلوها غشاوة عليهم؛ لئلا يسمعوا كلامه، أو لئلا يراهم.

ويحتمل:

أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم.

﴿وَأَصْرُوا﴾ أي: داموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب ﴿جِهَارًا﴾:

مصدر من المعنى، كقولك: قعد القرفصاء.

أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دُعاء جهارًا.

أو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَنْتَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية

الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه .

قال ابن عطية : الجهار : دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم ،  
والإسرار : دعاء كل واحد على حدة<sup>(١)</sup> .

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿مِدْرَارًا﴾ : مِفْعَالٌ مِنَ الدَّرِّ ، وهو كثرة  
الماء .

وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ، ولذلك خرج  
عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف ، ف قيل  
له : ما رأيـناك استسقيت؟ فقال : «والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء» ، ثم  
نزل المطر<sup>(٢)</sup> .

وشكا رجل إلى الحسن الجدي ، فقال له : استغفر الله .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن الوقار بمعنى : التوقير والكرامة ، فالمعنى : ما لكم لا ترجون  
أن يوقركم الله في دار ثوابه . قال ذلك الزمخشري ، وقوله : ﴿لِلَّهِ﴾ على  
هذا : بيان للموقر ، ولو تأخر لكان صفة لـ ﴿وَقَارًا﴾<sup>(٣)</sup> .

الثاني : أن الوقار بمعنى : التؤدة والتثبت ، والمعنى : ما لكم لا ترجون  
الله تعالى متبثين ؛ حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿لِلَّهِ﴾ على

(١) المحرر الوجيز (٨/٤١٧) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٩٣) .

(٣) الكشف (١٦/٣٤) .

(٤) في أ : «يتمكنوا من النظر لوقارهم» .



هذا : مفعول دخلت عليه اللام، كقولك : «ضربت ليزيد»، وإعراب ﴿وَقَارًا﴾ على هذا : مصدر في موضع الحال .

الثالث : أن الرجاء هنا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى : العظمة والسلطان، فالمعنى : ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، و﴿لِلَّهِ﴾ على هذا صفة<sup>(١)</sup> للوقار في المعنى .

الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف، والوقار بمعنى الاستقرار، من قولك : وقّر في المكان : إذا استقر فيه، والمعنى : ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار .

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي : طورًا بعد طور، يعني : أن الإنسان كان نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى سائر أحواله .

وقيل : الأطوار : الأنواع المختلفة، فالمعنى : أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألستهم وغير ذلك .  
﴿طَبَاقًا﴾ ذكر في «الملك»<sup>(٢)</sup> .

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول ﴿فِيهِنَّ﴾ لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع، كقولك : فلان في الأندلس كذا : إذا كان في بعضها .

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب : «صلة للوقار»، أي : لا تخافون عظمة لله .  
انظر : الكشف (٣٥/١٦) .

(٢) انظر صفحة ٤٣٨ .

والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة.

وَجَعَلَ الْقَمَرَ نُورًا وَالشَّمْسَ سِرَاجًا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور، فإن السراج هو الذي يضيء فيُصَرِّبه، والنور قد يكون أقل من ذلك.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذه عبارة عن إنسانهم من تراب الأرض.  
و﴿نَبَاتًا﴾:

مصدر على غير الصَّدر<sup>(١)</sup>.

أو يكون تقديره: أنبتكم فنبت نباتًا.

ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني: بالدفن.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني: بالبعث من القبور.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها.

وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة<sup>(٢)</sup>، خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سُبُلًا فَيَجَاجَا﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر التعليق في ٥٣٣/١.

(٢) في أ، ب، هـ: «كورية»، وفي المصباح المنير (ك ري): «والنسبة إليها [أي: إلى الكُرَّة] كُرِّيٌّ وَكُرِّيَّةٌ على لفظها».

(٣) انظر (١٤٢/٣).

[﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ١١] وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿١٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا ﴿١٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْطِلُوا عِبَادَتَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾].

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني: اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم. وقرئ ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتحين، و﴿وَلَدُهُ﴾ بضم الواو وسكون اللام، وهما بمعنى واحد.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ الكِبَار - بالتشديد - أبلغ من الكِبَار - بالتخفيف -، والكِبَار المخفف أبلغ من الكبير.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: وصّى بعضهم بعضًا بذلك.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ هذه أسماء أصنام كان قوم نوح يعبدونها.

وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صَوَّرَهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ حَجَارَةٍ، وَقَالُوا: نَنْظُرُ إِلَيْهَا لِنَتَذَكَّرَ أَعْمَالَهُمْ، فَهَلَكَ ذَلِكَ الْجِيلُ وَكَثُرَ تَعْظِيمُ مَنْ بَعْدَهُمْ لِتِلْكَ الصُّورِ، حَتَّى عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ بِأَعْيَانِهَا - وَقِيلَ: بِلِ الْأَسْمَاءِ فَقَطْ - إِلَى قِبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ، فَكَانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَكَانَ سُوَاعٌ لِهَذِيلٍ، وَكَانَ يَغُوثٌ لِمِرَادٍ، وَكَانَ يَعُوقٌ لِهَمْذَانَ، وَكَانَ نَسْرٌ لَذِي الْكَلَاعِ مِنْ حَمِيرٍ.

وقرئ ﴿وَوَدًّا﴾ بفتح الواو وضمها، وهما لغتان.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرًا من أتباعهم.

وهذا من كلام نوح عليه السلام، وكذلك ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ من كلامه، وهو دعاء عليهم.

وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير: قال: رب إنهم عصوني، وقال: ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾<sup>(١)</sup>.  
﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله، إخبار عن أمرهم.  
و«ما» زائدة للتأكيد.

وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضًا؛ ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطيئاتهم، وهي الكفر وسائر المعاصي.  
﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق.

وقيل: أراد عرضهم على النار، وعبر عنه بالإدخال.  
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿دَيَّارًا﴾: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار؛ أي: ما بها أحد، ووزنه: فَيْعَال، وكان أصله: دَيَّوَار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.  
وليس وزنه فَعَال؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل: دَوَّار؛ لأنه مشتق من الدَّوَر أو من الدار.

(١) الكشاف (١٦/٤٠-٤١).

وروي أن نوحاً عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن ينس من إيمانهم ، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم .

﴿زَبِ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا : أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره ، وكان والدنا نوح عليه السلام مؤمناً .

قال ابن عباس : لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليه السلام ، واسم والد نوح : لَمَكُ بن مُتَوَشِّلِخ وأمه شَمْخَا بَيْت أنوش ، حكاه الزمخشري <sup>(١)</sup> .

﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا﴾ قيل : بيته : المسجد .

وقيل : السفينة .

وقيل : شريعته ، سماها بيتاً استعارة ، وهذا بعيد .

وقيل : داره ، وهذا أرجح ؛ لأنه الحقيقة .

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك ، خلافاً لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة .

قال بعض العلماء : إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام ، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار ، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات .

﴿نَارًا﴾ أي : هلاكاً .

## ﴿ سورة الجن ﴾

[﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رِسَامًا أَخَذَ صَنَجَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④ وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ⑦ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرِّا شَدِيدًا وَشُهَبًا ⑧ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعْ فَأَنَّا لَمَبِيدٌ لَّهُ شُهَابًا رَّصَدًا ⑨ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑩ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ⑪ وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ⑫ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ⑬ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ⑭ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑮ وَالْوُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ⑯ لَنُقَيِّنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ⑰ وَأَنَّا لَمَسَّجِدَ لِلَّهِ فَلَا نَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ⑱ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ⑲﴾].

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في «الأحقاف» قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

و﴿عَجَبًا﴾ مصدر وصف به للمبالغة؛ لأن العَجَب مصدر قولك: عَجِبْتُ عَجَبًا.

وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جَدُّ الله: جلاله وعظمته.

وقيل: غناه، من قولك: فلان مجدودٌ: إذا استغنى.

وقرئ ﴿إِنَّمُ﴾ في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها، وكذلك فيما بعده إلى قوله: ﴿وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾.

فأما الكسر:

فاستئناف.

أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾؛ لأنه كُسر في معمول القول، فيكون ما عطف عليه من قول الجن.

وأما الفتح:

فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرًا﴾، وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله: ﴿أَسْمَعَ نَفَرًا﴾ في موضع معمول ﴿أَوْحَى﴾، فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى، وأن لا يكون من كلام الجن!، وهو من كلام الجن.

وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله: ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في ﴿فَتَأْمَنَّا﴾ كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده <sup>(١)</sup>.  
ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع هي: ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ﴾، و﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا﴾، و﴿وَأَنَّ الْمَسْحِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحى، لا من كلام الجن.  
﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، وسفيهمهم: أبوهم إبليس.

وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية <sup>(٢)</sup>.  
والشطط: التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّاهُ أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الجن والإنس يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا: ما روي أن العرب كانوا إذا حلَّ أحدهم بوادٍ صاح بأعلى صوته: «يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك»، ويعتقد أن ذلك الجني الذي بالوادي يحميه.

﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل: للجن، وضمير المفعول: للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضللاً وإثماً لما عاذوا بهم.

(١) الكشف (٤٨/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٤٢٨/٨).



أو زادوهم تخويفاً لما رأوا ضعف عقولهم .

وقيل : ضمير الفاعل : للإنس ، وضمير المفعول : للجن ، والمعنى : إن الإنس زادوا الجن تكبراً وطغياناً لما عاذوا بهم ، حتى كان الجني يقول : أنا سيد الجن والإنس .

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في ﴿ظَنُّوا﴾ لكفار الإنس ، و﴿ظَنَنْتُمْ﴾ خطاب الجن بعضهم لبعض .

فالمعنى : أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحداً .

والبعث هنا يحتمل أن يريد به :

بعث الرسل .

أو البعث من القبور .

﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَخَرٍ شَدِيدٍ وَشُهَبًا﴾ هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع في السماء ورجمهم بالنجوم .

واللمس : المس ، واستعير هنا للطلب .

والحرس : اسم مفرد في معنى الحُرَّاس ، كالحَدَم في معنى الخُدَّام ، ولذلك وُصِفَ بشديد وهو مفرد .

ويحتمل أن يريد به :

الملائكة الحُرَّاس .

النجوم الحارسة ، وكرر الشهب ؛ لاختلاف اللفظ .

﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ المقاعد: جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدًا فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها، ثم يزيد الكهان للكلمة مئة كذبة<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحِذْ لَهُ شَهَابًا مِّنْ سَدٍّ﴾ الرصد اسم جمع للرصد<sup>(٢)</sup>، كالحرس للحارس.

وقال ابن عطية: هو مصدر وُصف به<sup>(٣)</sup>، ومعناه: مُتَنَظِّر.

قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ.

واختار ابن عطية والزمخشري: أنه كان قبل المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية<sup>(٤)</sup>.

والدليل أنه كان قبل المبعث: قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكباً انقَضَ: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول وُلد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «ليس الأمر كذلك»، ثم وصف استراق الجن للسمع<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، قال ابن عطية: معناه

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «للوحد».

(٣) المحرر الوجيز (٤٣١/٨).

(٤) المحرر الوجيز (٤٣٠/٨)، والكشاف (٥٤/١٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟<sup>(١)</sup>  
وقال الزمخشري: معناه: لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيراً  
أو شراً من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق؟

﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ أَي: منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف،  
وأراد به: الذين ليس صلاحهم كاملاً، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن «دون»  
قد تكون بمعنى «أقل»، أو بمعنى «غير».

﴿كُنَّا طَرِيقَ قِدْدَا﴾ الطرائق: المذاهب والسير وشبهها، والقِدْد: المختلفة  
وهو جمع قِدَّة.

وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل، وهو على حذف مضاف؛ أي: كنا ذوي  
طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُنَجِّرَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا: بمعنى العلم.

قال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُدَى﴾ يعنون: القرآن.

﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس: النقص والظلم، والرهق: تحميل ما  
لا يطاق.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٢).

وقال ابن عباس: البخس: نقص الحسنات، والرهق: الزيادة في السيئات.

﴿وَمِمَّا أَلْقَيْتُكُمْ﴾ يعني: الظالمين، يقال قَسَطَ الرجل: إذا جار، وأَقْسَطَ - بالألف -: إذا عدل.

وها هنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن.

وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ فيحتمل:

أن يكون من بقية كلامهم.

أو يكون ابتداء كلام الله تعالى، وهو الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup>.

وأما قوله: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا﴾ فهو من كلام الله باتفاق، وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْا﴾ أي: قصدوا الرشد.

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق: هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق.

والطريقة: هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسَّع الله أرزاقهم، فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقيل: هي طريقة الكفر، والمعنى على هذا: لو استقاموا على الكفر لوسَّع الله عليهم في الدنيا؛ إملاء لهم واستدراجاً، ويؤيد هذا قوله: ﴿لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٣).

والأول أظهر .

والضمير في ﴿أَسْتَفْتُمُوا﴾ يحتمل أن يكون :

للمسلمين .

أو للقاسطين المذكورين .

أو لجميع الجن .

أو للجن الذين استمعوا النبي <sup>(١)</sup> ﷺ .

أو لجميع الخلق .

﴿لَفَتْنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة : فمعنى الفتنة : الاختبار هل يشكرون أم لا ؟

وإن كانت الطريقة الكفر : فمعنى الفتنة : الإضلال والاستدراج .

﴿نَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى ﴿نَسْلُكُهُ﴾ : ندخله .

والصَّعْدُ : الشديد المشقة ، وهو مصدر صَعِدَ يَصْعَدُ ، ووصف بالمصدر للمبالغة ، يقال : فلان في صَعْدٍ ؛ أي : في مشقة .

وقيل : صَعْدٌ : جبل في النار <sup>(٢)</sup> .

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله ، وروى : أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة .

(١) في د ، هـ : «النبي» .

(٢) في هـ : «جهنم» .

وقيل : أراد الأعضاء التي يُسجد عليها ، واحدها مسجّد - بفتح الجيم - ، وهذا بعيد .

وعطف ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ .

وقال الخليل : معنى الآية : لأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ؛ أي : لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله ، فالعامل في ﴿أَنَّ﴾ : ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ .  
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ هنا : محمد ﷺ ووصفه بالعبودية ؛ اختصاصاً له وتقريباً<sup>(١)</sup> وتشريفاً .

وقال الزمخشري : إنما سماه هنا ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ ، ولم يقل الرسول أو النبي ؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه ؛ لأنه مما أوحى إليه ، فذكر النبي ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي قاله بعيد ، مع أنه إنما يتمكن على قراءة ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ بفتح الهمزة ، فيكون عطفاً على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ ، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف : فيكون إخباراً من الله ، أو من جملة كلام الجن ، فيبطل ما قاله .

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبّد : الجماعات ، واحدها لبّدة .

والضمير في ﴿كَادُوا﴾ يحتمل :

أن يكون للكفار من الناس ، أي : كادوا يجتمعون على الردّ عليه وإبطال أمره .

(١) في هامش د : «خ : وتكريماً» .

(٢) الكشاف (١٦ / ٦٤) .

أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن، والتبرُّك به.

\*\*\*

[قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٧﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَعْصَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُمُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٠﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٢﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٣﴾].

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: لا أجد ملجأ<sup>(١)</sup> إلا بلاغ الرسالة.

أو بدل من ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾: أي: لا أملك شيئاً إلا بلاغ الرسالة.

ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور ليس بصلوة لبلاغ، إنما هو بمعنى: بلاغاً كائنًا من الله<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل عندي: أن يكون متعلقاً بـ ﴿بَلَاغًا﴾، والمعنى: بلاغ عن الله.

﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على ﴿بَلَاغًا﴾، كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب، هـ: «منجى».

(٢) الكشف (١٦/٧٠).

(٣) الكشف (١٦/٧٠).



ويحتمل أن يكون ﴿وَرِسَالَتِهِ﴾ معطوفاً على اسم الله .

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَالِدِينَ﴾ على معنى ﴿وَمَنْ يَعْصِ﴾ ؛ لأنه في معنى الجمع .

والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين ؛ لأن مذهبهم خلودهم في النار .

والدليل على أنها في الكفار وجهان :

أحدهما : أنها مكية ، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار .

والآخر : دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار .

﴿حَقٌّ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت ﴿حَقٌّ﴾ بقوله : ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجُعِلت غاية لذلك .

والمعنى : أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون ، قال ذلك الزمخشري ، وقال أيضاً : يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه المعنى ، كأنه قيل : لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون<sup>(١)</sup> ، وهذا أظهر .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ هنا نافية ، والمعنى : قل : لا أدري أقرب ما توعدون أم بعيد ، وعبر عن بعده بقوله : ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ .  
وعني بـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ : قتلهم ببدر ، أو يوم القيامة .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم الغيب أحدًا إلا من ارتضى، وهم الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ لبيان الجنس، لا للتبويض. والرسول هنا يحتمل أن يراد به:

الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية<sup>(١)</sup>.

أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(٢)</sup>، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفة بالغيوب؛ فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم.

وفيها أيضًا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه ملائكة يكونون رصداً يحفظونه من الشياطين<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكرنا ﴿رَصَدًا﴾ في هذه السورة.

قال بعضهم: ما بعث الله رسولاً إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة<sup>(٤)</sup> ربه.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٣٨).

(٢) الكشف (١٦/٧٣).

(٣) في أ، ب، ج: «الشيطان».

(٤) في ج: «رسالات».

﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِي رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ ثلاثة أقوال :

الأول : أي : ليعلم الله أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، أي : يعلمه موجودًا ، وقد كان علم ذلك قبل كونه .

الثاني : ليعلم محمد أن الملائكة الرصد قد أبلغوا رسالات ربهم .

الثالث : ليعلم من كفر أن الرسل قد أبلغوا الرسالة .

والأول أظهر .

وجَمَعَ الضمير في ﴿أَبْلَغُوا﴾ وفي ﴿رَبِّهِمْ﴾ حملًا على المعنى ؛ لأن ﴿مِنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ يراد به جماعة .

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي : أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع .

وهذه الجملة معطوفة على قوله : ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ ؛ لأن معناه أنه قد علم ، قال ذلك ابن عطية<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال .

﴿وَأَخَصَّنِي كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾ هذا عمومٌ في جميع الأشياء .

و﴿عَدْدًا﴾ منصوب :

على الحال .

أو تمييز .

أو مصدر من معنى ﴿أَخَصَّنِي﴾ .

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٣٨) .

## ﴿ سورة المزمل ﴾

[﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ①﴾ قُرِ الْبَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ②﴾ يَضْفَعُهُ ③﴾ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ④﴾ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ ⑤﴾ وَرَبَّلِ الْقُرْآنَ تَرْبِيلًا ⑥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑦﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑧﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑨﴾ وَأَذْكُرِ أَنْتَ رَبَّكَ وَتَسْتَغِيثُ إِلَيْهِ تَسْتِيلًا ⑩﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑪﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْرِجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑫﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑬﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ⑭﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑮﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْسًا مَهِيلًا ⑯﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑰﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑱﴾ فَكَيْفَ تَنْفَوْنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑲﴾ السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ ⑳﴾ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ㉑﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ㉒﴾ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ㉓﴾.]

﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ①﴾ ﴿نداء للنبي ﷺ.

ووزن ﴿الْمَزْمَلُ﴾ مُتَفَعِّل فَاصله : مُزْمَلٌ ، ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي .

وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه كان في وقت نزول الآية متمزلاً في كساء أو لحاف ،  
والتزمل : الالتفاف في الثياب بضم وتشمير ، هذا قول عائشة والجمهور .

الثاني : أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة .

الثالث : أن معناه المتزمل للنبوة ، أي : المشمّر ، المُجِدُّ في أمرها .

والأول هو الصحيح ؛ لما ورد في البخاري ومسلم : « أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه ، فقال : زملوني زملوني » ، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾<sup>(١)</sup> ، وعلى هذا نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾ ، فالتزمل<sup>(٢)</sup> على هذا : تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاء جبريل .

وقال الزمخشري : كان نائمًا في قطيفة فنودي ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ لِيُهَجَّنَ<sup>(٤)</sup> إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة ؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل<sup>(٥)</sup> . وهذا القول بعيد غير سديد .

وقال السهيلي : في ندائه بالمزمل فائدتان :

إحداهما : الملاطفة ، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها ، كقول النبي ﷺ لعلي : « قم أبا تراب »<sup>(٥)</sup> .  
والفائدة الأخرى : التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ؛ ليتنبه إلى ذكر الله ؛

(١) أخرجه البخاري (٤) ، ومسلم (١٦١) .

(٢) في ب ، هـ : « فالتزمل » .

(٣) أي : يقبّح ، والتهجين : التقييح . القاموس المحيط (هـ ج ن) .

(٤) الكشف (٧٧/١٦) .

(٥) أخرجه البخاري (٤٤١) ، ومسلم (٢٤٠٩) .

لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة<sup>(١)</sup>.

﴿فَرَأَيْتَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب؟

فعلى القول بالندب: هو ثابت غير منسوخ.

وأما على القول بالوجوب: ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده، ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم

نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، وصار تطوعاً،

هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح.

واختلف كم بقي فرضاً؟

فقال عائشة: عاماً.

وقيل: ثمانية أشهر.

وقيل: عشرة أعوام، فالآية الناسخة على هذا مدنية.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن

ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ① يَصْفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ② أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ③ في معنى هذا الكلام

أربعة أقوال:

الأول - وهو الأشهر والأظهر - : أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿يَصْفَهُ﴾

(١) التعريف والإعلام للسهيلى (ص: ٣٥٥-٣٥٦).

بدل من ﴿الَّيْلَ﴾، أو من: «قليل»، وجعل النصف قليلاً بالنسبة إلى الجميع.  
والضميران في: ﴿أَنْقُصْ مِنْهُ﴾، و﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف.  
والمعنى: أن الله خيَّره بين ثلاثة أحوال، وهي: أن يقوم نصف الليل،  
أو ينقص من النصف قليلاً، أو يزيد<sup>(١)</sup> عليه.  
القول الثاني: قال الزمخشري: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ استثناء من النصف، كأنه  
قال: «نصف الليل إلا قليلاً»<sup>(٢)</sup>.

فخيَّره على هذا بين حالتين، وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه،  
وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ قد تضمن معنى النقص من  
النصف؛ فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضاً: يجوز أن يريد بقوله: ﴿أَنْقُصْ مِنْهُ  
قَلِيلاً﴾ نصف النصف، وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾  
يعود على ذلك؛ أي: زد على الربع فيكون ثلثاً<sup>(٣)</sup>.

فالتخير على هذا: بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضاً بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾  
الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ ﴿الَّيْلَ﴾ على هذا:  
الليالي، فهو جنس<sup>(٤)</sup>، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما

(١) في أ، ج، هـ: «يزاد».

(٢) الكشف (١٦/٨٣).

(٣) الكشف (١٦/٨٧).

(٤) المحرر الوجيز (٨/٤٤١).

بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل، لا بعض الليالي.

فإن قيل: لم قيّد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل «قليلاً»؟

فالجواب: أن الزيادة تحسّن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيد بها بالقلة، بخلاف النقص، فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثير.

﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ الترتيل: هو التمهّل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعينٌ على التفكير في معاني القرآن، بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته حرفاً حرفاً، ولا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب، إلا وقف وتعوّذ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل.

والقول الثقيل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلاً؛ لِمَا كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصّد<sup>(٢)</sup> عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه ﷺ بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته برّكت به، وأوحى إليه وفخّذه على فخذه زيد بن ثابت فكادت أن تُرَضَّ فخذُ زيد، والثقل على هذا: حقيقة.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٠)، وأبو داود (٨٧١)، والنسائي في الكبرى (٣٦١/١)، وابن

ماجه (١٣٥١).

(٢) في ب، ج، هـ: «يتفصّد».



الثاني: أنه ثقیل علی الکفار بإعجازه ووعیده .

الثالث: أن ثقیل فی المیزان .

الرابع: أنه كلام له وزنٌ ورجحان .

الخامس: أنه ثقیل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية<sup>(١)</sup>، وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل؛ لمشقتها .

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال :

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ<sup>(٢)</sup> من مضجعها وتقوم للصلاة .

الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة .

الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي: تحدث فيه .

الرابع: الناشئة: القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة<sup>(٣)</sup> .

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء .

السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء .

السابع: ناشئة الليل: ساعاته كلها .

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٤٢) .

(٢) في أ، هـ: «تنشوا»!

(٣) في ب: «ناشئة الليل»، وفي د: «ناشئا» .

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ :

أحدهما : أثقل وأصعب على المصلي ، ومنه قول النبي ﷺ : «اللهم أشدد وطأتك على مضر»<sup>(١)</sup> ، والأثقل أعظم أجراً ، فالمعنى : تحريض على قيام الليل ؛ لكثرة الأجر .

الثاني : أشدُّ ثبوتاً ؛ من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ، ويقرب هذا من معنى ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ .

وقرئ ﴿وِطَاءً﴾ بكسر الواو على وزن فِعَالٍ ، ومعناه : موافقة ؛ أي : يوافق القلبُ اللسانَ بحضور<sup>(٢)</sup> الذهن .

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ السبح هنا : عبارة عن التصرف في الأشغال . والمعنى : يكفيك النهار للتصرف في أشغالك ، وتفرغ بالليل لعبادة ربك . وقيل : المعنى : إن فاتك شيء من صلاة الليل فأدّه بالنهار ؛ فإنه طويل يسع فيه ذلك .

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل : معناه قل : «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول صلاتك .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي : انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده .

وقيل : التبتل : رفض الدنيا .

(١) أخرجه البخاري (٨٠٤) ، ومسلم (٦٧٥) .

(٢) في د : «الحضور» .

و﴿بَنِيْلًا﴾ مصدرٌ على غير الصَّدر<sup>(١)</sup>.

﴿فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا﴾ الوكيل: هو القائم بالأمر، والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمرٌ بالتوكل على الله.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف.

وقيل: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ على أنه مفعول معه، أو معطوف.

﴿أَوَّلِ النَّعْمَةِ﴾ أي: التَّعْمُ في الدنيا.

وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة، وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالًا﴾ جمع نَكَلٍ، وهو القيد من الحديد.

ويروى أنها قيود سود من نار.

﴿وَطَعَامًا ذَا عُصَبَةٍ﴾ يعني: شجرة الزقوم، ومعنى ﴿ذَا عُصَبَةٍ﴾: يَعَصُّ به؛ أي: يَخْتَقُّ.

وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم<sup>(٢)</sup> لا يتزل ولا يخرج.

(١) انظر التعليق في ٥٣٣/١.

(٢) في د: «حلوقهم».

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصُعق<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي: تهتز وتزلزل.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى الكلام المتقدم، وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾.

﴿وَكَاثَ الْجِبَالِ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾ الكثيب: كُدُسُ الرمل، والمهيل: اللين الرخو الذي تَهِيلُهُ<sup>(٢)</sup> الريح أي: تنشره<sup>(٣)</sup>، وزنه مفعول.

والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة.

وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة<sup>(٤)</sup>.

﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية.

وإنما يشهد على من أدركه؛ لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» [المائدة: ١١٧]<sup>(٥)</sup>.

﴿كَأَ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني: موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ﴾

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٥/٢٣).

(٢) في أ، هـ: «تثيرة»، في ب، ج: «تنشره».

(٣) قوله «أي: تنشره» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٤) الكشف (١٠٠/١٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

فَرَعَوْتُ الرَّسُولَ ﴿١﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: غليظًا شديدًا.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، وناصبه: ﴿تَنَفُّونَ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم.

وقيل: هو مفعول به<sup>(١)</sup>، على أن يكون ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى: جحدتم.

وقيل: هو ظرف؛ أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿الْوِلْدَانَ﴾ جمع وليد، وهو الطفل الصغير.

والشَّيب - بكسر الشين - : جمع أشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء، وكسرت لأجل الياء.

و﴿يَجْعَلُ﴾ يحتمل أن يكون مسندًا:

إلى الله تعالى.

أو إلى اليوم.

والمعنى: أن الأطفال يشيرون يوم القيامة:

فقل: إن ذلك حقيقة.

وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم.

(١) أي: مفعول به ﴿كَفَرْتُمْ﴾. الكشف (١٦/١٠٠).

وقيل : إنه عبارة عن طوله .

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ الانفطار : الانشقاق .

والضمير المجرور يعود على اليوم ؛ أي : تنفطر<sup>(١)</sup> السماء بشدة هوله .

ويحتمل أن يعود على الله ؛ أي : تنفطر<sup>(٢)</sup> بأمره وقدرته .

والأول أظهر .

و﴿السَّمَاءُ﴾ مؤنثة ، وجاء ﴿مُنْفَطِرٌ﴾ بالتذكير :

لأن تأنيثها غير حقيقي .

أو على الإضافة ، تقديره : ذات انفطار .

أو لأنه أراد السقف .

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الضمير في ﴿وَعْدُهُ﴾ يحتمل أن يعود :

على اليوم .

أو على الله .

والأول أظهر ؛ لأنه ملفوظ به .

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد .

﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يريد : سبيل التقرب إلى الله .

ومعنى الكلام : حضُّ على ذلك وترغيب فيه .

(١) في د ، هـ : «تنفطر» .

(٢) في د ، هـ : «تنفطر» .

[﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفِهِ وَثُلَاثِيهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُئٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل.

ومعناها : إن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا ، مرة يكثر ومرة يقل ؛ لأنكم لا تقدرُونَ على إحصاء أوقات الليل وضبطها ، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله ، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن .

﴿وَنُصْفِهِ وَثُلَاثِيهِ﴾ من قرأهما بالخفض : فهو عطف على ﴿ثُلَاثِي اللَّيْلِ﴾ ؛ أي : تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه .

ومن قرأ بالنصب : فهو عطف على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ؛ أي : تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة .

﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني : المسلمين ، وهو معطوف على الضمير الفاعل في ﴿تَقُومُ﴾ .

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام ؛ أي : لن تحسبوا تقدير الليل .

وقيل : معناه : لن تطيقوه ؛ أي : لن تطيقوا قيام الليل كله .

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَنَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾

[المجادلة: ١٣].

﴿فَافْرُؤْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله، فقوموا بعضه، واقرأوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب. وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور<sup>(١)</sup>.

وقال قوم - منهم الحسن وابن سيرين - : هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امثل هذا الأمر. وقيل: كان فرضاً ثم نسخ بالصلوات الخمس.

وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي<sup>(٢)</sup> لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد.

ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر:

تأكيداً للأمر به.

أو تأكيداً للتخفيف، وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بإثر الأعذار.

﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني: المكتوبتين.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٤٧).

(٢) في زيادة: «تكون».



﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا، وقد ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.  
 ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ نصب ﴿خَيْرًا﴾؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾، والضمير فضلاً.  
 ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط  
 من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر (٤٦٧/١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١).

## ﴿سورة المدثر﴾

[بَيِّنَاتٍ الْمَذْذَرُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَيَتْلَاكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَكِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ⑫ وَبَيْنَ شُهُودًا ⑬ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ⑭ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑮ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ⑯ سَأَرْهَقُهُمْ صَعُودًا ⑰ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرَ ⑱ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑲ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑳ ثُمَّ نَظَرُ ㉑ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ㉒ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ㉓ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ㉔ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ㉕ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ㉖ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُ ㉗ لَا بُعْدَ لَنَا وَلَا نَذَرَ ㉘ لَوِاعَةٌ ㉙ لِلْبَشَرِ ㉚ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ㉛ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ㉜ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَمِزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِبْرَئِيلَ وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْبَشَرِ ㉝].

﴿بَيِّنَاتٍ الْمَذْذَرُ ①﴾ وزنه: مُتَفَعَّلٌ، ومعناه: الذي تدرثر في كساء أو ثياب.

وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه<sup>(١)</sup>.

وقال السهيلي: في ندائه بـ ﴿الْمَذْذَرُ﴾ ثلاث فوائد: الاثنان اللتان ذكرتا

في «المزمل»، وفائدة ثالثة؛ وهي: أن العرب يقولون: «النذير العريان»، للنذير الذي يكون في غاية الجِد والتشمير، والنذير<sup>(١)</sup> بالثياب ضد هذا، فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن.

والصحيح أن سورة «اقرأ» نزلت قبلها.

﴿قَدْ فَانَّذِرَ ۖ﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بعثة عامة.

﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرَ ۖ﴾ أي: عظمه.

ويحتمل أن يريد قول: «الله أكبر»، ويؤيد ذلك: ما روي عن أبي هريرة: أن المسلمين قالوا: بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرَ ۖ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقول: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرَ ۖ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره.

﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرَ ۖ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة.

واختلف على هذا: هل يحمل على الوجوب؛ فتكون إزالة النجاسة واجبة؟، أو على الندب؛ فتكون سنة؟

والآخر: أنه يراد به: الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا: مجاز.

(١) في ب: «التدثر»، وفي ج: «والمدثر».

(٢) التعريف والإعلام للسهيلى (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤٥١/٨) ولم أقف على إسناد له.

الثالث: أن معناه: لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرجز: الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو قول عائشة.

والآخر: أن الرجز: السُّخْط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فمعناه: اهجِر ما يؤدي إليه ويوجبه.

الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز.

﴿وَلَا تَنْتُنْ تَنْتَكِرُ ٦﴾ يحتمل قوله: ﴿تَنْتُنْ﴾ أن يكون:

من معنى العطاء.

أو معنى المنّ، وهو ذكر العطاء وشبهه.

أو معنى الضعف.

فإن كان من العطاء: ففيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تعط شيئاً لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأئمة.

والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ فإن الكريم يستقل ما يُعطي وإن كان كثيراً.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر، وفي بعض طرقه «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»، فيكون هذا من تفسير أبي سلمة وليس من تفسير النبي ﷺ.

وإن كان من الممن بالشيء: ففيه وجهان:

الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب.

وإن كان من الضعف: فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۖ﴾ (٧) أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه.

ويحتمل أن يريد الصبر:

على المكاره والمصائب.

أو على إذابة الكفار له.

أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الْنَافُورِ ۚ﴾ (٨) يعني: نفخ في الصور.

ويحتمل أن يريد: النفخة الأولى، أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۚ﴾ (٩) هذا وعيد وتهديد.

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق.

وفي معنى ﴿وَحِيدًا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: روي أنه كان يلقب الوحيد؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه، فكونه وحيدًا نعمة عددها الله عليه.

الثاني: أن معناه: خلقته منفردًا ذليلاً.

الثالث: أن معناه: خلقتني وحدي، ف ﴿وَجِدَا﴾ على هذا من صفة الله تعالى، وإعراجه على هذا: حال من الضمير الفاعل في قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾. وهو على القولين الأولين: حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَكُمْ مَالًا مَثْوًى﴾ (١٢) أي: كثيرًا، واختلف في مقداره؛ فقليل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف.

وقيل: يعني: الأرض؛ لأنها مُدَّت.

﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ (١٣) أي: حضورًا، وروي أنه كان له عشرة من الأولاد<sup>(١)</sup> - وقيل: ثلاثة عشر - لا يفارقونه.

وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعِمارة.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٤) أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذه غاية الحرص.

﴿كَلَّا﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة.

﴿عَبِيدًا﴾ أي: معاندًا مخالفًا.

والآيات هنا: يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه: إنه سحر.

ويحتمل أن يريد الدلائل.

(١) في ب، د، هـ: «الولد».

﴿سَأَرْهِفُهُمْ صَعُودًا﴾ (١٧) الصعود: العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم، كلما صعدوها الإنسان ذاب ثم يعود<sup>(١)</sup>.

فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها.

﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) أي: ﴿فَكَرَّ﴾ فيما يقول، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيأ كلامه.

روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق، فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشاً قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولاً يرضيهم، فافْتَسَنَ وقال: أفعلُ ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كاهن؟ ما هو بكاهن، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر؛ أي: ليس منزلاً من عند الله.

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) دعاء عليه وذم، وكرره تأكيداً لذمه وتقييح حاله.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه: استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله: ﴿قِيلَ﴾ لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: «قاتل الله فلاناً ما أشجعه!»، يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناءً عليه على طريقة الاستهزاء،

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٢٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٥٧).

أو حكاية لقول قريش؛ تهكمًا بهم<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) أي: نظر في قوله، وقدر ما يقول.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَ﴾ (٢٢) البُسور: هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس.

وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه ﷺ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ (٢٣) أي: أعرض عن الإسلام.

﴿يَخِرُّ بِؤْرًا﴾ (٢٤) أي: يُنقل عمن تقدم.

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُ﴾ (٢٥) تعظيم لها وتهويل.

﴿لَا بَقِيَّ وَلَا نَذْرُ﴾ (٢٦) مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه.

أو<sup>(٢)</sup> لا تبقى شيئًا ألقى فيها إلا أهلكته، وإذا أهلك<sup>(٣)</sup> لم تذكره هالكًا بل يعود إلى العذاب.

﴿لَوَاكُمُ اللَّبْسُ﴾ (٢٧) معنى ﴿لَوَاكُمُ﴾: مغيرة، يقال: لاحه السفر وغيره: إذا غيرّه.

والبشر: جمع بشرة، وهي الجلد.

فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها.

(١) الكشف (١٦/١٢٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٣) في ب: «أهلكته».



وقيل: ﴿لَوَاعَةٌ﴾: من لاح: إذا ظهر، والبشر: الناس؛ أي: تلوح للناس.

وقال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمس مئة عام.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٢٠) يعني: الزبانية خزنة جهنم:

ف قيل: هم تسعة عشرة ملكًا.

وقيل: تسعة عشر صفًا.

وقيل: تسعة عشر صفًا من الملائكة.

والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَتَارِ إِلَّا مَلَكًا﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ

عَشَرَ﴾ (٢٠) قال أبو جهل لقريش: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به؟ فنزلت الآية.

ومعناها: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم.

وروي: أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار

بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم، ويقولوا ما قالوا.

﴿لَيَسْتَفِيزَنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به

محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي: لا يشك ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ

حق.

فإن قيل : كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد، وهو تكرار؟

فالجواب : أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يُستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال .  
وقال الزمخشري : ذلك مبالغة وتأکید<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المرض : عبارة عن الشك، وأكثر ما يطلق  
﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ على المنافقين .

فإن قيل : هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن معناه : يقول المنافقون إذا حدثوا، ففيه إخبار بالغيب .  
والآخر : أن يريد : مَنْ كان بمكة من أهل الشك .

وقولهم : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ استبعاد لأن يكون هذا من عند الله .  
﴿وَمَا يَتْلُو جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين :

أحدهما : وصف جنود الله بالكثرة؛ أي : هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله .

والآخر : رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر؛ أي : لا يعلم أعداد

(١) الكشف (١٦/١٣٥-١٣٦).

جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددًا قليلًا ومنهم عددًا كثيرًا حسبما أراد الله.

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير:

لجهنم.

أو للآيات المتقدمة.

\*\*\*

[﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَر (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا (٣٦) لِّلنَّاسِ (٣٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٨) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ (٣٩) إِلَّا أَصْحَابَ النَّارِ (٤٠) فِي جَهَنَّمَ يَنسَآءُونَ (٤١) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤٢) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٣) فَأَلْوَانُهُمْ فِيهَا زَوَاجِرٌ (٤٤) وَلَهُمْ فِيهَا مِزَاجٌ (٤٥) وَكُنَّا نَحْنُزُّهُمْ بِهِ فَنَنْزِلُهُمْ (٤٦) فَأَتَيْنَا الْيَتِيمَ (٤٧) فَمَا تَفَعَّلْنَا بِهِ مِنْ إِتْمَاعٍ (٤٨) فَأَمَّا لَمْ يَنْتَهِ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَفِيرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثْقَلَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكَرُونَ (٥٤) فَمَا نَسُوا ذِكْرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُرْآنِ وَالْغَفِيرَةِ﴾].

﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم.

وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى<sup>(١)</sup>.

﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي: ولى.

وقرى ﴿دَبَّرَ﴾ بغير ألف، والمعنى واحد.

وقيل: معناه: دبر الليل النهار؛ أي: جاء في دبره.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَر﴾ أي: أضواء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ الضمير:

لجهنم.

أو للآيات والنذارة؛ أي: هي من الأمور العظام.

(١) الكشف (١٦/١٣٨).

و﴿الْكُفْرِ﴾ جمع كُفْرِي .

وقال ابن عطية: جمع كبيرة<sup>(١)</sup> .

والأول هو الصحيح .

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٢٦) ﴿تميزُ﴾ .

أو حال من ﴿لَاخِذَى الْكُفْرِ﴾ .

وقيل: النذير هنا: الله، فالعامل فيه على هذا محذوف، وهذا ضعيف .

وقيل: هو حال من أول السورة؛ أي: «قم فأنذر نذيرًا»، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من يدع التفاسير<sup>(٢)</sup> .

﴿لَئِنْ شَاءَ مِنْكَ أَنْ تَقْدَمَ أَوْ تَأَخَّرَ﴾ (٣٧) ﴿التقدم: عبارة عن سلوك طريق الهدى، والتأخر ضده .

و﴿لَئِنْ شَاءَ﴾ بدل من البشر .

أي: هم متمكنون من التقدم أو التأخر .

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[الكهف: ٢٩] .

وعلى هذا أعرب الزمخشري ﴿أَنْ يَنْقَدِمَ﴾ مبتدأ و﴿لَئِنْ شَاءَ﴾ خبره<sup>(٣)</sup> .

والأول أظهر .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٢) .

(٢) الكشف (١٦/ ١٤٠) .

(٣) الكشف (١٦/ ١٤٠) .

﴿رَهْنَةً﴾ قال ابن عطية: الهاء في ﴿رَهْنَةً﴾ للمبالغة، أو على تأنيث النفس<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: ليست بتأنيث «رهين»؛ لأن فعلياً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن؛ أي: كل نفس رهنٌ عند الله بعملها<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا أَتَّخَبَ إِلَيْنِ﴾ أي: أهل السعادة؛ فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يفكُ الراهن رهته بأداء الحق.

وقال علي بن أبي طالب: أصحاب اليمين: هم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يُرتهنون بها.

وقال ابن عباس: هم الملائكة.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ أي: يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين في النار.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما أدخلكم النار؟

وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به: المسؤولون، أو الملائكة.

فأجابوهم بقولهم: ﴿لَوْ نَك مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي: هذا هو الذي أوجب دخولهم النار.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٦٤).

(٢) الكشف (١٦/١٤١-١٤٢).

وإنما آخر التكذيب يوم الدين؛ تعظيمًا له؛ لأنه أكبر جرائمهم.

﴿نَحُوضُ﴾ الخوض: هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

﴿حَتَّى أَتَنَا الْيَقِينُ﴾ (٤٧) هو الموت عند المفسرين.

وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا: ما كانوا يكذبون به في الدنيا، فيتيقنوه بعد الموت<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا تَشْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار.

وجمع ﴿الشَّافِعِينَ﴾ دليل على كثرتهم، كما ورد في الآثار: «يشفع<sup>(٢)</sup> الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون»<sup>(٣)</sup>.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) يعني: كفار قريش.

﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ (٥٠) المستنفرة بفتح الفاء: التي استنفرها الفرع.

وبالكسر: بمعنى النافرة.

شبه الكفار بالحمير<sup>(٤)</sup> النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني: حمير الوحش.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٥).

(٢) في ب، د: «تشفع».

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) بلفظ: «يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون» في حديث طويل، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بلفظ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

(٤) في د: «بالحمير».

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) ابن عباس : القسورة : الرماة .

وقال أيضًا : هو الأسد .

وقيل : أصوات الناس .

وقيل : الرجال الشداد .

وقيل : سواد أول الليل .

﴿لَئِنْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتِي صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ (٥٢) المعنى : يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابٌ من عند الله .

ومعنى ﴿مُنَشَّرَةً﴾ : منشورة غير مطوية ؛ أي : طرية كما كتبت لم تُطَوَّ بعد ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ : لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيها<sup>(١)</sup> : «من رب العالمين إلى فلان بن فلان» نؤمر باتباعك .

﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه .

﴿لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي : هذه هي العلة والسبب في إعراضهم .

﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول .

أو ردع عن عدم خوفهم للآخرة .

﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ الضمير :

لما تقدم من الكلام .

أو للقرآن بجملته .

(١) في ب ، د : «فيه» .



﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٥٥) فاعل ﴿شَاءَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ، وفي ذلك حُضُّ وترغيب .

وقيل : الفاعل هو الله .

ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله .

﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ أي : هو أَهْلٌ لَأَنْ يُتَّقَى ؛ لشدة عقابه ، وهو أَهْلٌ لَأَنْ يَغْفَرَ الذُّنُوبَ ؛ لكرمه وسعة رحمته وفضله .

## ﴿سورة القيامة﴾

[﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ١﴾ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ٣﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنْ الْمَقَرُّ ١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْيَعْقِبْ قُرْآنَهُ ١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥﴾].

﴿لَا أُقِيمُ﴾ في الموضعين: معناه أقسم، و﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد القسم.

وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة: «ألا».

وقيل: هي نفى لكلام الكفار.

﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعة؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع:

فخيرها: النفس المطمئنة.

وشرها: النفس الأمارة بالسوء.

وبينهما : النفس اللوامة .

وقيل : اللوامة : هي المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد ؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ، ويستقيم إن كان ﴿لَا أَقِيمُ﴾ نفيًا للقسم .

﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ٢١ الإنسان هنا : للجنس ، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث .

ومعناه : أيقظ أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب ؟  
وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم .

﴿بَلَى﴾ تقديره : نجمعها .

﴿قَدِيرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿نَجْمَعُ﴾ ، والتقدير :  
نجمعها ونحن قادرون .

﴿أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ البنان : الأصابع ، وفي المعنى قولان :

أحدهما : أنه إخبار بالقدرة على البعث ؛ أي : قادرين على أن نسوي أصابعه ؛ أي : نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء ؛ لدقة عظامها وتفرقها .

والآخر : أنه تهديد في الدنيا ؛ أي : قادرين أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة ، كيد الحمار وخف الجمل ، فلا يمكنه تصريف يديه في منفعه .

والأول أليق بسياق الكلام .

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ﴾ ، ويجوز أن تكون استفهامًا مثلها ، أو تكون خبرًا .

وليس ﴿بَل﴾ هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله؛ وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده.

و﴿يَفْجُرُ﴾ معناه: يفعل أفعال الفجور.

وفي معنى ﴿أَمَامَهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي: يفجر بقية عمره.

الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال: مشى فلان قُدَّامه: إذا لم يرجع عن شيء يريده.

والضمير على هذين القولين: يعود على الإنسان.

الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ١ ﴿أَيَّانَ﴾ معناها: «متى».

وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد له.

﴿بَرْقَ الْقَمَرِ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة.

وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

و﴿بَرْقَ﴾ بفتح الراء: معناه لمع وصار له بريق.

و﴿قُرئ بكسر الراء، ومعناه تحير من الفرع.

وقيل: معناه: شَخَصَ، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ٢ ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو، وخسفه الله.

والخسوف للقمر، والكسوف للشمس .

وقيل : الكسوف : ذهاب بعض الضوء ، والخسوف : ذهاب جميعه .

وقيل : هما بمعنى واحد .

﴿وَجُمِ النَّسْرُ وَالْقَمَرُ ۝١﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهما يجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب .

والآخر : أنهما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذف بهما في النار - وقيل : في البحر - ، فتكون النار الكبرى .

الثالث : أنهما يجمعان<sup>(١)</sup> فيذهب ضوءهما .

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ أي : لا ملجأ ولا مُغيث .

﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ وَأَخَّرْتُمْ ۝١٢﴾ أي : بجميع أعماله ما قَدَّم منها في أول عمره وما أخر في آخره .

وقيل : ما قدم في حياته وما أخر من سُنة أو وصية بعد مماته .

وقيل : ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات .

وقيل : ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته .

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٣﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه شاهدٌ على نفسه بأعماله ؛ إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة .

(١) في د : «يجتمعان» .

والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خلقته تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازاً؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق.

والأول أليق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبأ الإنسان يومئذ بأعماله، بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرُهُ﴾ (٥٦)، ويكون هو جواب ﴿لَوْ﴾ حسبما ذكره.

﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرُهُ﴾ (٥٦) فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير: الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير: الستور؛ أي أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١) الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه؛ مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن يُنصت ويستمع<sup>(١)</sup>.

وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه، فنزلت الآية.

والأول هو الصحيح؛ لأنه ورد في البخاري وغيره.

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) ﴿ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفثيه عند نزوله .

ويحتمل ﴿قُرْآنَهُ﴾ هنا وجهين :

أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة ، فإن القرآن قد يكون مصدراً من قرأت .

والآخر : أن يكون معناه : تأليفه في صدره ، فهو مصدر من قولك : قرأت الشيء أي : جمعته .

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ﴾ (٨) أي : إذا قرأه جبريل ، فجعل قراءة جبريل قراءة الله ؛ لأنها من عنده .

ومعنى ﴿فَأَنبَحَ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته واتبعها بذهنك ؛ لتحفظها .

وقيل : اتبع القرآن في الأوامر والنواهي .

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٩) أي : علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه .

وقيل : علينا أن نبين معانيه وأحكامه .

فإن قيل : ما مناسبة قوله : ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية ، لما قبلها ؟

فالجواب : أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول .

﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْآلِهَةَ﴾ أي : الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على

مثل حالهم في حب الدنيا .

﴿وَكَلَّا﴾ ردع عن ذلك .

﴿وَجُودٌ بِوَيْدٍ نَّاصِرٌ﴾ بالضاد أي: ناعمة، ومنه ﴿نَضْرَةٌ أُنَّيْمٌ﴾ [المطففين: ٢٤].

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة.

وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بأن معناه: منتظرة، وهذا باطل؛ لأن «نظر» بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ «إلى» فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣].

وقال بعضهم: «إلى» هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد «الآلاء» بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد.

وتأوله الزمخشري: بأن معناه كقول الناس: «فلان ناظر إلى فلان» إذا كان يرتجيه ويتعلق به<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبُسور: أشد من العبوس.

﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿١٥﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر.

والظن هنا يحتمل أن يكون: على أصله، أو بمعنى اليقين.



[﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٢١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٢﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِي بَلَغَهُ يَالَسَاقِ ﴿٢٤﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٥﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٢٦﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٢٧﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِحٌ ﴿٢٨﴾ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلُ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلُ ﴿٣٠﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَاطِقًا مِنْ مَتْنٍ يَمْنَى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَمَخْلَقَ فَسَوَى ﴿٣٣﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٤﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتَى ﴿٣٥﴾].

﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني: حالة الموت.

و﴿التَّرَاقِيَ﴾: جمع تَرْقُوة، وهي عظام أعلى الصدر.

والفاعل بـ ﴿بَلَغَتِ﴾: نفس الإنسان، دل على ذلك سياق الكلام.

وهو عبارة عن حال الحشرة وسياق الموت.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢٢) أي: قال أهل المريض: مَنْ يَرْقِيهِ عَسَى أَنْ يَشْفِيَهُ؟

وقيل: معناه: أن الملائكة تقول: مَنْ يَرْقِي بَرُوحَهُ؟ أي: يصعد بها إلى السماء؟

فالأول: من الرُّقية، وهو أشهر وأظهر.

والثاني: من الرُّقِّي، وهو العلو.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٢٣) أي: تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله.

﴿وَالَّذِي بَلَغَهُ يَالَسَاقِ﴾ (٢٤) هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي: التفت ساقه على الأخرى عند السياق.

وقيل: هو مجاز، كقولك: «كشفت الحرب عن ساقها»: إذا اشتدت.

وقيل: معناه: ماتت ساقه فلا تحمله.

وقيل: التفت: أي: لفها الكفن إذا كُفن.

وفي قوله: ﴿الْأَسَافُ﴾ و﴿الْمَسَافُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾ (٢٠) هذا جواب ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَأَىٰ﴾.

و﴿الْمَسَافُ﴾ مصدر من السَّوق، كقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿فَلَا مَدَدَ وَلَا مَلَىٰ﴾ (٢١) «لا» هنا نافية، و﴿مَدَدَ﴾ هنا يحتمل أن يكون:

من التصديق بالله ورسله.

أو من الصدقة.

ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل.

﴿يَتَطَهَّرُ﴾ أي: يتبختر في مشيه<sup>(١)</sup>، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء،

وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد.

﴿فَأَوَّلَىٰ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيداً.

ويروى أن رسول الله ﷺ لبَّبَ<sup>(٢)</sup> أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك:

أولى لك فأولى». فنزل القرآن بموافقة ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب: «مشيته».

(٢) أي: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جرّه. القاموس المحيط (ل ب ب).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٢٥).

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (١٦) هذا توبيخ، ومعناه: أيعظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والإنسان هنا: جنس.

وقيل: نزلت في أبي جهل.

ولا يبعد أن يكون سببها خاصًا ومعناها عامٌ.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ ثَمْنِي﴾ النطفة: النقطة، و﴿ثَمْنِي﴾: من قولك: أمني الرجل.

ومعنى الآية: الاستدلال بخُلقة الإنسان على بعثه، كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

والعلقة: الدم؛ لأن المنيَّ يصير في الرحم دمًا.

﴿فَخَلَقَ فُسْوَى﴾ أي: خلقه بشرًا فسوى صورته؛ أي: أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (٢٠) هذا تقرير واحتجاج.

وروي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٧٣٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٨٤).

## ﴿ سورة الإنسان ﴾

[ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا ④ وَأَعْلَلْنَا وَاسِعًا ⑤ إِنَّا الْبَشَرُ بَشَرُونَ مِن كَافٍ ⑥ كَانَ مِرَاجُهَا كَافُورًا ⑦ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⑧ يُوفُونَ بِالْأَنزَارِ ⑨ وَتَحَافُونَ يَوْمًا ⑩ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ⑪ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ ⑫ مِنْكِيسًا وَبَيْمًا وَأَسِيرًا ⑬ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا رُبُّدٍ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكُورًا ⑭ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ⑮ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَرُحُورًا ⑯ وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑰ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ⑱ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَلْفُوتُهَا نَدِيلًا ⑲ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ⑳ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقِيرًا ㉑ وَتُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِرَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ㉒ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ㉓ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حِينَئِذٍ لَوْ لَوَا شُكُورًا ㉔ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ㉕ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُودٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ㉖ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مُّشْكُورًا ] .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ① ﴾ ﴿ هَلْ ﴾ هنا بمعنى

التقرير ، لا لمجرد الاستفهام .

وقيل : هي بمعنى «قد» .

﴿الْإِنْسَنُ﴾ هنا : جنس ، والحين الذي أتى عليه : حين كان معدوماً قبل أن يخلق .

وقيل : الإنسان هنا : آدم ، والحين الذي أتى عليه : حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح ، وهذا ضعيف لوجهين :

أحدهما : قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ تُطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق ؛ إذ لا يصح هذا في آدم .

والآخر : أن مقصد الآية تحقير الإنسان .

﴿مِنْ تُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي : أخلاط ، واحداها : مَشْجٌ بفتح الميم والشين .  
وقيل : مَشْجٌ بوزن : عَدَلٍ .

وقال الزمخشري : ليس ﴿أَمْشَاجٍ﴾ بجمع ، وإنما هو مفرد كقولهم : «بُرْمَةٌ أعشار» ، ولذلك وقع صفة للمفرد .

واختلف في معنى الاختلاط هنا :

ف قيل : اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

وقيل : اختلاط ماء الرجل والمرأة ، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة .

وقيل : معناه : ألوان وأطوار ، أي : يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة .

﴿يَبْتَلِيهِ﴾ أي : نختبره ، وهذه الجملة في موضع الحال ، أي : خلقناه مبتلين له .

وقيل : معناه : نُصْرِفُه في بطن أمه نطفة ثم علقة .

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ .

وَمَنْ جَعَلَ ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ بمعنى نصرفه في بطن أمه : فهذا عطف عليه .

وقيل : إن ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ مؤخر في المعنى ؛ أي : جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتيه ، وهذا تكلف بعيد .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي : سبيل الخير والشر ، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين : شاكِرٍ وكفورٍ ، وهما حالان من الضمير في ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ .

والهدى هنا : بمعنى بيان الطريقين ، ومَوْهبة العقل الذي يميز به بينهما . ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد ؛ أي : هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٧٨] <sup>(١)</sup> .

﴿سَلْسِلًا﴾ من قرأه بغير تنوين : فهو الأصل ؛ إذ هو لا ينصرف ؛ لأنه جمعٌ لا نظير له في الأحاد .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمه الله : «ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد» إلخ ، أقول : يريد أن الهدى في قوله ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى أرشدناه ، فإن كان الإرشاد عنده بمعنى دللناه ؛ فهو بمعنى البيان ، وهو المعنى الأول الذي ذكره المصنف ، وإن كان بمعنى دعواناه إليه فلا يصح ؛ فإنه تعالى لا يدعو إلا إلى سبيل الحق وطريق الخير ، وعلى هذا فالصواب أن الهدى بمعنى البيان ، وهو المعنى الأول الذي قدمه المؤلف ، وقوله : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي : الهدى والضلال ، والكفر والإيمان ؛ كلٌّ من عند الله ، أي : بقدره ومشئته ، وهذا هو معنى الإيمان بالقدر خيره وشره . وقوله : «ومَوْهبة العقل الذي يميز به بينهما» لعله يريد أن العقل مما يميز به بين طريق الخير وطريق الشر ، لا أنه لا يستقل بذلك ، بل التمييز التام بين الطريقين إنما يكون بما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

ومن قرأ بالتنوين : فله ثلاث توجيهات :

أحدها : أنها لغة لبعض العرب ، يصرفون كل ما لا ينصرف إلا «أفعل» .  
والآخر : أن النون بدل من حرف الإطلاق ، وأجرى الوصل مجرى الوقف .

والثالث : أن يكون صاحب هذه القراءة رَأييَّةً للشعر ، قد عوَّد لسانه صرف ما لا ينصرف ، فجرى على ذلك .

﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ ، ومعناه : العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح ، حتى قال بعضهم : الأبرار هم الذين لا يؤذون الذرَّ .

﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(١)</sup> معنى الكأس .

﴿مِنْ﴾ هنا يحتمل أن تكون : للتبعيض ، أو لابتداء الغاية .

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي : تمزج الخمر بالكافور .

وقيل : المعنى : أنه كافور في طيب رائحته ، كما تمدح طعامًا فتقول : هذا مسك .

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ على القول بأن الخمر تمزج بالكافور .

وبدل من موضع ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ على القول الآخر ، كأنه قال : يشربون خمرًا خمرَ عين .

وقيل : هو مفعول بـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾ .

(١) انظر (٣/٦٦٤) .

وقيل : منصوب بإضمار فعل .

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية : الباء زائدة ، والمعنى : يشربها<sup>(١)</sup> ، وهذا ضعيف ؛ لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها .

وإنما هي كقولك : « شربت الماء بالعسل » ؛ لأن العين المذكورة يمزج بها الكأس من الخمر .

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص ، كقوله :  
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي : يُجْرُونَهَا<sup>(٢)</sup> حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرًا سهلًا لا يصعب عليهم .

وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينًا تنفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين .

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي : منتشرًا شائعًا ، ومنه : « استطار الفجر » : إذا انتشر ضوءه .

﴿وَيُطِمْئِنُ الطَّعَامُ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطرمهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له ، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين ، فلما وضعوا فطرمهم جاء يتيم فدفعوه له ، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين ، فلما وضعوا فطرمهم جاء أسير فدفعوه له ، وباتوا طاوين .

(١) المحرر الوجيز (٤٨٨/٨) .

(٢) في أ ، هـ : « يفجرونها » ، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٨٩/١٦) .



والآية على هذا مدنية؛ لأن عليًا إنما تزوج فاطمة بالمدينة.

وقيل: هي مكية، وليست في علي.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير<sup>(١)</sup> للطعام؛ أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَن نَّأَلُوا الْآلَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ تميم، وهو من أدوات البيان.

وقيل: الضمير لله.

وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطْعَمُونَ﴾.

والأول أرجح وأظهر.

﴿مُسْكِينًا وَنَيْمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين<sup>(٢)</sup> واليتيم<sup>(٣)</sup>.

وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين<sup>(٤)</sup> المسلمين، ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطبة<sup>(٥)</sup> أجرًا، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

(١) في أ، هـ: «عائده».

(٢) انظر (٥٠٢/٢).

(٣) انظر (٣٣١/١).

(٤) في ج: «بيد».

(٥) في ب، د: «رطب».

والثالث: أنه المملوك.

والرابع: أنه المسجون.

والخامس: أنه المرأة؛ لقوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم»<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: «أحسن إليه»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لِيَوْمِهِ اللَّهُ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسروه وأكدوه<sup>(٣)</sup> بقولهم: ﴿لَا تُبَدُّ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرًا﴾.

والشُّكْر: مصدر كالشكر.

ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام:

بألسنتهم.

أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وَصَفُ الْيَوْمِ بِالْعَبُوسِ مجازٌ على وجهين:

أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: «نهاره صائم» و«ليله قائم»، وروي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥)، والترمذي (١١٦٣)، والنسائي (٢٦٤/٨)، وابن ماجه (١٨٥١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٦/١٩١) عن الحسن مرسلًا، ولم أقف على إسناده.

(٣) في ب، د: «فسره وأكده».

والآخر: أن يشبه في شدته بالأسد العبوس.

﴿مَطَرِيْرًا﴾ قال ابن عباس: معناه طويل.

وقيل: شديد.

﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ النصرة: التنعم. وهذا في مقابلة عبوس الكافر.

وقوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ و﴿وَلَقَنَّهُمْ﴾ من أدوات البيان، وهو<sup>(١)</sup>.

﴿يَمَّا صَبْرًا﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم، حسبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وقد ذكرنا ﴿الْأَرْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها؛ أي: ليس فيها حر ولا برد.

والزمهرير: هو البرد الشديد.

وقيل: هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا: أن الجنة<sup>(٣)</sup> ضياء؛ فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلّية<sup>(٤)</sup> عليهم، قريبة

(١) في جميع النسخ الخطية هنا بياض بمقدار كلمة تقريبًا!، ولعله المناسب أن يكتب مكانه: «التجنيس»، وانظر المقدمة (١/١١٤).

(٢) انظر (٣/٢٦)، (٣/٦٤٤).

(٣) في د: «في الجنة».

(٤) في هامش د: «خ: مدنية».

منهم ؛ لأن الشيء المُمِطَلَّ إذا بَعُدَ فتر<sup>(١)</sup> ظله .

وإعراب ﴿وَدَانِيَةً﴾ : معطوف على ﴿مُتَكِينٍ﴾ .

وقال الزمخشري : هو معطوف على الجملة التي قبلها ، وهي ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ ؛ لأن هذه جملة في حكم المفرد ، تقديره : «غير رائيين فيها شمسًا ولا زمهريراً ، ودانية» ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم ، أي : جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال<sup>(٢)</sup> .

وقيل : هو صفة لـ ﴿جَنَّةٍ﴾ ، عطفت بالواو كقولك : «فلان عالم وصالح» .

وقيل : هو معطوف عليها ؛ أي : وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها .

﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ القطوف : جمع قُطْفٍ ، وهو العنقود من النخل والعنب ، وشبه ذلك .

وتذليلها : هو أن تتدلى إلى الأرض .

وروي : أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع ؛ لأنها تتدلى لهم كما يريدون .

وهذه الجملة :

في موضع الحال من ﴿وَدَانِيَةً﴾ ؛ أي : دانية في حال تذليل قُطُوفِهَا .

أو معطوفة عليها .

(١) في د : «بُعد» .

(٢) الكشف (١٦/١٩٥) .

﴿بَيِّنَةٌ﴾ هي جمع إناء ووزنها أَفْعَلَةٌ.

وقد ذكرنا الأكواب في «الواقعة»<sup>(١)</sup>.

﴿قَوَارِيرًا﴾ القوارير: هي الزجاج.

فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾؟

فالجواب: أن المراد: أنها في أصلها من فضة وهي تُشَبِّه الزجاج في صفاتها وشفيفها.

وقيل: هي من زجاج، وجعلها من فضة على وجه التشبيه؛ لشرف الفضة وبياضها.

ومن قرأ ﴿قَوَارِيرًا﴾:

بغير تنوين: فهو على الأصل.

ومن نَوَّنَه: فعلى ما ذكرنا في ﴿سَلْسِلًا﴾.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير، والمعنى: قَدَّرُوهَا على قدر الأكْفِّ، أو على قدر ما يحتاجون من الشرب، قال مجاهد: هي لا تَفِيض ولا تَغِيض.

وقيل: قدروها على حَسَب ما يشتهون.

والضمير الفاعل في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أن يكون:

للشاربين بها.

أو للطائفين بها.

(١) انظر صفحة ٦٨٥.

﴿مِرَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في ﴿مِرَاجُهَا كَافُورًا﴾ .

﴿سَلْسِيلًا﴾ معناه : سلسٌ منقادُ الجَرِيَّةِ .

وقيل : سهل الانحدار في الحلق<sup>(١)</sup> .

يقال : شرابٌ سلسل وسلسال وسلسيل : بمعنى واحد .

وزيدت الباء في التركيب ؛ للمبالغة في سلاسته ، فصارت الكلمة خماسية .

وقيل : «سل» فعل أمر و«سبيلاً» مفعول به ، وهذا في غاية الضعف .

﴿وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ﴾ ذكر في «الواقعة»<sup>(٢)</sup> .

﴿لَوْلُؤَا نَشُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ : في الحسن<sup>(٣)</sup> والبياض ، وبالمنثور منه :

في كثرتهم وانتشارهم في القصور .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول ﴿رَأَيْتَ﴾ محذوف ؛ ليكون الكلام على الإطلاق في

كل ما يرى فيها .

و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان .

وقال الفراء : تقديره : «إذا رأيت ما ثَمَّ» ، ف«ما» مفعولة ثم حذفت .

قال الزمخشري : هذا خطأ ؛ لأن «ثَمَّ» صلة لـ«ما» ، ولا يجوز حذف

الموصول وترك الصلة<sup>(٤)</sup> .

(١) في ج : «الحلق» .

(٢) انظر صفحة ٢٨٥ .

(٣) في ب : «اللون» .

(٤) الكشف (١٦/٢٠٣) .

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني : كثرة ما أعطاهم الله ، حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه ، حسبما ورد في الحديث <sup>(١)</sup> .

وقيل : أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك .

﴿عَلَيْهِمْ﴾ بسكون الياء : مبتدأ خبره : ﴿ثِيَابٌ سُندُسٌ﴾ أي : ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس .

وَقُرئ بالنصب : على الحال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَبِيتُهُمْ﴾ .

وقال ابن عطية : العامل فيه ﴿وَلَقَنَّهُمْ﴾ أو ﴿وَجَرَنَّهُمْ﴾ ، وقال أيضًا : يجوز أن ينتصب على الظرف ؛ لأن معناه : «فوقهم» <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرنا معنى السندس والاستبرق <sup>(٣)</sup> .

وقرئ : ﴿خُضْرٌ﴾ :

بالخفض : صفة لـ ﴿سُندُسٍ﴾ .

وبالرفع : صفة لـ ﴿ثِيَابٍ﴾ .

و﴿وَأَسْتَبْرَقٌ﴾ :

بالرفع : عطف على ﴿ثِيَابٍ﴾ .

(١) أخرجه مسلم (١٨٩) ، وفيه : «مثل مُلْكٍ من ملوك الدنيا» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٩٧) .

(٣) انظر (٣/٢٦) .

وبالخفض: عطف على ﴿سُنْدُسٍ﴾.

﴿وَحُلُوتًا﴾ وزنه: فَعْلُوا، ومعناه: جُعل لهم حُلِيٌّ.

﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في «الكهف»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾، وفي موضع آخر: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾؟

فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما»<sup>(٢)</sup>، فلعل الذهب للمقربين، والفضة لأهل اليمين.

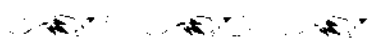
ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً.

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: ليس بنجس كخمر الدنيا.

وقيل: معناه: أنه لم تعصره الأقدام.

وقيل: معناه: لا يصير بولاً.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي: يقال لهم هذا، يقوله الله تعالى أو الملائكة.



(١) انظر (٢٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).



[﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ٢٢ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيَةً أَوْ كُفُورًا﴾ ٢٣ ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٢٤ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ٢٥ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ ٢٦ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْتَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ ٢٧ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخُذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٨ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٢٩ ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣٠].

﴿إِنَّمَا أَوْ كُفُورًا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، فالمعنى: لا تطع النوعين: فاعلاً للإثم، ولا كافرًا.

وقيل: هي بمعنى الواو؛ أي: جامعاً للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار. وروي أنه الآية نزلت في أبي جهل.

وقيل: إن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصاً.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمرٌ بذكر الله في كل وقت.

وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار. واليوم الثقيل: يوم القيامة، ووصفه بالثقل<sup>(١)</sup> عبارة عن هوله وشدته.

(١) في د: «بالثقل».

﴿وَشَدَدْنَا أَمْرَهُمْ﴾ الأُسْرُ: الخِلقَة.

وقيل: المفاصل والأوصال.

وقيل: القوة.

﴿بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم.

وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم.

وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾ الإشارة:

إلى الآية.

أو السورة.

أو الشريعة بجملتها.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.



## ﴿سورة المرسلات﴾

[﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① وَالْمُصَفِّاتِ عَصْفًا ② وَالشَّارِبِ نَشْرًا ③ وَالْفَرَقَتِ فَرَقًا ④﴾  
 قَالْمُغْنِيَةِ ذِكْرًا ⑤ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعَ ⑦ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا  
 السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ⑩ وَإِذَا الرُّسُلُ أُفِنَتْ ⑪ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑫ لِيَوْمِ  
 الْفَصْلِ ⑬ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑭ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑮ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ  
 ⑯ ثُمَّ تَنْبَعُثُهُمُ الْآخِرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑱ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑲ أَلَمْ  
 نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑳ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ㉑ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ㉒ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ  
 ㉓ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉔ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ㉕ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ㉖ وَجَعَلْنَا فِيهَا  
 رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ㉗ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉘ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ  
 تَكْذِبُونَ ㉙ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ㉚ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ㉛ إِنَّهَا  
 تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْفَصْرِ ㉜ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ ㉝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉞ هَذَا يَوْمٌ لَا  
 يَنْطِقُونَ ㉟ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ ㊱ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㊲ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ  
 وَالْأَوَّلِينَ ㊳ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ㊴ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾].

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على

قولين:

أحدهما: أنها الملائكة.

والآخر: أنها الرياح.

فعلى القول بأنها الملائكة :

سماهم المرسلات ؛ لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره .

وسماهم العاصفات ؛ لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيه<sup>(١)</sup> إلى امثال أوامر الله تعالى .

وسماهم الناشرات ؛ لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو ، أو ينشرون الشرائع في الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال .

وسماهم الفارقات ؛ لأنهم يفرقون بين الحق والباطل .

وعلى القول بأنها الرياح :

سماها المرسلات ؛ لقوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الروم : ٤٨] .

وسماها العاصفات من قوله : ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس : ٢٢] ؛ أي : شديدة .

وسماها الناشرات ؛ لأنها تنشر السحاب في الجو ، ومنه قوله : ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا﴾ [الروم : ٤٨] .

وسماها الفارقات ؛ لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله : ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾

[الروم : ٤٨] .

وأما ﴿الْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ : فهم الملائكة ؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء ﷺ .

والأظهر في المرسلات والعاصفات : أنها الرياح<sup>(٢)</sup> ؛ لأن وصف الرياح بالعصف حقيقة .

(١) في د : «مضيه» .

(٢) في أ ، د : «الريح» .

والأظهر في الناشرات والفارقات: أنها الملائكة؛ لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة، ولم يقل أحد إنها الرياح.

ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ ﴿فَالْعَصْفَاتِ﴾، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَالنَّشِيرَاتِ﴾، ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء.

وقد قيل في ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و﴿الْمُلْقِيَاتِ﴾: إنهم الأنبياء ﷺ.

﴿عُرْفًا﴾ معناه: فضلاً وإنعاماً، وانتصابه: على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معناه: متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال.

وأما ﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿فَرْقًا﴾: فمصادر.

وأما ﴿ذِكْرًا﴾: فمفعول به.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ (١) العذر: فسره ابن عطية<sup>(١)</sup> وغيره بمعنى: إعذار الله إلى عباده؛ لئلا تبقى لهم حجة أو عذر.

وفسره الزمخشري: بمعنى الاعتذار، يقال: عذّر: إذا محا الإساءة<sup>(٢)</sup>.

وأما ﴿نُذْرًا﴾ فمن الإنذار وهو التخويف.

وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها.

(١) المحرر الوجيز (٨/٥٠٤).

(٢) الكشف (١٦/٢٢٢).

ويحتمل أن يكونا مصدرين، فيكون نصبهما :

على البدل من ﴿ذِكْرًا﴾ .

أو مفعولاً من أجله .

أو مفعولاً بـ ﴿ذِكْرًا﴾ .

ويحتمل أن يكون ﴿عُذْرًا﴾ جمع عُذِير أو عاذر، و﴿نُذْرًا﴾ جمع نذير، فيكون نصبهما : على الحال .

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ﴾ (٧) يعني : البعث والجزاء، وهو جواب القسم .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) أي : زال ضوءها .

وقيل : مُحِيتُ .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) أي : انشقت .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ (١٠) أي : صارت غباراً .

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ﴾ (١١) أي : جُعل لها وقت معلوم، فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة .

وقرئ ﴿وُقَّتْ﴾ بالواو وهو الأصل، والهمزة بدل من الواو .

﴿لَا إِلَهَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٢) هو من الأجل، كالتوقيت من الوقت .

وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم، ثم بينه بقوله : ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (١٣)

أي : (١) يفصل فيه بين العباد، ثم عظمه بقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ .

(١) في ب زيادة : «يوم» .

﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ تكراره في هذه السورة :

قيل : إنه تأكيد .

وقيل : بل في كل آية ما يقتضي التصديق ، فجاء ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ راجعاً إلى ما قبله في كل موضع منها .

﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ١٦﴾ يعني : الكفار المتقدمين ، كقوم نوح وغيرهم .  
﴿ثُمَّ نَسِيتُهُمُ الْآخِرِينَ ١٧﴾ يعني : قريشاً وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره .

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي : مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم ؛ يعني الكفار .

﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ١٨﴾ يعني : المني ، والمهين : الضعيف .

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ١٩﴾ يعني : رحم المرأة وبطنها .

﴿إِنَّا قَدَرٌ مَقْلُومٌ ٢٠﴾ يعني : وقت الولادة ، وهو معلوم عند الله ، وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر .

﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد : من التقدير ، وبالتخفيف : من القدرة .

فإذا كان من القدرة : اتفق مع قوله : ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ .

وإذا كان من التقدير : فهو تعجيس .

﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ٢١﴾ أحياء وأمواتاً ﴿٢٢﴾ الكِفَات : من كَفَت : إذا ضَمَّ

وجمع .

فالمعنى : أن الأرض تَكْفَتْ الأحياء على ظهرها ، والموتى في بطنها .  
وانتصب ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٣١﴾ على أنه مفعول بـ ﴿كَفَاتَا﴾ ؛ لأن الكفات اسم لم يُضْمَ ويُجْمَع ، فكأنه قال : جامعة أحياء وأمواتا .  
ويجوز أن يكون المعنى : تكفتهم أحياء وأمواتا ، فيكون نصبهما على الحال من الضمير .

وإنما نكر ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٣١﴾ ؛ للتفخيم ، ودلالة على كثرتهم .

﴿رَوَّسِي﴾ يعني : الجبال .

﴿شِخَاتٍ﴾ أي : مرتفعات .

﴿مَاءَ فُرَاتًا﴾ أي : حلوا .

﴿أَنْطَلِقُوا﴾ خطاب للمكذبين .

وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض .

ثم كرره ؛ لبيان المنطلق إليه .

﴿إِلَى ظِلِّ﴾ يعني : دخان جهنم ، ومنه : ﴿وَوَيْلٌ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾ ﴿٤٢﴾ [الواقعة : ٤٣] .

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي : يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتُظِلُّهم ، بينما يكون المؤمنون في ظلِّ العرش .

وقيل : إن هذه الآية في عبدة الصليب ؛ لأنه <sup>(١)</sup> على ثلاثة شعب ، فيقال لهم انطلقوا إليه .

(١) أي : الصليب .



﴿لَا ظَلِيلٌ﴾ نفى عنه أن يُظلم كما يُظلم العرشُ المؤمن، ونفى أيضاً أن يمنع عنهم اللهب.

﴿إِنَّمَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ۖ﴾ (٢٢) الضمير في ﴿إِنَّمَا﴾ لجهنم.

والقصر: واحد القصور، وهي الديار العظام، شبه الشرر به في عظمه وفي ارتفاعه في الهواء.

وقيل: هو الغليظ من الشجر، واحده قَصْرَةٌ، كجمرة وجمر.

﴿كَأَنَّهُ جُمَلَتْ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان:

أحدهما: أنه جمع جَمَالٍ، شبه بها الشرر، و﴿صُفْرٌ﴾ على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة.

وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾ هنا: بمعنى سودّ، يقال: جمل أصفر أي: أسود، وهذا أليق بوصف<sup>(١)</sup> جهنم.

الثاني: أن الجمالات: قطع النحاس الكبار، فكأنه مشتق من الجُملة.

وقرئ ﴿جُمَلَتْ﴾ بضم الجيم، وهي قُلُوس السفن، وهي حبالها العظام.

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٢٥) هذا في موطن، وقد يتكلمون في موطن آخر؛

كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٢٦) تعجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا،

وتقريع عليه.

(١) في أ، هـ: «الوصف».

[إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظُلُمٍ وَعَمُومٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَنَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوهَا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٨﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾].

﴿كُلُّوْا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة: بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيئًا﴾ نصبٌ:

على الحال.

أو على الدعاء.

﴿كُلُّوْا وَتَمَنَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوهَا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٨﴾﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا. وذكر الركوع: عبارة عن الصلاة.

وقيل: معنى ﴿اَزْكُمُوهَا﴾: اخشعوا وتواضعوا لله.

وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يقدرّون على الركوع، كقوله تعالى: ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

والأول أشهر وأظهر.

﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

## ﴿سورة النبا﴾

[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مَخْلُقُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾  
 تُوًّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾  
 وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ  
 سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ  
 حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَفُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ  
 أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ  
 كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاعِينَ مَنَاقِبًا ﴿٢٢﴾ لِّبَشِيرٍ فِيهَا أَخْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا  
 ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا  
 بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾].

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾ أصل ﴿عَمَّ﴾ : «عَنْ مَا»، ثم أدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟

وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر.

والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ :

لكفار قريش.

أو لجميع الناس.

ومعناه: يسأل بعضهم بعضًا.

﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ (١) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك .

ويتعلق ﴿عَنِ النَّبِإِ﴾ بفعل محذوف يفسره الظاهر ، تقديره : يتساءلون عن النبأ .

ووقعت هذه الجملة جواباً عن الاستفهام ، وبياناً للمسؤول عنه ، كأنه لما قال : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) أجاب فقال : يتساءلون عن النبأ العظيم .

وقيل : يتعلق ﴿عَنِ النَّبِإِ﴾ بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الظاهر ، والمعنى على هذا : لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم ؟

والأول أفصح وأبرع ، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) .

﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٢) إن كان الضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لكفار قريش فاختلافهم :

أن منهم من يقطع بالكذب ، ومنهم من يشك .

أو يكون اختلافهم قول بعضهم : سحر ، وقول بعضهم : شعر وكهانة وغير ذلك .

وإن كان الضمير لجميع الناس : فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر .

﴿كَلَّا سَبْعَمَوْنَ﴾ (٣) ردع وتهديد ، ثم كرهه للتأكيد .

﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٤) أي : فراشاً .

وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة<sup>(١)</sup> التوقيف؛ ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قَدَّر على خَلْق هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم. ويَحْتَمِل أن يذكرها حجةً على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ۖ﴾ (٧) شبهها بالأوتاد؛ لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ﴾ (٨) أي: مُزْدَوِجِينَ<sup>(٢)</sup> ذَكَرًا وَأُنْثَى.

وقيل: معناه: أنواعًا في ألوانكم وصوركم وألستكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ﴾ (٩) أي: راحة لكم.

وقيل: معناه قطعًا للأعمال والتصرف، والسَّبْتُ: القطع.

وقيل: معناه: مَوْتًا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تُلْبَس؛ لأنه يَسْتَر<sup>(٣)</sup> عن العيون.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تُطَلَّب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف

تقديره: ذا معاش.

وقال الزمخشري: معناه يُعَاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة

(١) في ب، د: «وجه».

(٢) في ج: «من زوجين».

(٣) في أ، هـ: «ستر».

السُّبَّاتِ الَّذِي بِمَعْنَى الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: السموات.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس، والوهَّاج: الوَقَادُ الشَّدِيدُ الإِضَاءَةِ.

وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لَهَبِهِ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ يعني: المطر.

و﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: هي السحاب، وهو مأخوذ:

من الْعَصْر؛ لأن السحاب تنعصر فيتزل منها الماء.

أو من الْعُصْرَةِ؛ بمعنى الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وقيل: هي السماوات.

وقيل: هي الرياح.

والتَّجَّاج: السريع الاندفاع.

﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحب: هو القمح والشعير وسائر الحبوب،

والنبات: هو العشب.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: ملتفة، وهو جمع لُفٍّ بضم اللام، وقيل: بالكسر.

وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: في وقت معلوم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني: نفخة القيام من القبور.

(١) الكشف (١٦/٢٤٤).

﴿فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: تفتح فيكون فيها شقاق كالأبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي: حُمِلت.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها.

والسراب في اللغة: ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه به في أنه لا شيء.

﴿مِرْصَادًا﴾ أي: موضع الرُّصد، والرُّصد: هو الارتقَاب والانتظار؛ أي: تنتظر الكفار ليدخلوها.

وقيل: معناه: طريقًا للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم.

﴿مَنَابًا﴾ أي: مرجعًا.

﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ﴿٣٣﴾ جمع حِقْبَة أو حَقَب<sup>(١)</sup>، وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة.

وقيل: إنها محدودة، ثم اختلف في مقدارها:

فروي عن النبي ﷺ أنها ثلاثون ألف سنة<sup>(٢)</sup>.

(١) في المحرر الوجيز (٥١٧/٨): «جمع حُقْب بضم الحاء وفتح القاف، وحَقَب بكسر الحاء، وحُقْب بضمها وضم القاف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٩٥/٩) من حديث أبي أمامة، وقال: «بسند ضعيف».

وقال ابن عباس : ثمانون سنة .

وقيل : ثلاث مئة سنة .

وعلى القول بالتحديد : فالمعنى : أنهم يبقون فيها أحقاباً ، كلما انقضى  
حقبٌ جاء آخر إلى غير نهاية .

وقيل : إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ، ثم نسخ بقوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ  
نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ١٥ ﴾ ، وهذا خطأ ؛ لأن الأخبار لا تُنسخ .

وقيل : هي في عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ، وهذا خطأ ؛  
لأنها في الكفار لقوله : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ .

وقيل : معناها أنهم يبقون أحقاباً<sup>(١)</sup> لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، ثم  
يبدل لهم نوع آخر من العذاب .

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ أي : لا يذوقون برودةً تخفف عنهم حر النار .

وقيل : لا يذوقون ماء باردًا .

وقيل : البرد هنا النوم .

والأول أظهر .

﴿ إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا ١٦ ﴾ استثناء من الشراب ، وهو متصل .

والحميم : الماء الحار .

(١) في أ ، هـ : «أحياناً» .



والغساق: صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة «داود»<sup>(١)</sup>.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: موافقًا أعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاءهم النار.  
و﴿وَفَاقًا﴾:

مصدر وصف به.

أو هو على حذف مضاف تقديره: ذا وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر<sup>(٢)</sup>.  
﴿كَذَّابًا﴾ بالتشديد: مصدر بمعنى تكذيب.

وبالتخفيف: بمعنى:

الكذب.

أو المكاذبة؛ وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية»<sup>(٣)</sup>.

.....

(١) انظر (٣/٧٢٥).

(٢) انظر (٢/٥٣٩)، (٣/٣٣٢).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/١١٧).

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾].

﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز، يعني: الجنة.

﴿حَدَائِقَ﴾ أي: بساتين.

﴿وَكوَاعِبَ﴾ جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها.

﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: على سن واحد<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ﴿٣٤﴾ أي: ملأى.

وقيل: صافية.

والأول أشهر.

﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: كافيًا، مِنْ أَحْسَبِهِ الشَّيْءُ: إذا كفاه.

وقيل: معناه: على حسب أعمالهم.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة.

وبالخفض صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

و﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالخفض: صفة.

(١) في ب: «واحدة».

وبالرفع : خبر المبتدأ ، أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية : الضمير للكفار ؛ أي : لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن يكون المعنى : لا يقدرّون أن يخاطبهم كقوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ .

وقال الزمخشري : الضمير لجميع الخلق ؛ أي : ليس بأيديهم شيء من خطاب الله<sup>(٢)</sup> .

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل : هو جبريل .

وقيل : ملك عظيم يكون هو وحده صفًا ، والملائكة صفًا .

وقيل : يعني : أرواح بني آدم ، فهو اسم جنس .

و﴿يَوْمَ﴾ يتعلق :

بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ .

أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ .

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح ؛ أي : تمنعهم الهيبة من الكلام<sup>(٣)</sup> إلا بعد أن يأذن الله لهم ، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا .

(١) المحرر الوجيز (٥٢٣/٨) .

(٢) الكشف (٢٥٨/١٦) .

(٣) في ب : «كلام الله» .

وقيل : الضمير للناس خاصة ، والصواب المشار إليه : قول : « لا إله إلا الله » ؛ أي : من قالها في الدنيا .

﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ أي : الحق وجوده ووقوعه .

﴿ فَمَنْ شَاءَ ﴾ تحضيض وترغيب .

﴿ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعني : عذاب الآخرة ، ووصفه بالقرب :

لأن كل آت قريب .

أو لأن الدنيا على آخرها .

﴿ يَوْمَ يُنْظَرُ أَلَمْزَةُ مَا قَدَمَتْ يَدَاهُ ﴾ المرء هنا : عموم في المؤمن والكافر .

وقيل : هو المؤمن .

وقيل : هو الكافر .

والعموم أحسن ؛ لأن كل أحد يرى ما عمل ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ الآية [الزلزلة : ٧] .

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثَنِي كُتُّ تَرَابًا ﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يحاسب

ولا يجازى .

وقيل : تمنى أن يكون في الدنيا ترابًا ؛ أي : لم يخلق .

وروي أن البهائم تحشر ؛ ليقْتَصَّ لبعضها من بعض ، ثم تُرَدُّ ترابًا ، فيتمنى

الكافر أن يكون مثلها ، وهذا يقوِّي الأول .

وقيل : الكافر هنا : إبليس ، يتمنى أن يكون<sup>(١)</sup> من تراب ، مثل آدم وذريته ؛  
لما رأى ثوابهم ، وقد كان احتقر التراب في قوله : ﴿ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ  
طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] .

.....

---

(١) في د زيادة : «يوم القيامة» .

## ﴿ سورة النازعات ﴾

[ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا ② وَالسَّيْحَاتِ سَبَاحًا ③ فَالَسَّيْفَاتِ سَبَاقًا ④ فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّالِجَةُ ⑥ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ أَوَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩ أَيْدَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةٌ ⑪ قَالُوا نَلَاكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑫ فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭ هَلْ أُنْتِكَ حَدِيثٌ مُوسَى ⑮ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ⑯ أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَعَنَ ⑰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَنِي ⑱ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِنِي ⑲ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى ⑳ فَكَذَّبَ وَعَصَى ㉑ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ㉒ فَحَشَرَ فَنَادَى ㉓ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ㉔ فَأَمَدَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ㉕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ] .

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمديرات :

ف قيل : إنها الملائكة .

وقيل : النجوم .

فعلى القول بأنها الملائكة :

سماهم نازعات ؛ لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادهم <sup>(١)</sup> .

(١) في ب، ج، د : «أجسادها» .

وناشطات؛ لأنهم يَنشطونها؛ أي: يُخرجونها، فهو من قولك: نَشَطْتُ الدلوَ من البئر: إذا أخرجتها.

وسابحات؛ لأنهم يَسبحون في سيرهم؛ أي: يسرعون، فيسبقون، فيدبّرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله. وعلى القول بأنها النجوم:

سماها نازعات؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب.

وناشطات؛ لأنها تَنشط من برج إلى برج.

وسابحات؛ لأنها تسبح في الفلك، ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فتسبق في جريها، فتدبّر أمرًا من علم الحساب.

وقال ابن عطية: لا أعلم خلافاً أن ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة<sup>(١)</sup>. وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل في النازعات والناشطات: إنها النفوس، تنزع من معنى النزاع بالموت، فتَنشط من الأجساد.

وقيل في السابحات والسابقات: إنها الخيل، وإنها السفن.

﴿غَرَقًا﴾ إن قلنا: إن النازعات الملائكة: ففي معنى ﴿غَرَقًا﴾ وجهان:

أحدهما: أنه من الغرق؛ أي: تغرق الكفار في جهنم.

(١) المحرر الوجيز (٥٢٧/٨).

(٢) الكشف (٢٦٤-٢٦٧).

والآخر: أنه من الإغراق في الأمر، بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد.

وإن قلنا: إن النازعات النجوم: فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله.

وإن قلنا: إنها النفوس: فهو أيضاً من الإغراق؛ أي: تغرق في الخروج من الجسد.

وإعراب:

﴿غَرَقًا﴾ مصدر في موضع الحال.

و﴿نَشَطًا﴾ و﴿سَبَحًا﴾ و﴿سَبَقًا﴾: مصادر.

و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به.

وجواب القسم: محذوف، وهو بعث الموتى، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ﴾ (٧) على تقدير حذف لام التأكيد<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٢١) وهذا بعيد؛ لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون، لا لمعنى القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ﴾ قيل: الراجفة: النفخة الأولى في الصور، والرادفة: النفخة الثانية؛ لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من

(١) كأنه قال: «ليوم». المحرر الوجيز (٥٢٨/٨).



قولك : رَدَفْتُ الشيءَ : إذا تبعته ، وفي الحديث : «إن بينهما أربعين عامًا»<sup>(١)</sup> .

وقيل : الراجفة : الموت ، والرادفة : القيامة .

وقيل : الراجفة : الأرض ، من قوله : ﴿ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ [المزمل : ١٤] ، والرادفة : السماء لأنها تنشق يومئذ .

والعامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ محذوف ، وهو الجواب المقدر ، تقديره : «التبعثن يوم ترجف الرجفة» .

وإن جعلنا : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الجواب : فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ معنى قوله : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> ، ويكون : ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾<sup>(٧)</sup> في موضع الحال . ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَتَّبِعُهَا﴾ .

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> أي : شديدة الاضطراب ، والوجيف والوجيب بمعنى واحد .

وارتفع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء ، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ خبره .

وقال الزمخشري : ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة ، والخبر : ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾<sup>(٩)</sup> كناية عن الذل والخوف .

وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز ، والتقدير : قلوبُ أصحابها<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦/٢٤) .

(٢) الكشف (٢٧٢/١٦) .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، ولعله سبق قلم ، والصواب : «أبصارُ أصحابها» . الكشف (٢٧٢/١٦) .

﴿يَقُولُونَ أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظْمًا تَنَحَّرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا .

ومعناه على الجملة : إنكار البعث ، فالهمزة في قولهم : ﴿أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار ، ولذلك اتفق القراء على قراءته بالهمزتين ، إلا أن منهم من سهّل الثانية ومنهم من حققها .

واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ :

فمنهم من قرأه بهمزة واحدة ؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار .

ومنهم من قرأه بهمزتين ؛ تأكيداً للإنكار المتقدم .

ثم اختلف في معنى ﴿الْحَافِرَةِ﴾ على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها الحالة الأولى ، يقال : «رجع فلان في حافرته» : إذا رجع إلى حاله الأولى ، فالمعنى : أننا لمردودون إلى الحياة بعد الموت ؟

والآخر : أن الحافرة : الأرض ، بمعنى محفورة ، فالمعنى : أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور ؟

والثالث : أن الحافرة : النار .

والعظام التَّنَحَّرَةُ : البالية المتفتنة<sup>(١)</sup> .

وقرئ ﴿تَنَحَّرَةً﴾ باللف ، ويحذف الألف ، وهما بمعنى واحد ؛ إلا أن حذف الألف أبلغ ؛ لأن «فَعِلٌ» أبلغ من «فَاعِلٌ» .

(١) في ب ، ج ، د : «المتفتنة» .

وقيل : معناه : العظام المجوفة التي تمر<sup>(١)</sup> بها الريح فيسمع لها نخير .

والعامل في ﴿إِذَا كُنَّا﴾ محذوف ، تقديره : إذا كنا عظاماً نبعث ؟

ويحتمل أن يكون العامل فيه : ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ، ولكن إنما يجوز هذا على قراءة ﴿إِذَا كُنَّا﴾ بهمزة واحدة على الخبر ، ولا يجوز على قراءته بهمزتين ؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها .

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢) الكرة : الرجعة .

والخاسرة : منسوبة إلى الخسران ، كقوله : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) [الحاقة : ٢١] ؛ أي : ذات رضا ، أو معناه : خاسر أصحابها .

ومعنى هذا الكلام : أنهم قالوا : إن كان البعث حقاً فكرتنا خاسرة ؛ لأننا ندخل النار .

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني : النفخة في الصور للقيام من القبور .

وهذا من كلام الله تعالى ؛ ردّاً على الذين أنكروا البعث ، كأنه يقول : لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير ، فإنما يُنفخ<sup>(٢)</sup> في الصور نفخة واحدة فيقوم الناس من قبورهم .

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية ، والساهرة : وجه الأرض ، والباء : ظرفية .

والمعنى : إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء .

(١) في أ ، هـ : «يمر» .

(٢) في أ ، هـ : «تنفخ» .

﴿هَلْ أُنْتُكَ﴾ توقيفٌ وتنبيه، وليس المراد به مجرد الاستفهام.

﴿طَوَى﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكِي﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والردائل.

وقال بعضهم: ﴿تَزْكِي﴾: تُسَلِّم.

وقيل: تقول: «لا إله إلا الله».

والأول أعم.

﴿فَأَرْسَلْنَا آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿١٢﴾ ﴿قلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء.

وجعلهما واحدة؛ لأن الثانية تبع للأولى.

ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَذِرْ يَنْعَى﴾ ﴿١٣﴾ الإدبار: كناية عن إعراضه عن الإيمان.

و﴿يَنْعَى﴾ عبارة عن جدّه في الكفر، وفي إبطال أمر موسى عليه السلام.

وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفرّ من مُجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعباناً.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته.



﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَنَكهَا فَسَوَّيَهَا ﴿١٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالُ أَوْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعِمِكُمْ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَوُزِّيَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَبْوَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَنًا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٣٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرْؤِنَهَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِشَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٣٦﴾﴾].

﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فناها.

﴿رَفَعَ سَنَكهَا﴾ السَّمَك: غَلَطَ السماء، وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها.

ومعنى رَفَعِهِ: أنه جعله مسيرة خمس مئة عام.

وقيل: السَّمَك: السقف.

﴿فَسَوَّيَهَا﴾ أي: أتقن خِلَقَتَهَا.

وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مظلماً، يقال: غَطَشَ الليل: إذا أظلم، وأغطشه الله.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى.

وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث إنهما ظاهران منها وفيها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٢٥) أي: بسطها.

واستدل بها من قال: إن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة.

وقد ذكرنا في «فصلت» الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١١]<sup>(١)</sup>.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٢٦) نسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ لأنهما يخرجان منها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَخْرَجَ﴾ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسير لما قبلها، قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٢٧) أي: أثبتها.

ونصبُ ﴿الْجِبَالَ﴾ بفعل مضمَر يدل عليه الظاهر، وكذلك ﴿وَالْأَرْضَ﴾.

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعًا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر.

﴿الطَّائِفَةُ﴾ هي القيامة.

وقيل: النفخة الثانية.

واشتقاقها من قولك: طمَّ الأمرُ: إذا علا وغلب.

(١) انظر صفحة ٩.

(٢) الكشف (١٦/٢٨١-٢٨٢).

﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن بَرَىٰ﴾ (٣١) ﴿أَي: أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة «الرحمن»<sup>(١)</sup>.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ردّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة.

قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه.

وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿أَيَّانَ مَرْسَنَهَا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أي: من ذكر<sup>(٣)</sup> زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى»<sup>(٤)</sup>.

﴿إِلَّا رَبَّكَ تُنَبِّئُهَا﴾ أي: منتهى علمها، لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَهَا﴾ (٤٤) ﴿أَي: إنما بعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها.

وخصّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَهُ لَيْلَتُهَا إِلَّا عِيشَةً أَوْ ضَحَا﴾ (٤٦) ﴿أخبر أنهم إذا رأوا الساعة

(١) انظر: (٢٧٥).

(٢) انظر: (٤٢٤/٢).

(٣) في ب: «ذكرى».

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٢٣/١٠).



ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم.  
وأضاف الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما في يوم  
واحد.

## ﴿ سورة عبس ﴾

[﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ بُرُكٌ ③ أَوْ يُدْرِكُ فَنَنْفَعُهُ ④ الذِّكْرَى ⑤ أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى ⑥ فَآتَتْهُ لَمْ تَصِدْ ⑦ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بُرُكٌ ⑧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑨ وَهُوَ يَحْشَى ⑩ فَآتَتْهُ عَنْهُ لَلَّغَى ⑪ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑫ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ⑬ فِي مَضْجِرٍ مُكْرَمَةٍ ⑭ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ⑮ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑯ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ⑰ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ⑱ مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ ⑲ مِنْ تُلْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ⑳ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ㉑ ثُمَّ أَمَانَهُ فَآفَرَهُ ㉒ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ㉓ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ㉔ فَلِنُظَرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ㉕ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ㉖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ㉗ فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا ㉘ وَعَبْنَا وَقَضَا ㉙ وَزَيَّنَّا وَنَحَلًا ㉚ وَحَدَّائِنَا ㉛ غَلَا ㉜ وَفَكَهَهُ وَأَبَا ㉝ مَتَّبِعَا لِكُرٍّ وَلِتَنْمِيزَا ㉞ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاقَةُ ㉟ يَوْمَ يَفِرُّ الْآزِفُ مِنْ أَحِبِّهِ ㊱ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ㊲ وَصَحْبَيْهِ وَبَنِيهِ ㊳ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ㊴ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ㊵ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ㊶ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ㊷ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ㊸ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ㊹ ] .

سبب نزول صدر هذه السورة : أن رسول الله ﷺ كان حريضًا على إسلام قريش ، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا ، فيسلم بإسلامهم غيرهم ، فبينما هو يومًا مع رجل من عظمائهم ، قيل : هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : عتبة بن ربيعة ، وقيل : أمية بن خلف ، وقال ابن عباس : كانوا جماعة = إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، فقال : يا رسول الله علمني مما

علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى لكلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه<sup>(٢)</sup>، وقد استخلفه على المدينة مرتين.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ① أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه.

قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار<sup>(٤)</sup>.

وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، وهذا أحسن.

﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ② في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ ﴿تَوَلَّى﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾.

وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى؛ ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره. وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يُشهرُ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٣/٢٤).

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٨٠٥٣) من قول سفيان الثوري، ولم أقف على إسناده.

(٣) المحرر الوجيز (٥٣٦/٨).

(٤) الكشف (٢٩١/١٦).

صاحبُها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يَذْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يُطلعك على حال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّكَ بَرْئٌ﴾ أي: يتطهر ويتنفع في دينه بما يسمع منك.  
﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ ٥ ﴿فَأَن تَصَدَّقَ﴾ ٦ ﴿أَي: تتعرض<sup>(١)</sup> للغني؛ رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا بَرَّكَ﴾ ٧ ﴿أَي: لا حرج عليك إذا<sup>(٢)</sup> لا يتزكى هذا الغني.  
﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ سَعًى﴾ ٨ ﴿إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم.  
ومعنى ﴿سَعًى﴾: يسرع في مشيه؛ من حرصه على طلب الخير.  
﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ٩ ﴿أَي: يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذايتهم له على إتيانك.

وقيل: جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع، وهذا ضعيف.  
﴿فَأَن تَعَنَّيَ﴾ ١٠ ﴿أَي: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لهيئتُ عن الشيء: إذا تركته.

وروي أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يُعرض بعدها عن فقير ولا تعرّض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

(١) في أ، ج، هـ: «يتعرض».

(٢) في أ، ب: «إذا».

﴿كَلَّا﴾ ردُّعٌ عن معاودة ما وقع العتاب فيه .

﴿إِنِّهَا تَذَكُّرٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن هذا الكلام المتقدم تذكرةٌ ؛ أي : موعظة للنبي ﷺ .

والآخر : إن القرآن تذكرة لجميع الناس ، فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح ؛ لأنه يناسبه : ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ ، وما بعده .

وأنت الضمير في قوله : ﴿إِنِّهَا تَذَكُّرٌ﴾ على معنى : القصة ، أو الموعظة ، أو السورة ، أو القراءة .

وذكَّره في قوله : ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ على معنى : الوعظ ، أو الذكر ، أو القرآن .

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لـ ﴿تَذَكُّرٌ﴾ ؛ أي : ثابتة في صحف ، وهي الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ .

وقيل : هي مصاحف المسلمين .

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف : فمعناه مرفوعة المقدار .

وإن كان صحف الملائكة : فمعناه :

كذلك .

أو مرفوعة في السماء .

﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي : منزَّهة عن أيدي الشياطين .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة .

والسَّفَرَة: جمع سافر؛ وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف.

وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عباده.

وقيل: يعني: القراء من الناس.

والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»<sup>(١)</sup>، أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ دعاء عليه؛ على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ.

ومعناه: تقبيح حاله، وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك.

وقيل: معناه: لعين، وهو بعيد.

﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ تعجب<sup>(٢)</sup> من شدة كفره، مع أنه يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ يعني: المنى.

ومقصد الكلام: تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه.

﴿فَقَدَرَهُ﴾ أي: هياه لما يصلح له، ومنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

[الفرقان: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) في أ: «تعجب».

وقيل : معناه : جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك .

﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُ﴾ نصب ﴿السَّيْلَ﴾ بفعل مضمر فسره ﴿يَسْرُهُ﴾ .

وفي معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : يسر سبيل خروجه من بطن أمه .

والآخر : أنه سبيل الخير أو الشر ، كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان : ٣] .

الثالث : سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان .

والأول أرجح ؛ لعطفه على قوله : ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (١١) ، وهو قول ابن عباس .

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ (١٢) أي : جعله ذا قبر ، يقال : قَبِرْتُ الميت : إذا دفنته ، وأقبرته : إذا أمرت أن يُدفن .

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (١٣) أي : بعثه من قبره ، يقال : نَشَرَ الميت : إذا قام ، وأنشره الله .

والإشارة بـ ﴿إِذَا شَاءَ﴾ ليوم القيامة ، أي : الوقت الذي قَدَّرَ أَنْ يَنْشُرَهُ فيه .  
﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه .

﴿لَمَّا يَبْضِ مَآ أَمْرُهُ﴾ أي : لم يقض الإنسان - على تطاول عمره - ما أمره الله .

قال بعضهم : لا يقضي أحدًا أبدًا جميع ما افترض الله عليه ؛ إذ لا بدُّ للعبد من تفريط .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (١) أمرٌ بالاعتبار في الطعام ؛ كيف خلقه الله بقدرته ، ويسره برحمته ، فيجب على العبد طاعته وشكره ، ويقبُح معصيته والكفر به .

وقيل : فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيحًا ؛ فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه .

والأول أشهر وأظهر في معنى الآية ، على أن القول الثاني صحيح .  
وانظر كيف فسره بقوله : ﴿ إِنَّا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ وما بعده ؛ ليعدّد النعم ويظهر القدرة .

وقرئ ﴿ أَنَا صَبَّيْنَا ﴾ بفتح الهمزة ؛ على البدل من الطعام .

﴿ شَقَقْنَا الْأَرْضَ ﴾ يعني : بخروج النبات منها .

﴿ حَبًّا ﴾ يعني : القمح والشعير وسائر الحبوب .

﴿ وَقَضَّا قِیلَ ﴾ قيل : هي الفِضْفِصَة (١) .

وقيل : علف البهائم .

واختار ابن عطية : أنها البقول وشبهها مما يؤكل رَطْبًا (٢) .

(١) هي نبات كالبرسيم . المعجم الوسيط .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤١) .



﴿عَلَّا﴾ أي: غليظة ناعمة.

﴿وَأَبَا﴾ الأب: المرعى عند ابن عباس والجمهور.

وقيل: التَّيْنُ<sup>(١)</sup>.

وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿الْفَاصَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صَحَّ الْآذَانُ: إذا أصمَّها بشدة صياحه، فكأنه إشارة:

إلى النفخة في الصور.

أو إلى شدة الأمر حتى يَصِحُّ<sup>(٢)</sup> من يسمعه؛ لصعوبته.

وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث: إذا استمعه.

والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْرُّءُوسُ مِنْ أَجْنِهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه، ورتبهم على ترتيب الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره؛ وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه.

وقيل: إن فراره منهم؛ لثلا يطالبوه بالتَّيْبَعَاتِ.

والأول أرجح وأظهر؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره،

(١) في ج، د: «التين» بالياء، والمثبت هو الصواب، كما في تفسير الثعلبي الكشاف والبيان (١٠/١٣٣).

(٢) في د: «يصم».

وانظر قول الأنبياء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يومئذ: «نفسى نفسى»<sup>(١)</sup>.

﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ مُسِفَةً﴾ (٢٨) ﴿أَي: مضيئة من السرور، وهو من قولك: أسفر الصبح: إذا أضاء.﴾

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار.

والقترة أيضًا: الغبار.

فقال ابن عطية: الغبرة: هي من العبوس والكرب، كما يعتري وجه المهموم والمريض، والقترة: هي غبار الأرض<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: الغبرة: غبار يعلوها، والقترة: سواد، فيعظم قبحها<sup>(٣)</sup> باجتماع الغبار والسواد<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥٤٣/٨).

(٣) في ج: «قبحهم».

(٤) الكشف (٣٠٣/١٦).

## ﴿ سورة التكوير ﴾

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير .

[ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلَا أَقِيمُ بِالْخَيْسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ⑯ وَالْإِيلَ إِذَا عَسَّسَ ⑰ وَالصُّنُجُ إِذَا نَفَّسَ ⑱ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ㉑ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمَلِيحِينَ ㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉕ فَاتَّبِعْ نَذْرَهُ ㉖ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉗ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ㉘ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ㉙ ] .

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① ﴾ ابن عباس : ذهب ضوءها فأظلمت .

وقيل : رمي بها .

وقيل : اضمحلت .

وأصله من تكوير العمامة ؛ لأنها إذا لُفَّت زال انبساطها وصغر جرمها .

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: تساقطت من مواضعها.

وقيل: تغيرت.

والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْشَرَّتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ٢].

وروي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم؛ ليراها من عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٤﴾ أي: حُمِلت، وبعد ذلك نُفَتْ<sup>(١)</sup> فتصير هباء ثم تتلاشى.

﴿وَإِذَا الْعُشُورُ عُطِّلَتْ ۝٥﴾ العشار: جمع عُشراء، وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفُس ما عند العرب وأعزُّها، فلا تُعْطَل إلا من شدة الهول.

وتعطيلها: هو تركها مسيبة، أو ترك حلبها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٦﴾ أي: جُمِعت، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة، ليقْتَصَرَ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا.

والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة، قاله ابن عباس، وقال: إنها لا تُبعث، وإنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن.

والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفرُّ في الأرض، فذلك حشرها.

(١) في ب: «نفتت»، وفي د: «نفتت».

﴿وَإِذَا أَلْحَارَ سُجِرَتْ ⑥﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : ملئت وفجّر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا .

والآخر : ملئت نيرانًا ؛ لتعذيب أهل النار .

والثالث : فرّغت من مائها ويّست .

وأصله : من سجّرتُ التنور : إذا ملأته .

فالقول الأول والثاني : أليق بالأصل .

والأول والثالث : موافق لقوله : ﴿فُجِرَتْ ⑦﴾ [الانفطار : ٣] .

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن التزويج بمعنى التنويع ؛ لأن الأزواج هي الأنواع ، فالمعنى : جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن .

والآخر : زوّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين .

والثالث : زوجت الأرواح والأجساد ؛ أي : رُدّت إليها عند البعث .

والأول هو الراجح ؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> ، وعن عمر بن الخطاب وابن عباس .

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّمَتْ ⑧﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ ﴿المؤودة: هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ، ومن غيرته عليها ، فتُسأل يوم القيامة : ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑩﴾ على وجه التوبيخ لقاتلها .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٠) .

وقرأ ابن عباس: «وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سَأَلَتْ» - بفتح السين والهمزة - «بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» - بضم القاف وسكون اللام وضم التاء - .

واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم .

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ (١٠) هي صحف الأعمال، تنشر ليقرأ كل أحد كتابه .

وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالآيمان والشمائل بالجزاء .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ (١١) الكَشَطُ: هو التقشير، كما يُكشط جلدة الشاة حين تسلخ .

وكشط السماء: هو طيها كطي السجل، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup> .

وقيل: معناه كُشِفَتْ، وهذا أليق بالكشط .

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ﴾ (١٢) أي: أوقدت وأحميت<sup>(٢)</sup> .

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ ۖ﴾ (١٣) أي: قربت .

﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ (١٤) هذا جواب ﴿إِذَا﴾ المكررة في المواضع قبل هذا .

ومعناه: علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم .

(١) المحرر الوجيز (٨/٥٤٨) .

(٢) في أ، هـ: «وحميت» .

قال ابن عطية: إنما أفردتها؛ لبيان حقارتها وذلتها<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير، وكذلك هنا معناه: أعم المجموع<sup>(٢)</sup>.

و﴿مَا أَخَصَّرْتُ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره<sup>(٣)</sup>.

﴿يَلْغُظُ﴾ (٥) الْجَوَارِ الْكُنْسُ يعني: الدراري السبعة، وهي الشمس والقمر وزُحَلْ وَعُطَارْد والمريخ والزُّهْرَة والمشتري.

وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها؛ أي: تتقهقر، فيكون النجم في البرج ثم يكرُّ راجعاً.

وهي جوارى في الفلك.

وهي تَكْنَسُ<sup>(٤)</sup> في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كَنَسَ الوحشي: إذا دخل كِنَاسَه، وهو موضعه.

وقيل: يعني: الدراري الخمسة؛ لأنها تستتر بضوء الشمس.

وقيل: يعني: النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها، وتكنس بالنهار؛

(١) المحرر الوجيز (٨/٥٤٩).

(٢) الكشف (١٦/٣١٣-٣١٤).

(٣) انظر صفحة ٢٩٧.

(٤) في أ، هـ: «تكنس».

أي : تستتر ، وتخفى بضوء الشمس .

وقيل : يعني : بقر الوحش ، ﴿الْخُنُسِ﴾ على هذا : من خُنَسِ الأنف ،  
و﴿الْكُنَسِ﴾ من سُكْنَاهَا فِي كِنَاسِهَا .

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾ يقال عسَّس الليل : إذا كان غير مستحكم الظلام :

ف قيل : ذلك في أوله .

وقيل : في آخره ، وهذا أرجح ؛ لأن آخر الليل أفضل<sup>(١)</sup> ، ولأنه أعقبه  
بقوله : ﴿وَالضُّحَىٰ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي : استطار واتسع ضوؤه .

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن .

والرسول الكريم : جبريل .

وقيل : محمد ﷺ .

قال السهيلي : لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ ؛ لأن الآية نزلت في الرد  
على الذين قالوا : إن محمداً قال القرآن ، فكيف يخبر الله أنه قوله ؟ ، وإنما  
أراد جبريل ، وأضاف القرآن إليه ؛ لأنه جاء به ، وهو في الحقيقة قول الله  
تعالى<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم ؛ فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ ؛ لأنه تلقاه  
عن جبريل ﷺ ، وجاء به إلى الناس .

ومع ذلك فالأظهر : أنه جبريل ؛ لأنه وصفه بقوله : ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وقد وصف

(١) في هامش ب صححت : «أضوأ» .

(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص : ٣٦٥) .



جبريل بهذا في قوله: ﴿عَلَّمَهُ سَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥ - ٦].

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بـ ﴿ذِي قُوَى﴾.

وقيل: بـ ﴿مَكِينٍ﴾، وهذا أظهر.

والمكين: الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب.

﴿مُطَاعٍ نَمَّ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله، وهو قوله: ﴿عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: مطاع في ملائكة ذي العرش.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ هو محمد ﷺ باتفاق.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل: لمحمد ﷺ، وضمير المفعول:

لجبريل عليه السلام.

وهذه الرؤية: هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض.

وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدره المنتهى في الإسراء.

ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي أنه كان في الشرق<sup>(١)</sup> من حيث

تطلع الشمس، وأيضاً فكل أفق فهو مبين.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝﴾ الضمير للنبي ﷺ.

ومن قرأ بالضاد: فمعناه بخيل؛ أي: لا يَبْخُلُ بأداء ما أُلْقِيَ إليه من

الغيب، وهو الوحي.

ومن قرأ بالظاء: فمعناه متهم؛ أي: لا يُتَّهَمُ على الوحي، بل هو أمين

عليه.

(١) في أ، هـ: «المشرق».

ورجّح بعضهم هذه القراءة: بأن الكفار لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ سَيُطْلَنَ رَجِيمٌ ٢٥﴾ الضمير للقرآن.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦﴾ خطابٌ لكفار قريش؛ أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق.

وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم<sup>(١)</sup>.



(١) انظر الصفحات ٤٦٤، ٥٤٧، ٥٧٣.

## ﴿سورة الانفطار﴾

[﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَتْ ② وَإِذَا الْإِلَآءُ فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِظَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتِ وَأَخَّرْتِ ⑤ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَنِينِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ⑮ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ⑰ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ⑱ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ⑲ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑳﴾].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ①﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَتْ ②﴾ أي: سقطت من مواضعها.

﴿وَإِذَا الْإِلَآءُ فُجِرَتْ ③﴾ أي: فرغت.

وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلطت.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِظَتْ ④﴾ أي: نُبِشت عن الموتى الذين فيها.

وقال الزمخشري: أصله من البعث والبعث فضمت إليها الراء، والمعنى: بُحِث وأُخرج موتاها<sup>(١)</sup>.

﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ۖ﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس جميع أعمالها.

وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة<sup>(١)</sup> سنتها أو وصية أوصت بها.

وأفردت النفس والمراد بها العموم حسبما ذكرنا في «التكوير»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ خطاب لجنس بني آدم.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، معناه: أي شيء غرَّك بربك حتى كفرت به، أو عصيته، أو غفلت عنه؟

فدخل في العتاب: الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال: «غرَّه جهله»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر: «غرَّه جهله وحمقه»، وقرأ: ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْيًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقيل: غرَّه الشيطان المسلط عليه.

وقيل: غرَّه ستر الله عليه.

(١) في أ، هـ: «حسنة».

(٢) انظر صفحة ٦١٧.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٤٦/١٠).

وقيل : غرّه طمعه في عفو الله عنه .

ولا تعارض بين هذه الأقوال ؛ لأن كل واحد منها مما يغرّ الإنسان ، إلا أن بعضها يغرّ قومًا وبعضها يغرّ قومًا آخرين .

فإن قيل : ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟

فالجواب : أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع ؛ شكرًا لإحسانه ومقابلةً لكرمه ، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة<sup>(١)</sup> وأضاع الشكر الواجب .

﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف ؛ أي : عدّل أعضائك وجعلها متوازنة<sup>(٢)</sup> ، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ، ولا إحداهما كحلاء والأخرى زرقاء ، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضه<sup>(٣)</sup> أسود ، وشبه ذلك من الموازنة .

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ ، و﴿مَا﴾ زائدة .

والمعنى : ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة<sup>(٤)</sup> ، وغير ذلك من اختلاف الصور .

ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره : ركبك حاصلًا في أي صورة .

(١) في ب ، د : «بالنعمة» .

(٢) في أ ، هـ : «متوازنة» .

(٣) في ج : «وبعضها» .

(٤) في ب : «والذكورية والأنوثة» .

وقيل : يتعلق بـ ﴿عَذْلَكَ﴾ على أن يكون بمعنى صرفك ؛ أي : صرفك إلى أي صورة شاء ، وهذا بعيد ، ولا يتمكن إلا مع قراءة ﴿عَذْلَكَ﴾ بالتخفيف .  
﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل ، أو التكذيب المذكور بعد .

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ هذا خطاب للكفار .

والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة ، أو الحساب ، أو الجزاء .  
﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ يعني : الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم .  
﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال بمشاهدتهم لها .

وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب :  
فقليل : إن الله ينفرد بعلم ذلك .

وقيل : إن الملك يجد لها ريبًا يدركها به .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان :  
المطابقة والترصيع .

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن معناه : لا يخرجون منها إذا دخلوها .

والآخر : لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها ؛ لأنهم يعرضون عليها غدواً وعشيا .

﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ تعظيم له وتهويل ، وكرره للتأكيد ، والمعنى :  
أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته .

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي : لا يقدر أحد على منفعة أحد .

وقرئ ﴿يَوْمَ﴾ :

بالرفع :

على البدل من ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾ .

أو على إضمار مبتدأ .

وبالنصب :

على الظرفية بإضمار فعل تقديره : يُجازون يوم الدين .

أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره : اذكر .

ويجوز أن يفتح ؛ لإضافته إلى غير متمكن ، وهو في موضع رفع .

## ﴿ سورة المطففين ﴾

[ وَبِئْلِ الْمُطَفِّينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ⑦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ⑧ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ⑨ وَبِئْ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ⑪ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ إِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمُ الْبُشَا قَالَ أَسْطِطُ الْآوِلِينَ ⑬ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُورُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ⑯ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ⑰ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ⑱ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ⑲ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ⑳ بِشْهَدَةِ الْمَقْرُورِ ㉑ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ㉒ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ㉓ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ㉔ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ㉕ خِتْمُهُمُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ㉖ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ㉗ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ㉘ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ㉙ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ㉚ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ㉛ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ㉜ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ㉝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ㉞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ㉟ هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ] .

﴿ وَبِئْلِ الْمُطَفِّينَ ﴾ التطفيف في اللغة: هو البخس والنقص، فسر به بذلك



الزمخشري<sup>(١)</sup>، واختاره ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

وقيل : هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان، واختاره ابن الفرس<sup>(٣)</sup>، وهو أظهر؛ لأن المراد به هنا : بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة : أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص<sup>(٤)</sup>، فالسورة على هذا مدنية.

وقيل : مكية؛ لذكر أساطير الأولين.

وقيل : نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٢) معنى ﴿أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ : قبضوا منهم بالكيل، فـ ﴿عَلَى﴾ بمعنى «مِنْ»، وإنما أبدلت منها؛ لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم.

ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، وقُدِّم المعمول لإفادة التخصيص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾ : ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال : خسر الرجل، وأخسره غيره؛ إذا جعله يخسر.

(١) الكشف (١٦/٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٣/٦١٣).

(٤) في أ : «بالناقص».

﴿كَالُوهُمْ﴾ معناه: كالوا لهم، و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرّ فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جرّ، يقال: كَلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد.

وحذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون.

والواو التي هي ضمير الفاعل: للمطففين.

و«هم» الذي هو ضمير المفعول: للناس.

فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يكال أو يوزن بخسوسهم<sup>(١)</sup> حقوقهم.

وقيل: إن «هم» في قوله: ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ تأكيد للضمير الفاعل.

وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على «كالوا» و«وزنوا» ثم يتدبّر «هم»؛ ليبين هذا المعنى، وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في «كالوا» و«وزنوا» فدلّ ذلك على أن «هم» ضمير المفعول.

والآخر: أن المعنى على هذا: أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشِر، ألا ترى أن ﴿أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم، و﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: دفعوا لهم؛ فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف

(١) في د: «بخسرونهم».

فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية: أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلبي، قال: وصدر الآية في المشتريين، فهم الذين يستوفون؛ أي<sup>(١)</sup>: يشاؤون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> في البائعين؛ فهم الذين يُخْسِرُونَ المشتري<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لِيَوْمٍ عَظِيمٍ<sup>(٤)</sup> يعني: يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين، وإنكار لفعلهم.

وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له: «اتق الله!»، وأوف الكيل، فإن المطففين يُوقَفُونَ يوم القيامة لعظمة الرحمن».

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> الظرف:

منصوب: بقوله: ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وقيل: بفعل مضمر.

أو بدل من ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك، حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة.

﴿كَلَّا﴾ ردع على التطفيف، أو افتتاح كلام.

﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجار: هو ما يكتب من أعمالهم.

(١) في د: «أو».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٥٨).

والفجار هنا يحتمل أن يراد به :

الكفار .

أو المطففين وإن كانوا مسلمين .

والأول أظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿وَلَّيْلٌ يَمُوزِلِلْمُكْذِبِينَ﴾ (١٥) .

و﴿يَمُوزِلِلْمُكْذِبِينَ﴾ : اسم علم منقول من صفة ، على وزن فَعِيل للمبالغة ، وقد عَظُم أمره بقوله : ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَمُوزِلِلْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) ، ثم فسره بأنه : ﴿كِتَبٌ مَرْقُومٌ﴾ (٩) أي : مسطورٌ بين الكتابة ، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار .

وهو مشتق من السَّجَن بمعنى الحبس :

لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم .

أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روي عن النبي ﷺ : «أنه في الأرض السفلى»<sup>(١)</sup> ، وروي عنه : «أنه في بئر هنالك»<sup>(٢)</sup> ، وحكى كعب عن التوراة : «أنه في شجرة سوداء هنالك»<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى الآية : أن عِدَاد<sup>(٤)</sup> الفجار في سجين ؛ أي : كُتِبوا هنالك في الأزل<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٧/٢٤) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٦/٢٤) .

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٥٢/١٠) .

(٤) في أ ، ب ، د : «عدد» ، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز .

(٥) المحرر الوجيز (٥٥٩/٨) .

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم، فصاروا لا يعرفون الرشيد من الغي.

وفي الحديث: «إن العبد إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنباً آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغطي، وهو الرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ حُجِبَ الكفار عن الله دليل على أن المؤمنين لا يُحجبون عنه، وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة. وتأولها المعتزلة أن معناها: محجوبون عن رحمته.

﴿إِنْ كُتِبَ الْأَبْرَارُ لَعْنِي عَلَيْهِمْ﴾ عَلِيُّونَ: اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْنَا﴾<sup>(٣)</sup>، ثم فسره بقوله: ﴿كُتِبَ مَرْفُومٌ﴾، وهو مشتق من العلو؛ لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: هو<sup>(٤)</sup> الجنة.

وارتفع ﴿كُتِبَ مَرْفُومٌ﴾ في الموضعين: على أنه خبر ابتداء مضمرة، تقديره: هو كتاب.

(١) انظر: (٢/٢٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٥٤/١٠).

(٤) في ب زيادة: «في».

وقال ابن عطية: ﴿كِتَبٌ مَّرْقُومٌ﴾ ﴿١﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والظرف <sup>(١)</sup> مُلَغًى <sup>(٢)</sup>. وهذا تكلفٌ يفسد به المعنى.

وقد روي في الأثر ما يفسر الآية، وهو «أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضى الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين» <sup>(٣)</sup>.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿١١﴾ يعني: الملائكة المقربين.

﴿الْأَرْبَابِ﴾ قد ذكر <sup>(٤)</sup>.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار» <sup>(٥)</sup>.

وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

﴿نَصْرَةَ الْعِيسَى﴾ أي: بهجته ورؤنقه، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية.

والخطاب في ﴿تَعْرِفُ﴾: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْفُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ الرحيق: الخمر الصافية.

والمختوم: قد فسرهُ الله بأن ختامه مسك.

(١) الذي هو ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾، و﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ١٥٣).

(٤) انظر (٢٦/٣)، (٦٤٤/٣).

(٥) ذكره المهدي في كتابه التحصيل (٥٥/٧)، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٥٥/١٠) من قول مقاتل.

وقرئ ﴿خَتَمُهُ﴾ بـالف بعد التاء، و﴿خَتَمُهُ﴾ بـالف بعد الخاء، وبفتح التاء وكسرها.

وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطابع عليه، فالمعنى: أنه خُتم على قم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من خُتم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته.

الثالث: أن معناه: مزاجه مسك؛ أي: يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء: هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه، والتزاحم عليه.

﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسم علم لعين في الجنة، يشرب منها<sup>(١)</sup> المقربون صرفاً، ويُمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب:

على المدح بفعل مضمر.

(١) في ب، د: «منه».

أو على الحال من ﴿تَسْنِمٍ﴾ .

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى : يشربها ، فالباء زائدة .

ويحتمل أن يكون بمعنى : «يشرب منها» ، أو كقولك : «شربت الماء بالعسل» .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿نزلت هذه الآية في صناديد قريش ، كأبي جهل وغيره ، مرَّ بهم علي بن أبي طالب عليه السلام وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ (٣٠) معنى ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾ : يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه .

والضمير في ﴿مَرُّوا﴾ يحتمل أن يكون : للمؤمنين أو للكفار .

والضمير في ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾ للكفار لا غير .

﴿فَكَهِنَ﴾ من الفكاهة ، وهي اللهو ؛ أي : يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم ، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن يريد : يتفكهون بنعيم<sup>(٢)</sup> الدنيا .

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (٣١) ﴿أي : إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال .

وقيل : إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال .

(١) الكشاف (٣٥١/١٦) .

(٢) في ج ، هـ : «بنعم» .



والأول أظهر وأشهر .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ أي : ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدتهم أو ضلالهم ، فكأنه قال : كلامهم بالمؤمنين<sup>(١)</sup> فضول منهم .

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) يعني : بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ؛ إذ تقدم ذكره ، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار ، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا .

﴿هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٥) معنى ﴿تُوِبَ﴾ : جوزي ، يقال : تُوِبَ وأثابه : إذا جازاه .

وهذه الجملة يحتمل :

أن تكون متصلة بما قبلها ، في موضع معمول ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، فتوصل مع ما قبلها .

أو تكون توقيفاً ، فيوقف قبلها ، ويكون معمول ﴿يَنْظُرُونَ﴾ محذوفاً ، حسبما ذكرنا في ﴿يَنْظُرُونَ﴾ الذي قبل هذا ، وهذا أرجح ؛ لاتفاق الموضعين .

(١) في ب : «في المؤمنين» .

## ﴿ سورة الانشقاق ﴾

[﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتَهُ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَى سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُمْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ⑭ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮ فَلَا أُفْسِمْ بِالشَّفَقِ ⑯ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ⑲ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ㉑ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ㉒ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ㉓ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉔ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ㉕. ]

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① ﴾ اختلف في هذا الانشقاق :

هل هو تشققها <sup>(١)</sup> بالغمام؟

أو انفتاحها أبواباً؟

وجواب ﴿ إِذَا ﴾ محذوف ؛ ليكون أبلغ في التهويل ؛ إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره .

(١) في ب : « انشقاقها » .

أو حذف للعلم به ؛ اكتفاء بما في سورة «التكوير» و«الانفطار» من الجواب .

وقيل : الجواب : ما دل عليه : ﴿فَلْيَقِ﴾ ؛ أي : إذا السماء انشقت لقي<sup>(١)</sup> الإنسان ربه .

وقيل : الجواب : ﴿أَذْنَتْ﴾ على زيادة الواو ، وهذا ضعيف .

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى ﴿أَذْنَتْ﴾ في اللغة : استمعت ، وهو عبارة عن طاعتها لربها ، وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها .

وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدّها وإلقاء ما فيها .

﴿وَحَقَّتْ﴾ أي : حُقَّ لها أن تسمع وتطيع لربها .

أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة .

وهذه الكلمة من قولهم : «هو حقيقٌ بكذا» ، أو «محقوقٌ به» ؛ أي : يجب عليه أن يفعله .

فالمعنى : يحقُّ على السماء أن تسمع وتطيع لربها ، أو يحق عليها أن تنشق .

ويحتمل أن يكون أصله : «حَقَّقْتُ» بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب ، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها ، ونقلت حركتها إلى الحاء .

(١) في ج ، هـ : «لأقَى» .

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ﴾ أي: زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقت ما في جوفها من الموتى، فخرجوا للحشر. وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة. ﴿وَحَلَّتْ﴾ أي: بقيت خالية مما كان فيها.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ﴾ خطاب للجنس.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة: هو الجد والاجتهاد والسرعة. فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛ لأن الزمان يطير<sup>(١)</sup>، وأنت في كل لحظة تقطع حطًا من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت، ثم تلاقي ربك.

وقيل: المعنى: إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر، ثم تلقى ربك فيجازيك به.

والأول أظهر؛ لأن ﴿كَادِحٌ﴾ تعدي بـ ﴿إِلَى﴾؛ لِمَا تَضَمَّنَ معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: «لربك».

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كِتَابَهُ يَسْمِينَهُ﴾ ذكر في «الحاقة»<sup>(٢)</sup>.

(١) في د: «يُذِير».

(٢) انظر صفحة ٤٧٢.

﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ◀ يحتمل أن يكون اليسير :

بمعنى قليل .

أو بمعنى هين سهل .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «من نوقش الحساب عُذِبَ»، فقالت عائشة : ألم يقل الله : ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) . فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك العرض ، وأما من نوقش الحساب فيهلك» (١)، وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ : «إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كفه عليه فيقول : فعلت كذا وكذا ، ويعدد عليه ذنوبه ، ثم يقول : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» (٢)، وروي أن رسول الله ﷺ قال : «من حاسب نفسه في الدنيا هوّن الله حسابه يوم القيامة» (٣) .

﴿وَنَقَلْنَا إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ◀ أي : يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله .

والأهل : زوجاته في الجنة من نساء الدنيا ، أو من الحور العين .

(١) أخرجه البخاري (١٥٥)، ومسلم (٢٨٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا ، ووجدته من قول عمر رضي الله عنه : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» ، أخرجه أحمد في الزهد (ص : ١٢٠) ، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص : ٢٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١٥٧/٢) .

ويحتمل أن يريد: قرابته من المؤمنين، وبذلك فسر الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْرَاقِ كِتَابٍ ظَهَرُوا﴾ (١٥) يعني: الكافر.

وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود، وكان من عتاة الكافرين. ولفظها أعم من ذلك.

فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتى كتابه ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿يُسْمَلِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره<sup>(٢)</sup> فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ (١١) أي: يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا﴾ (١٢) أي: كان في الدنيا مسرورًا مع أهله، متنعمًا غافلًا عن الآخرة.

وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة، وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

(١) الكشف (١٦/٣٥٨).

(٢) في الكشف (١٦/٣٥٨): «تُغْلُ يَمَنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَتَجْعَلُ شِمَالَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ».

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ٧٤٠ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿بَكَّى﴾ أي: يحور ويُبعث.

﴿فَلَا أَفْسِدُ﴾ ذكر في نظائره<sup>(١)</sup>.

﴿يَالْشَّفَقِ﴾ هو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس.

وقال أبو حنيفة: هو البياض.

وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف.

والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة.

﴿وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ ٧٤١ أي: جمع وضَمٍّ، ومنه الوَسَقُ، وذلك الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا أَسَقَ﴾ ٧٤٢ أي: إذا كمل ليلة أربع عشرة.

ووزن ﴿أَسَقَ﴾ افتعل، وهو مشتق من الوسق، فكأنه امتلأ نوراً.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام السنين قبل القاف في ﴿وَسَقَ﴾ و﴿أَسَقَ﴾.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ٧٤٣ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبقٌ لهذا: إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة.

(١) انظر صفحة ٢٩٧، ٤٧٨.

فعلى الأول يكون المعنى : لتركبن حالاً بعد حال ، كل واحدة منها مطابقة للأخرى .

وعلى الثاني يكون المعنى : لتركبن أحوالاً بعد أحوال ، هي طبقات بعضها فوق بعض .

ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال ، وفي قراءة : ﴿تَرْكِبْنَ﴾ : فأما من قرأه بضم الباء : فهو خطاب لجنس الإنسان ، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها شدائد الموت ، ثم البعث ، ثم الحساب ، ثم الجزاء .  
والآخر : أنها كون الإنسان نقطة ، ثم علقه ، إلى أن يخرج إلى الدنيا ، إلى أن يهرم ، ثم يموت .

والثالث : لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم .  
وأما من قرأ ﴿تَرْكِبْنَ﴾ بفتح الباء : فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا .

وقيل : هو خطاب للنبي ﷺ ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال :  
أحدها : لتركبن مكابدة الكفار حالاً بعد حال .

والآخر : لتركبن فتح البلاد شيئاً بعد شيء .  
والثالث : لتركبن السماوات في الإسراء سماءً بعد سماء .

وقوله : ﴿عَنْ طَبَقٍ﴾ :  
في موضع الصفة لـ ﴿طَبَقًا﴾ .



أو في موضع حال من الضمير في ﴿تَرْكَبْنَ﴾ .  
قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> .

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٥) الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها، وليست عند مالك من عزائم السجّدات .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمّر؛ ليصفهم بالكفر .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٣٣) أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب .

أو بما يجمعون في صحائفهم (من الأعمال القبيحة)<sup>(٢)</sup> .  
يقال: أوعيت المال وغيره: إذا جمعته .

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة؛ تهكّماً بهم .  
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فلا استثناء على هذا متصل، وإلى هذا أشار ابن عطية<sup>(٣)</sup> .

(١) الكشف (١٦/٣٦٣) .

(٢) سقط من أ، ج، هـ .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٥٧٤) .

وقال الزمخشري: هو منقطع<sup>(١)</sup>.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) الكشاف (١٦/٣٦٥).

(٢) انظر صفحة ٦.

## ﴿سورة البروج﴾

[﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قِيلَ أَضَعَبَ ④ الْأَعْدُوْدِ ⑤ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوْدِ ⑥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُوْدٌ ⑦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ⑩ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑫ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ⑬ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑭ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑮ إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ⑯ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُوْدُ ⑰ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑱ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ⑲ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُوْدِ ⑳ فِرْعَوْنُ وَثَمُوْدُ ㉑ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ㉒ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ㉓ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ㉔ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوْظٍ﴾].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①﴾ البروج : هي المنازل المعروفة ، وهي اثنا عشر ، تقطعها الشمس في السنة .

وقيل : هي النجوم العظام ؛ لأنها تتبرج ؛ أي : تظهر .

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق ، وقد روي عن رسول الله ﷺ (١) .

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ يحتمل الشاهد والمشهود :

أن يكون من الشهادة على الأمر .

(١) أخرجه أحمد (٧٩٧٢) ، والترمذي (٣٣٣٩) .

أو يكون من معنى الحضور .

وحذف المعمول، وتقديره: مشهود عليه، أو مشهود به، أو مشهود فيه .  
وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطراباً عظيماً،  
ويتلخّص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً، يقابلها في المشهود اثنان  
وثلاثون قولاً<sup>(١)</sup>:

الأول: أن الشاهد: هو الله تعالى لقوله: ﴿وَكُنَّا بِاللّٰهِ شَهِدًا﴾ [النساء: ٧٩] .  
والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

- [١-] أحدها: أن يكون الخلق، بمعنى أنه يشهد عليهم .
  - [٢-] والآخر: أن يكون الأعمال، بمعنى أنه يشهد بها .
  - [٣-] والثالث: أن يكون يوم القيامة، بمعنى أنه يشهد فيه ؛ أي : يحضر،  
للمساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس .
- القول الثاني: أن الشاهد: محمد ﷺ لقوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٨٧] .

والمشهود على هذا يحتمل أن تكون:

- [٤-] أمته ؛ لأنه يشهد عليهم .
- [٥-] أو أعمالهم ؛ لأنه يشهد بها .

(١) الذي ظهر لي واحد وثلاثون قولاً!

[٦-] أو يوم القيامة ؛ لأنه يشهد فيه ؛ أي : يحضر ، أو تقع فيه الشهادة على الأمة .

القول الثالث : أن الشاهد : أمة محمد ﷺ ؛ لقوله : ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والمشهود على هذا :

[٧-] سائر الأمم ؛ لأنهم يشهدون عليهم .

[٨-] أو أعمالهم .

[٩-] أو يوم القيامة .

القول الرابع : أن الشاهد : عيسى عليه السلام .

والمشهود :

[١٠-] أمته ؛ لقوله : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة : ١١٧] .

[١١-] أو أعمالهم .

[١٢-] أو يوم القيامة .

القول الخامس : أن الشاهد : جميع الأنبياء .

والمشهود :

[١٣-] أممهم ؛ لأن كل نبي يشهد على أمته .

[١٤-] أو يشهد بأعمالهم .

[١٥-] أو يوم القيامة ؛ لأنه يشهد فيه .

القول السادس : أن الشاهد : الملائكة الحفظة .

والمشهود على هذا :

[١٦-] الناس ؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم .

[١٧-] أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها .

[١٨-] أو يوم القيامة .

[١٩-] أو صلاة الصبح ؛ لقوله : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

[الإسراء : ٧٨] .

القول السابع : أن الشاهد : جميع الناس ؛ لأنهم يشهدون القيامة ؛

أي : يحضرونها .

[٢٠-] والمشهود : يوم القيامة ؛ لقوله : ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود : ١٠٣] .

القول الثامن : أن الشاهد : الجوارح .

والمشهود عليه :

[٢١-] أصحابها ؛ لقوله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾

[النور : ٢٤] .

[٢٢-] أو الأعمال ؛ لأن الجوارح تشهد بها .

[٢٣-] أو يوم القيامة ؛ لأن الشهادة تقع فيه .

القول التاسع : أن الشاهد : الله والملائكة وأولوا العلم ؛ لقوله :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ١٨] .

[٢٤-] والمشهود به : الوجدانية .

القول العاشر : أن الشاهد : جميع المخلوقات .

[٢٥-] والمشهود به : وجود خالقها ، وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك .

القول الحادي عشر : أن الشاهد : النجم ؛ لما ورد في الحديث : « لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد » ، وهو النجم <sup>(١)</sup> .

[٢٦-] والمشهود على هذا : الليل والنهار ؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل .

القول الثاني عشر : أن الشاهد : الحجر الأسود .

[٢٧-] والمشهود : الناس الذين يحجُّون .

القول الثالث عشر : روي عن النبي ﷺ : أن الشاهد : يوم الجمعة .

[٢٨-] والمشهود : يوم عرفة <sup>(٢)</sup> .

وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ، ويوم عرفة يشهده جمعٌ عظيم من الناس .

القول الرابع عشر : أن الشاهد : يوم عرفة .

[٢٩-] والمشهود : يوم النحر ، قاله علي بن أبي طالب .

(١) أخرجه مسلم (٨٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٧٣) ، والترمذي (٣٣٣٩) .

القول الخامس عشر: أن الشاهد: يوم التروية.

[٣٠-] والمشهود: يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد: يوم الاثنين.

[٣١-] والمشهود: يوم الجمعة.

﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول:

الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وثانيها: أنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وهذان القولان ضعيفان؛ لبعد القسم من الجواب.

وثالثها: أنه: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل.

ورابعها: أنه محذوف، يدل عليه: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، تقديره:

لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود؛ وعيداً للكفار، وتأنيساً للمسلمين المعذبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها:

فأما ﴿قِيلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟

واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة، أو بمعنى: لعن؟

وأما ﴿الْأَخْدُودِ﴾: فهو الشق في الأرض، كالخندق وشبهه.



وأما ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ فيحتمل أن يريد به :

الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود .

أو يريد به المؤمنين الذين حُرقوا فيه ، فيكون القتل حقيقةً خبراً .

والأول أظهر .

**الفصل الثالث :** في قصة أصحاب الأخدود ، وفيها أربعة أقوال :

**القول الأول :** ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه : أن ملكاً كافراً أسلم أهل بلاده ، فأمر بالأخدود فحُدد في أفواه السكك ، وأضرم فيها النيران فقال : من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ، ففعلوا ذلك ، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتعاسست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه ! اصبري فإنك على الحق <sup>(١)</sup> .

**القول الثاني :** أن ملكاً زنى بأخته ، ثم أراد أن يُحلَّ للناس نكاح الأخوات ، فأطاعه قوم ، ومنهم <sup>(٢)</sup> أخذ المجوس ذلك ، وعصاه قوم ، فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار .

**القول الثالث :** أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشياً ، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود .

**القول الرابع :** أن صاحب الأخدود : ذو نواس المذكور في قصة عبد الله

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) .

(٢) في ب : «ومنه» .

ابن التامر<sup>(١)</sup> التي وقعت السَّير .

ويَحْتَمَلُ أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ ، فيتفق هذا القول مع الأول ، فإنَّ ذا نواسٍ حفر أخدودًا فأوقد فيه نيرانًا<sup>(٢)</sup> ، وألقى فيها كل من وَّحَدَ الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر .

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ ۝﴾ ﴿النَّارِ﴾ بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾ ، وهو بدل اشتمال .

و﴿الْوُودِ﴾ : ما توقد به النار .

والقصد : وصف النار بالشدة والعظمة .

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝﴾ الضمير : للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود ، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر .

والعامل في ﴿إِذْ﴾ : قوله : ﴿قُتِلَ﴾ .

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا ، وقيل : سبعين ألفًا ، ف﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى : لعن ؛ أي : لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين .

وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحًا قبضت أرواحهم وخرجت النار<sup>(٣)</sup> فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها ، ف﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي : قتلهم النار .

(١) الذي في سيرة ابن هشام (٣٦/١) : «التامر» بالثاء .

(٢) في ب ، د : «فيها نارا» .

(٣) في ب ، د : «وأخرجت النار» .

وقيل: الضمير في ﴿إِذْ هَرَّ﴾ للمؤمنين.

والأول أشهر وأظهر؛ لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧).

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) يحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة:

أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق.

أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة.

أو يكون بمعنى الحضور؛ أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن يُنكر.

فإن قيل: لم قال ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ بلفظ المضارع ولم يقل: «آمنوا» بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟

فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دواهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود: فالفتنة هنا بمعنى الإحراق.

وإن كانت في كفار قريش: فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا، بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب.

وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره؛ كقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يريد:

في الآخرة، فيكون:

تأكيداً لعذاب جهنم.

أو نوعاً من العذاب زيادةً إلى عذاب جهنم.

ويحتمل أن يريد في الدنيا، وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: هو الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى، ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث.

وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله: ﴿اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤،

الروم: ١١].

وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في «اللغات»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

(٢) انظر المادة (٥٦٦).

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله، وخصه بالذكر؛ لأن العرش أعظم المخلوقات.

و﴿الْمَجِيدُ﴾ : من المجد، وهو الشرف ورفعة القدر.

وقرئ ﴿الْمَجِيدُ﴾ :

بالرفع: صفة لـ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾.

وبالخفض : صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾ .

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر.

والمقصود بذكر الجنود: تهديد الكفار، وتأنيس النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ﴿٦٠﴾ تہدید لہم، معنای: لا یفوتونہ، بل یصیبہم عذابہ اذا شاء.

﴿فِي لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ﴾ (٢٢) يعني: اللوح المحفوظ الذي في السماء.

وقرئ ﴿مَحْفُوظٌ﴾ :

بالخفض : صفة للوح .

وبالرفع: صفة للقرآن؛ أي:

حفظه الله من التبديل والتغيير.

أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

## ﴿ سورة الطارق ﴾

[﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② اتَّبِعِ الْتَّاقِبَ ③ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجِيمٍ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ⑬ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَوْدًا ⑰ ﴾].

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها : هي <sup>(١)</sup> المعروفة .

وقيل : أراد المطر ؛ لأن العرب قد تسميه سماء ، وهذا بعيد .

والطارق في اللغة : ما يطرق ؛ أي : يجيء ليلاً .

وقد فسرهُ الله هنا بأنه ﴿ اتَّبِعِ الْتَّاقِبَ ③ ﴾ وهو يطلع ليلاً .

ومعنى ﴿ اتَّاقِبَ ③ ﴾ : المضيء أو المرتفع :

ف قيل : أراد جنس النجوم .

وقيل : الثريا ؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم .

وقيل : زحل ؛ لأنه أرفع النجوم ؛ إذ هو في السماء السابعة .

(١) في ب زيادة : «السماء» .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه عند الجمهور : إنَّ كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها ، يعني : الملائكة الحفظة .  
وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية : «أن لكل نفس حفظة من الله يَذُبُّون عنها كما يُذَبُّ عن العسل ، ولو وُكِّل المرء إلى نفسه طرفة عين لا اختطفته الآفات والشياطين»<sup>(١)</sup> ، وإن صح هذا الحديث فهو المعوَّل عليه .  
وقرئ ﴿لَمَّا عَلَيْهَا﴾ :

بتخفيف الميم : وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ، واللام للتأكيد ، و«ما» زائدة .

وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد : وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ نافية ، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى الإيجاب بعد النفي .

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف «ما» ؛ لأنها استفهامية ، وجوابها ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٦)</sup> .

وسمي المني ماء دافقاً ؛ من الدفق ، بمعنى الدفع :

فقل : معناه : مدفوق ، وصاحبه هو الدافق في الحقيقة .

وقال سيبويه : هو على النسب ؛ أي : ذو دفق .

وقال ابن عطية : يصح أن يكون الماء دافقاً ؛ لأن بعضه يدفع بعضاً<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٧/٨) ، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص : ٩٦) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٨٤ - ٥٨٥) .

ومقصود الآية: إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصلَ خَلْقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده.

ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله: أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها؛ أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى<sup>(١)</sup> كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ﴾ (٧) الضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ للماء.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد جدًا.

والترائب: عظام الصدر، واحدها: تريبة.

وقيل: هي الأطراف، كاليدين والرجلين.

وقيل: هي عَصارة القلب، ومنها يكون الولد.

وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين نُدْيي المرأة.

ويعني صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها.

وقيل: أراد: صلب الرجل، وترائب المرأة.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجِيمِهِ لَقَادِرٌ ۖ﴾ (٨) الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لله تعالى، وفي ﴿رَجِيمِهِ﴾

للإنسان.

(١) في ب: «يجازي».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٥).



والمعنى : أن الله قادر على رجوع الإنسان حيًّا بعد موته ، والمراد : إثبات البعث .

وقيل : إن المعنى : رُدُّه ماءً كما كان أول مرة .

وقيل : رُدُّه من الكِبَر إلى الشباب .

وقيل : الضمير في ﴿رَجَّعَهُ﴾ للماء الدافق ، والمعنى : رُدُّه في الإحليل أو في الصلب .

وهذا كله ضعيف بعيد ، والقول الأول هو الصحيح المشهور .

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (١) يعني : يوم القيامة .

و﴿السَّرَائِرُ﴾ : جمع سريرة ، وهي ما أسرَّ العبد في قلبه من العقائد<sup>(١)</sup> والنيات ، وما أخفى من الأعمال .

وبلاؤها : هو تعرُّفها والاطلاع عليها .

وروي عن النبي ﷺ أن السرائر : الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة<sup>(٢)</sup> ، وهذه معظمها ؛ فلذلك خصَّها بالذكر .

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله : ﴿رَجَّعَهُ﴾ ؛ أي : يَرْجعه يوم تبلى السرائر .

واعترض : بالفصل بينهما .

وأجيب : بقوة المصدر في العمل .

(١) في زيادة : «والعزائم» .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٦/٤) .

وقيل : العامل ﴿لَقَادِرٌ﴾ .

واعترض : بتخصيص القدرة بذلك اليوم .

وهذا لا يلزم ؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم .

وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين : العامل فعل مضمر من المعنى ، تقديره : يرجعه يوم تبلى السرائر .

وهذا كله على المعنى الصحيح في ﴿رَجِيءٍ﴾ .

وأما على الأقوال الأخر : فالعامل في ﴿يَوْمٍ﴾ مضمر تقديره : اذكر .

﴿فَمَا لَمْ يَنْفُذْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٢) الضمير للإنسان .

ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له ؛ أخبره الله أنه يعدّمهما يوم القيامة .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) المراد بـ ﴿الرَّجْعِ﴾ عند الجمهور : المطر ، وسماه رجعا بالمصدر :

لأنه يرجع كل عام .

أو لأنه يرجع إلى الأرض .

وقيل : الرجع : السحاب الذي فيه المطر .

وقيل : هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة .

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢) يعني: ما تتصدع<sup>(١)</sup> عنه الأرض من النبات .  
وقيل: يعني: ما في الأرض من الشُّقاق والخنادق وشبهها .  
﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣) الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه .  
والفصل معناه: الذي فصل<sup>(٢)</sup> بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان .  
والهزل: اللهو، يعني: أنه جَدُّ كلُّه .  
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٤) الضمير لكفار قريش .  
وكيدهم: هو ما دبّروا في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به، وإبطال أمره .  
﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ للمشاكلة بين الفعلين<sup>(٣)</sup> .  
﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم .  
وهذا منسوخ بالسيف .  
﴿أَنَّهُلَهُمْ رُؤْيَا﴾ أي: إمهالاً يسيراً قليلاً يعني:  
إلى قتلهم يوم بدر .  
أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيراً؛ لأن كل آت قريب .  
ولفظ ﴿رُؤْيَا﴾ هنا: صفة لمصدر محذوف، وقد تقع بمعنى الأمر بالتماهل

(١) في أ، د: «تصدع»، وفي ب: «يتصدع».

(٢) في ب: «يفصل».

(٣) انظر (٢٧٥/١)، (٥٤٥/١)، (٤٢٢/٢)، (٥١٢/٢).

كقولك : رويدًا يا فلان .

وكرر الأمر في قوله : ﴿أَنهَلَهُمْ﴾ ، وخالف بينه وبين لفظ ﴿مَهْلٍ﴾ ؛ لزيادة التسكين والتصبير ، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> .

❖ ❖ ❖

(١) الكشاف (١٦/٣٨٩) .

## ﴿سورة الأعلى﴾

[﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ ④ الْمَرْعَى ⑤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑥ سَتُفْرِكَ فَلَا تَفْسَى ⑦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑧ وَيُخَوِّدُكَ لِلْغَى ⑨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑩ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَحْشَى ⑪ وَنَجِّنَهَا ⑫ الْأَشْقَى ⑬ الَّذِي بَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑭ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑮ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑯ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑰ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑱ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑲ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ⑳ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ㉑﴾].

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ التسييح في اللغة: التنزيه.

وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد المسمى، ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام: سبِّح ربك؛ أي: نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال: إن الاسم هو المسمى.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودًا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل.

الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يُسمى بها صنم أو وثن.

الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تُذكر في حال الغفلة دون خشوع.

الرابع: أن المراد قول<sup>(١)</sup>: «سبحان الله»، ولما كان التسبيح باللسان لا بدَّ فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم، وهذا القول هو الصحيح. ويؤيده: ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(٢)</sup>، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(٣)</sup>، فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بدَّ في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى؛ فلذلك قال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم؛ لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان.

وعلى هذا: يكون موافقاً في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٤] لأن معناه: نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي عن ابن عباس أن معنى ﴿سَبِّحْ﴾: صلِّ باسم ربك؛ أي: صلِّ واذكر في الصلاة اسم ربك. و﴿الْأَعْلَى﴾: يحتمل أن يكون صفة:

للرب.

أو للاسم.

والأول أظهر.

(١) في د: «قل».

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ حذف مفعول ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوَّى﴾؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد: خلق كل شيء فسواه؛ أي: أتقن خلقته.

وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّكَ فَعَدَّلَكَ﴾ [الانقطار: ٧] <sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿قَدَّرَ﴾ بالتشديد: يحتمل أن يكون: من القدر والقضاء.

أو من التقدير والموازنة بين الأشياء.

وقرئ بالتخفيف: فيحتمل أن يكون: من القدرة.

أو التقدير، وحذف المفعول؛ ليفيد العموم.

فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به.

وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث؛ لبقاء النسل.

وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي.

وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهائم للمراع.

وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها <sup>(٢)</sup> باب واسع فيه عجائب وغرائب.

(١) انظر صفحة ٦٢٤.

(٢) في هـ: «منافعها».

وقال الفراء: المعنى: هدى وأضلَّ، واكتفى بالواحدة؛ لدلالاتها على الأخرى<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ④ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ⑤ ﴿المرعى: هو النبات الذي ترعاه البهائم.

والغثاء: هو النبات اليابس المتحطم، وقد يقال للزُّبل غثاء.

﴿أَحْوَى﴾ معناه: أسود، وهو صفة لـ ﴿غُثَاءً﴾.

والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قَدِمَ تعَفَّنَ واسودَّ.

وقيل: إن ﴿أَحْوَى﴾ حال من ﴿الْمَرْعَى﴾، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ ⑥ ﴿هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يُقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ؛ لأنه كان أُمِّيًّا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل ﷺ من القرآن.

وقيل: معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية [القيامة: ١٦]؛ فإن ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل؛ خوفاً أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه.

وقيل: ﴿فَلَا تَنسَى﴾ نهْيٌ عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في

(١) معاني القرآن للفراء (٣/٢٥٦).



قدرة البشر، فالمراد: الأمر بتعاهده حتى لا ينساه. وهذا بعيد؛ لإثبات الألف في ﴿تَنَسَّى﴾.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تنسى؛ إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

والآخر: أنه لا ينسى شيئاً، ولكن قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] على بعض الأقوال.

وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي<sup>(١)</sup>.

والأول أظهر؛ فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبّاد بن بشر: «يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنُنَسِّرَكَ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿٨﴾ عطف على ﴿سَفَرُكَ﴾، ومعناه: نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة.

وقيل: معناه للشيعة اليسرى، من قوله ﷺ: «دين الله يسر»<sup>(٣)</sup> أي: سهل لا حرج فيه.

(١) الكشاف (١٦/٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩).

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ المراد بهذا الشرط : توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم ، كقولك : قد أوصيتك لو سمعت .

وقيل : إن المعنى : فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع ، واقتصر على أحد القسمين ؛ لدلالة الآخر عليه ، وهذا بعيد وليس عليه الرُّونق الذي على الأول .

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) أي : من يخاف الله .

﴿وَنَنْجِيهَا الْأَشْقَى﴾ (١١) يعني : الكافر .

وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

والضمير المفعول لـ ﴿الذِّكْرَى﴾ .

﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار جهنم ، وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا .

وقيل : سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم ؛ فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض .

وكلا القولين صحيح ، إلا أن الأول أظهر ، ويؤيده قول رسول الله ﷺ : «ناركم هذه التي توقدون جزءً من سبعين جزءاً من نار جهنم»<sup>(١)</sup> .

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي : لا يموت فيستريح ، ولا يحيا حياة هنيئة .

وعطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾ ؛ لأن هذه الحالة أشد من صلي النار ،

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) ، ومسلم (٢٨٤٣) .

فكانها بعده في الشدة .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١) يحتمل أن يكون ﴿تَزَكَّى﴾ :

بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي .

أو بمعنى الطهارة للصلاة .

أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة : إنها في يوم الفطر، والمعنى : أدّى زكاة الفطر، وذكر اسم ربه في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ (١) .

وقيل : المراد : أدّى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس .

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الإشارة :

إلى ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة .

أو إلى ما تضمنته السورة .

أو إلى القرآن بجملته .

والمعنى : إنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب .



(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ١٨٥) .

## ﴿ سورة الغاشية ﴾

[ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى ④ نَارًا حَامِيَةً ⑤ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَانِيَةٍ ⑥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ⑦ لَا يَسْنُونُ وَلَا يَغْنَى ⑧ مِنْ جُوعٍ ⑨ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑩ لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ ⑪ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑫ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑬ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑭ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑮ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑯ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑰ وَزُرَّاقٌ مَبْنُوتَةٌ ⑱ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⑲ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ⑳ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ㉑ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ㉒ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ㉓ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ㉔ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ㉕ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ㉖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ㉗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ㉘ ] .

﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر .

وقيل : ﴿ هَلْ ﴾ بمعنى « قد » ، وهذا ضعيف .

﴿ الْغَاشِيَةِ ﴾ هي القيامة ؛ لأنها تغشى جميع الخلق .

وقيل : هي النار ، من قوله : ﴿ وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] ، وهذا

ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين : أهل الشقاوة وأهل السعادة .

﴿ خَاشِعَةٌ ﴾ أي : ذليلة .

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ هو من النصب بمعنى التعب .

وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا يكون عملهم ونصبهم في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبدون فيها. أو يكون في الآخرة، فيعملون فيها عملاً يتعبدون فيه؛ من جرّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبكى رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهداً، ف﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (١) على هذا: في الدنيا. و﴿نَاصِبَةٌ﴾ إشارة:

إلى اجتهدهم في العمل.

أو إلى أنه لا ينفعهم، فليس لهم منه إلا النصب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «إن فيهم المجتهد» (١).

﴿سُنْفَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٌ آيَةٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، ووزن ﴿آيَةٍ﴾ هنا فاعلة، بخلاف ﴿آيَةٍ مِنْ فَضْلٍ﴾ [الإنسان: ١٥] فإن وزنه: أفْعلة.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٢) في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له: الشُّبْرُق، وهو سمّ قاتل، وهذا أرجح

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/٥٩٧)، ولم أقف على إسناد له.

الأقوال؛ لأن أرياب اللغة ذكره، ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه الزقوم؛ لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ۖ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

الثالث: أنه نبات أخضر مُتَنُّ يَنبِت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا ضعيف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب.

ولله درُّ من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه عمَّ وسَلِمَ من عَهْدَةِ التَّعْيِينِ. واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به.

وقيل: بمعنى: مُضْرِع للبدن، أي: مُضْعِف.

وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ ﴿٤١﴾﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ ۖ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦]؟

فالجواب: أن الضريع لقوم، والغسلين لقوم.

أو يكون أحدهما في حال، والآخر في حال.

﴿لَا يَسْنُو وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ ﴿ضَرِيعٍ﴾، أول ﴿طَعَامٍ﴾.

(١) أخرجه ابن مردويه بسند واو كما في الدر المنثور (٣٨٥/١٥).

نفى عنه منفعة الطعام، وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ﴾ (٨) أي: متنعمة في الجنة.

أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۖ﴾ (٩) أي: رضية في الآخرة؛ لأجل سعيها، وهو عملها

في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ﴾ (١٠) يحتمل أن يكون:

من علو المكان.

أو من علو المقدار.

أو الوجهين.

﴿لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةٌ ۖ﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه الفحش<sup>(١)</sup> وما يكره،

فيحتمل أن يريد:

كلمة لاغية.

أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ﴾ (١١) يحتمل أن يريد:

جنس العيون.

أو واحدة شرفها بالتعيين.

(١) في ب، د: «اللحن».

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (٧) ﴿قَدْ ذَكَّرْنَا﴾ ﴿وَأَكْوَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومعنى ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ : حاضرة معدة بشرابها.

وفي قوله : ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ و ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ مطابقة.

﴿وَمَنَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

﴿وَزَرَائِبُ مَبْنُوءَةٌ﴾ (١١) هي بُسُطٌ فاخرة.

وقيل : هي الطَّنَافِسُ.

واحدها : زَرْيَبَةٌ.

﴿مَبْنُوءَةٌ﴾ أي : متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها.

وقيل : مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ حض على النظر إلى خلقها ؛ لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك.

وقيل : أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال.

والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولا اعتناء العرب به ؛ إذ كانت معاشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.



﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ ٣٣ أي: قاهر متسلط.

وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر فيعذبه الله.

وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿فَذَكَّرْ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه، فهو على هذا متصل.

وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ ٣٣ أي: لا تتسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه؛ إذ لا موادة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية والموادة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٣٥ أي: رجوعهم، والآية تهديد.

## ﴿سورة الفجر﴾

[﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨﴾ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْسَادِ ١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنِ ١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالِ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَآنَى لَهُ الذِّكْرَى ٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي قَدَمْتُ لِيكَانَ ٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ٢٥﴾ وَلَا يُؤْنِقُ نَافَةَ أَحَدٍ ٢٦﴾ يَتَأَيَّبَهَا النَفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً ٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ٣٠﴾].

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالى بالفجر، وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح.

وقيل: أراد صلاة الفجر.

وقيل: أراد النهار كله.

وقيل: فجر يوم الجمعة.

وقيل: فجر يوم النحر.

وقيل : فجر ذي الحجة .

ولا دليل على هذه التخصيصات .

وقيل : أراد انفجار العيون من الحجارة ، وهذا بعيد .

والأول أشهر وأظهر .

﴿وَلَيْلَ عَشْرِ ①﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور .

وقيل : العشر الأول من المحرم ، وفيها عاشوراء .

وقيل : العشر الآخر من رمضان .

وقيل : العشر الأول منه .

﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ ②﴾ روي عن النبي ﷺ : أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة<sup>(١)</sup> ؛ وذلك لأن يوم النحر عاشر فعدده شفع ، ويوم عرفة تاسع فعدده وتر .

وروي عنه ﷺ : أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى ، والوتر ليلة النحر<sup>(٢)</sup> .

وروي عنه ﷺ : أنها الصلوات ، منها شفع ووتر<sup>(٣)</sup> .

وقيل : الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى ، والوتر الركعة الواحدة المعروفة .

وقيل : الشفع العالم ، والوتر الله ؛ لأنه واحد .

(١) أخرجه أحمد (١٤٥١١) ، والنسائي في الكبير (١٩٤ / ٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٠ / ٤) .

(٣) أخرجه أحمد (١٩٩١٩) .

وقيل : الشفع آدم وحواء، والوتر الله تعالى .

وقيل : الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت الحرام .

وقيل : الشفع أبواب الجنة ؛ لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار ؛ لأنها سبعة .

وقيل : الشفع قران الحج، والوتر إفراده .

وقيل : المراد الأعداد، منها شفع ووتر .

فهذه عشرة أقوال .

وقرئ ﴿وَالْوَتْرَ﴾ بفتح الواو وكسرها، وهما لغتان .

﴿وَالَيْلَ إِذَا بَسَّ ۝١﴾ أي : إذا يذهب، فهو كقوله : ﴿وَالَيْلَ إِذَا دَبَّرَ ۝٢٣﴾ [الم نشر : ٢٣] .

وقيل : أراد : يُسْرَى فيه، فهو على هذا كقولهم : «ليلة قائم»، والمراد على هذا : ليلة جمع ؛ لأنها التي يُسْرَى فيها .

والأول أشهر وأظهر .

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٢﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها .

والحجر هنا : هو العقل، كأنه يقول : إن هذا لقسم<sup>(١)</sup> عظيم عند ذوي العقول .

(١) في ب، د، هـ : «القسم» .

وجواب القسم محذوف، وهو: «لِأَخَذَنَّ اللَّهُ الْكُفَّارَ»، ويدل على ذلك: ما ذكر بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون.

﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: «هاشم» : لبني هاشم.

وإعرابه: بدل من ﴿عَادَ﴾، أو عطف بيان.

وفائدته: أن المراد عادُ الأولى، فإن عادًا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم.

وقيل: ﴿إِرَمَ﴾ اسم مدينتهم، فهو على حذف مضاف تقديره: «بعادِ عادِ إِرَمَ»، ويدل على هذا: قراءة ابن الزبير: «بعادِ إِرَمَ» على الإضافة من غير تنوين «عاد».

وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين: للتعريف والتأنيث.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ من قال ﴿إِرَمَ﴾ قبيلة: قال ﴿الْعِمَادِ﴾: أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود.

وقال ابن عباس: ذلك كناية عن طول أبدانهم.

ومن قال ﴿إِرَمَ﴾ مدينة: فـ ﴿الْعِمَادِ﴾ الحجارة التي بنيت بها.

وقيل: القصور والأبراج.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿٨﴾ صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع.

أو صفة للمدينة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿فِي الْبَلَدِ﴾، ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا.

وروي أنها بناها شذاد بن عاد في ثلاث مئة عام، وكان عمره تسع مئة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجرات والأنهار الجارية.

وروي أنه سمع ذكر الجنة، فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة.

وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية.

وقيل: هي دمشق.

وقيل: الإسكندرية.

وهذا ضعيف.

﴿جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ﴾ أي: نَقَبُوهُ وَنَحَتُوا فِيهِ بِيوتًا.

والوادي: ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيه ماء.

وقيل: أراد وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ﴾ ذكر في «داود»<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ صفة لعاد وشمود وفرعون.

ويجوز أن يكون:

منصوبًا على الذم.

(١) انظر: (٧٠٠/٣).

أو خبر ابتداء مضمّر .

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعار<sup>(١)</sup> السوط للعذاب ؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره . قاله ابن عطية<sup>(٢)</sup> .

وقال الزمخشري : ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا ؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة ، كما أن السوط أهون من القتل<sup>(٣)</sup> .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمُرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ، وريب على كل إنسان ، وأنه لا يقوته أحد من الجبابرة والكفار ، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم .

والمرصاد : المكان الذي يترقب<sup>(٤)</sup> فيه الرصد .

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ﴾ الابتلاء : هو الاختبار ، واختبار الله لعبده ؛ لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه ، وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه .

﴿وَالْإِنْسَانُ﴾ هنا : جنس .

وقيل : نزلت في عتبة بن ربيعة .

وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة .

وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ، ثم ذكر بعد ابتلاءه بالشر ،

(١) في أ ، هـ : «استعارة» .

(٢) المحرر الوجيز (٦٠٩/٨) .

(٣) الكشف (٤٢٤/١٦) .

(٤) في ب ، د : «ترتقب» .

كما قال في: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾.

ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ و﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾ على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه، ويضيقه على<sup>(١)</sup> أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة.

وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله: ﴿فَأَكْرَمُهُ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾؟

(١) في ب: «ويقبضه عن».



فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام ، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشرك ، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار .

الثاني : أنه أنكر عليه قوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ إذا اعتقد إن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام ، لا على وجه التفضُّل والإنعام ، كقول قارون : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص : ٧٨] .

الثالث : أن الإنكار إنما هو لقوله : ﴿رَبِّتْ أَهْنِينَ﴾ ، لا لقوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ ؛ فإن قوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ اعترافٌ بنعمة الله ، وقوله : ﴿رَبِّتْ أَهْنِينَ﴾ شكاية من فعل الله .

﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي : ضيقه .

وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد ، وفي التشديد مبالغة .

وقيل : معنى التشديد : جعله على قدر معلوم .

﴿كَلَّا﴾ زجرٌ عما أنكر من قول الإنسان .

﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذمٌ لما ذكر من الأعمال القبيحة .

ومعنى هذا الإضراب بـ ﴿بَل﴾ : كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم ، ثم قال : بل تفعلون ما هو شر من ذلك ، وهو أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده .

قال رسول الله ﷺ : «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣٩١) .

﴿وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحَضُّ على الأمر: هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو، فكأنه ذم لترك طعام المسكين. والطعام هنا: بمعنى الإطعام.

وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين.

وقرئ ﴿تَحْضُونَ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها، بمعنى لا يحض بعضكم بعضاً.

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ التَّراث: ما يُورَث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من واو. واللمُّ: الجمع واللف.

والتقدير: أكلاً ذا لَمٍّ، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيراً، بل ينفرد به الرجال. ﴿وَيَحْبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: شديداً كثيراً، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿دَكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: سُويت بذهاب جبالها.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكاً بعد دكٍّ، كما تقول: تعلمت العلم باباً باباً.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه.

وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك.

وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفاً حول الأرض.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفًّا بعد صف، قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾، و﴿يَنْذَكُرُ﴾ هو العامل، وهو جواب ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾.

والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانه.

و﴿الْإِنْسَانُ﴾ هنا: جنس.

وقيل: يعني: عتبة بن ربيعة.

وقيل: أمية بن خلف.

﴿وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى﴾ هذا على حذف تقديره: «أنى له الانتفاع بالذكرى»، كما تقول: «ندم حين لم تنفعه الندامة».

(١) انظر (٤٢٧/١)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٧٦) فيه وجهان :

أحدهما : أنه يريد الحياة في الآخرة ، فالمعنى : يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً للآخرة .

والآخر : أنه يريد الحياة الدنيا ، فالمعنى : يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً وقت حياتي ، فاللام على هذا كقولك : كتبتُ لعشرٍ من الشهر .

﴿فَوَيْلٌ لَّكَ إِذَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (٧٥) من قرأ بكسر الذال من ﴿يُعَذِّبُ﴾ والثاء من ﴿يُوثِقُ﴾ : فالضمير في ﴿عَذَابُهُ﴾ و ﴿وَنَاقَهُ﴾ : لله تعالى .

والمعنى : أنه الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد .

ومن قرأ بالفتح : فالضمير للإنسان ؛ أي : لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه .

وهذه قراءة الكسائي ، وروي أن أبا عمرو رجع إليها ، وهي قراءة حسنة ، وقد رويت عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> .

﴿يَتَأَنَّى النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ﴾ (٧٧) أي : الموقنة يقيناً قد اطمأنت به ، بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان .

وقيل : المطمئنة : التي لا تخاف حينئذ ، ويؤيد هذا : قراءة أبي بن كعب : «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة» .

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون : عند الموت .

وقيل : عند البعث .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩١ / ٢٤) وقال : «إسناده وإياه»

وقيل : عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار .

والأول أرجح ؛ لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له :  
«يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»<sup>(١)</sup> .

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه : راضية بما أعطاك الله ، أو راضية عن الله .

ومعنى المرضية : مرضية عند الله ، أو أرضاها الله بما أعطاه .

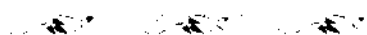
﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) أي : ادخلي في جملة عبادي الصالحين .

وقرى : ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ بالتوحيد ، ومعناه : ادخلي في جسده وهو  
خطاب للنفس .

ونزلت هذه الآية في حمزة .

وقيل : في حبيب بن عدي الذي صلبه الكفار بمكة .

ولفظها يعم كل نفس مطمئنة .



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٦/٢٤) .

## ﴿ سورة البلد ﴾

[لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫ فَكُ رَقَبَةً ⑬ أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مِنْكَ نَادٍ ذَا مَذَرَةٍ ⑯ تَمَرَّكَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالضَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ⑰ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَى ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمُنَنَى ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳].

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفًا لها، و﴿لَا﴾ زائدة.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حالٌ<sup>(١)</sup> بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: تُسْتَحَلُّ حرمتك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة

(١) في ب، د، هـ: «حِلٌّ».

لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر، ولا قطع شجر.

وعلى هذا قيل: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ نفي؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة.

الثالث: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: حلال، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار»<sup>(١)</sup>، يعني: يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطلٍ وهو متعلق بأستار الكعبة<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟  
فالجواب: أن هذا وعدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تعدّه بالكرامة: «أنت مُكْرَمٌ»، يعني: فيما يستقبل.

وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده<sup>(٣)</sup>.

الثاني: نوح وولده.

الثالث: إبراهيم وولده.

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).

(٣) في د: «أولاده».

الرابع: محمد ﷺ وولده.

الخامس: جنس كل والد ومولود.

وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ ولم يقل: «ومن ولد»؛ إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة. قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابده<sup>(٢)</sup> ابن آدم.

وأصل الكبد: من قولك: كَبَدَ الرجلُ فهو أَكْبَدُ: إذا وَجِعَتْ كَبِدُهُ.

وقيل: معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾: واقفاً منتصباً القامة، وهذا ضعيف.

و﴿الْإِنْسَانَ﴾ على هذين القولين: جنس.

وقيل: الإنسان آدم ﷺ، ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا: في السماء، وهذا ضعيف، والأول هو الصحيح.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ⑤ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه.

فعلى الأول: نزلت في جنس الإنسان الكافر.

وعلى الثاني: نزلت في رجل معين، وهو أبو الأشد، رجل من قريش

كان شديد القوة.

(١) الكشف (١٦/٤٤٣).

(٢) في ج، د، هـ: «يكابده».



وقيل : عمرو بن عبد ودّ، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي ابن أبي طالب.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ۖ﴾ (٦) أي : كثيراً.

وقرى ﴿لُبْدًا﴾ بضم اللام وكسرهما، وهو جمع لبْدَةٍ - بالضم والكسر - بمعنى الكثرة.

ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة؛ فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ.

وقيل : في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال : لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمداً.

﴿أَيَحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ﴾ (٧) يحتمل أن يكون هذا :

تكذيباً له في قوله : ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ۖ﴾.

أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي : طريقَي الخير والشر، فهو كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد. وقيل : يعني : ثديي الأم.

﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعُقَبَةَ﴾ (١١) الاقتحام : الدخول بشدة ومشقة.

و﴿الْعُقَبَةُ﴾ عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس.

وقيل : هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال .  
و﴿لَا﴾ هنا : تحضيضٌ بمعنى : «هَلَّا» .

وقيل : هي دعاء .

وقيل : هي نافية .

واعترض هذا القول : بأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها .

وأجاب الرمخشري بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً<sup>(١)</sup> .

وقال الزجاج : قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدل على التكرار ؛ لأن التقدير : فلا اقتحم العقبة ولا آمن<sup>(٢)</sup> .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾ (١٢) تعظيم للعقبة ، ثم فسرها بفك الرقبة ، وهو إعتاقها ، وبالإطعام .

وقرئ ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ (١٣) :

بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة .

وبفتح الكاف ونصب الرقبة ، وهو تفسير لـ ﴿أَفَنَحَمُ﴾ .

وفك الرقبة : هو عتقها ، قال رسول الله ﷺ : «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق

(١) الكشف (١٦/٤٤٨) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٣٢٩) .

الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»<sup>(١)</sup>.

وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أنجو به، فقال: «فكَّ الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفكَّ الرقبة أن تعين في ثمنها»<sup>(٢)</sup>.

وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرًا من العتق؛ لأنه واجب، ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ﴾ من قرأ ﴿فَكَ﴾ بالرفع قرأ ﴿إِطْعَمٌ﴾، فعطف مصدرًا على مصدر.

ومن قرأ ﴿فَكَ﴾ بالفتح قرأ ﴿أُطْعِمَ﴾ بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلًا على فعل.

﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سَغِبَ الرجل: إذا جاع.  
﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.  
﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾<sup>(٤)</sup> أي: ذا حاجة، يقال: تَرَبَّ الرجل: إذا افتقر، وهو مأخوذ من لُصِقِهِ بالتراب.

وروي عن النبي ﷺ: أنه الذي مأواه المزابل<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان (٩٧/٢)، والحاكم (٢٣٦/٢).

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢١٤/٤).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام.

ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام!، ولا يُقبل عمل إلا من مؤمن.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله.

وكان هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم.

وقيل: المرحمة: كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

﴿الْيَمِينَةَ﴾ جهة اليمين و﴿الشَّمَالَةَ﴾ جهة الشمال.

وروي أن الميمنة عن يمين العرش.

ويحتمل أن يكونا من اليمين والشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَّةٌ﴾ أي: مُطَبَّقَةٌ مُّغْلَقَةٌ، يقال: أوصدت الباب: إذا أغلقته.

وفيه لغتان: الهمز، وترك الهمز.

## ﴿ سورة الشمس ﴾

[﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮ ﴾].

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① ﴾ الضحى : ارتفاع الضوء وكماله .

والضَّحَاء - بالفتح والمد - : بعد ذلك إلى الزوال .

وقيل : الضحى النهار كله .

والأول هو المعروف في اللغة .

﴿ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② ﴾ أي : تبعها ، وفي تبعه لها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يتبعها في كثرة الضوء ؛ لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس ، ولا سيما ليلة البدر .

والآخر : أنه يتبعها في طلوعه ؛ لأنه يطلع بعد غروبها ، وذلك في النصف الأول من الشهر .

الثالث : أن تبعه لها : أخذه من نورها .

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (٢) أي: كشفها وأظهرها.

والضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تتجلى بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها.

وقيل: الضمير الفاعل: لله.

وقيل: الضمير المفعول: للظلمة، أو للأرض، أو للدنيا.

وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ (٣) أي: يغطيها، وضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل لليل على الأصح.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَىٰ﴾ (٤) قيل: إن «ما» في قوله: ﴿وَمَا بَنَىٰ﴾ و﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ و﴿مَا سَوَّاهُ﴾ موصولة بمعنى: «من»، والمراد الله تعالى.

وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: والسماء وبنيانها<sup>(١)</sup>، وضعف الزمخشري هذا بقوله: ﴿فَأَقْصَىٰ﴾؛ فإن المراد الله باتفاق، فهذا القول يؤدي إلى فساد النظم<sup>(٢)</sup>.

وضَعَفَ بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق.

فإن قيل: لم عدل عن «من» إلى «ما» في قول من جعلها موصولة؟

فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية، كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿طَغَىٰ﴾ أي: مدها.

(١) في ١، هـ: «وبنيانها».

(٢) الكشف (١٦/٤٥٩).

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) تسوية النفس : إكمال عقلها وفهمها .

فإن قيل : لم نكر النفس ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه أراد الجنس ، كقوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير : ١٤] .

والآخر : أنه أراد نفس آدم .

والأول هو المختار .

﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي : عرّفها طرق<sup>(١)</sup> الفجور والتقوى ، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين .

ويحتمل أن تكون الواو بمعنى «أو» ، كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ (٢) [الإنسان : ٣] .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (٣) هذا جواب القسم عند الجمهور .

وقال الزمخشري : الجواب محذوف تقديره : لِيُذَمِّدَ مَنْ أَلَى أَهْلَ مَكَّةَ لتكذيبهم النبي ﷺ ، كما ذمّم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً ﷺ ، قال : وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله : ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٤) على سبيل الاستطراد<sup>(٢)</sup> ، وهذا بعيد .

والفاعل بـ ﴿زَكَّاهَا﴾ ضمير يعود على ﴿مَن﴾ ، والمعنى : قد أفلح من زكى نفسه ؛ أي : طهرها من الذنوب والعيوب .

(١) في ب ، د : «طريق» .

(٢) الكشف (١٦/٤٦٤) .

وقيل : الفاعل ضمير الله تعالى .

والأول أظهر .

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ (١١) أي : حقرها بالكفر والمعاصي .

وأصله : دَسَسَ بمعنى : أخفى ؛ فكأنه أخفى نفسه لما حقرها ، وأبدل من السين الآخرة حرف علة ، كقولهم : «قَصَّيْتُ أظفاري» ، وأصله : قَصَصْتُ .

﴿يَطْفُونَهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان ، قلبت فيه الياء واوًا على لغة من يقول : «طَغَيْتُ» .

والباء الخافضة :

كقولك : «كتبت بالقلم» .

أو سبية ، والمعنى : بسبب طغيانها .

وقال ابن عباس : معناه كذبت ثمود بعذابها ، ويؤيده قوله : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُفْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥) [الحاقة : ٥] .

﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ (١٢) العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو ﴿يَطْفُونَهَا﴾ .

ومعنى ﴿أُنْبِئَتْ﴾ : خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط .

﴿أَشَقُّهَا﴾ : هو الذي عقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، واسمه قُدَّار بن سالف .

ويحتمل أن يكون ﴿أَشَقُّهَا﴾ واقعًا على جماعة ؛ لأن «أفعل» التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع .



والأول أظهر وأشهر .

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني : صالحاً عليه السلام .

﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : احفظوا ناقة الله ،  
أو احذروا ناقة الله .

و﴿سُقْيَهَا﴾ : شربها من الماء .

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نَسَب العقر إلى جماعة ؛ لأنهم اتفقوا عليه ، وبأشره واحد  
منهم .

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم ، وفيه تهويل .

﴿يَذْنِبُهُمْ﴾ أي : بسبب ذنبهم ، وهو التكذيب ، أو عقر الناقة .

﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قال ابن عطية : معناه : فسَوَّى القبيلة في الهلاك ، لم يُفْلِتْ<sup>(١)</sup>  
أحد منهم<sup>(٢)</sup> .

وقال الزمخشري : الضمير للدمدمة ؛ أي : سواها بينهم<sup>(٣)</sup> .

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى ، والضمير في ﴿عُقْبَاهَا﴾  
للمدمدمة والتسوية وهو الهلاك ؛ أي : لا يخاف عاقبة إهلاكهم ، ولا درك  
عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم ، وفي ذلك احتقار لهم .

وقيل : إن ضمير الفاعل لصالح ، وهذا بعيد .

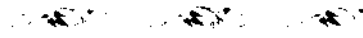
(١) في أ ، د ، هـ : «يفت» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٠) .

(٣) الكشاف (١٦/ ٤٦٧) .

وقرئ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالفاء وبالواو.

وقيل في القراءة بالواو: إن الفاعل ﴿أَشَقَّنَهَا﴾ والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبى فعلته، وهذا بعيد.



## ﴿ سورة الليل ﴾

[﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَكُفًى ⑤ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ⑥ فَنُصِرَ لِلْعَمْرِى ⑦ وَأَمَّا مَنْ حَسَلَ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ⑨ فَنُصِرَ لِلْعَمْرِى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَى ⑭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمٍ تُجْرَى ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑ ﴾].

﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① ﴾ أي: يغطي، وحذف المفعول وهو:

الشمس؛ لقوله: ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ① ﴾ [الشمس: ٤].

أو النهار لقوله: ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ① ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أو كل شيء يستره<sup>(١)</sup> الليل.

﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② ﴾ أي: ظهر وتبين، والنهار: من طلوع الشمس، واليوم: من طلوع الفجر.

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ ﴾ «مَا» بمعنى «من»، والمراد بها: الله تعالى، وعدل عن «مَنْ» لقصد الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى.

(١) في أ: «ستره».

وقيل : هي مصدرية .

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ : « والذكر والأنثى »<sup>(١)</sup> .

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه : إن عملكم مختلف ، فمنه حسنات ومنه سيئات .

و﴿شَقَّ﴾ جمع شَتَّيت .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أي : أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك ، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء ، واتقى الله .

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي : بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ، ولذلك عبّر عنه بعضهم بأنها : « لا إله إلا الله » ، أو بالمشوبة الحسنى وهي الجنة .

وقيل : يعني : الأجر والثواب على الإطلاق .

وقيل : يعني : الخلف على المنفق .

﴿فَسَيَّرُهُ لِلْبُئْرَى﴾ أي : نهَّيَّوه للطريقة اليسرى ، وهي فعل الخيرات وترك السيئات .

و ضد ذلك ﴿فَسَيَّرُهُ لِلْبُئْرَى﴾ .

ومنه قوله ﷺ : « اعلموا فكل ميسر لما خلق له »<sup>(٢)</sup> ، أي : يهيؤه الله لما قدر له ، ويسهل عليه فعل الخير أو الشر .

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦١) ، ومسلم (٨٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ، ومسلم (٢٦٤٧) .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) أي: بخل بماله، أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة ﴿أَعْطَى﴾، كما أن ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ في مقابلة ﴿أَنْقَى﴾، و﴿وَكَذَبَ بِالْحَسَنِ﴾ في مقابلة ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ﴾ (٦)، و﴿فَسَيَّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ في مقابلة ﴿فَسَيَّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

ومعنى ﴿وَاسْتَغْنَى﴾: استغنى عن الله فلم يطعه.

أو استغنى بالدنيا عن الآخرة.

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم.

وقيل: نزلت في أبي الدحداح، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية، وإنما أسلم أبو الدحداح في المدينة.

وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَسَيَّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٠)، وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) هذا نفي، أو استفهام بمعنى الإنكار.

واختلف في معنى ﴿تَرَدَّى﴾ على أربعة أقوال:

الأول: تردى أي: هلك، فهو مشتق من الردى وهو الموت.

[٢-] أو تردى أي: سقط في القبر.

[٣-] أو سقط في جهنم.

[٤-] أو تردى بأكفانه، من الرداء.

﴿إِنَّ عَيْنَنَا لَلْهَدَىٰ ۝١١﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية، خلافاً للمعتزلة<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَنْذَرْنَاكَ نَارًا تَلْقَىٰ﴾ مخاطبة:

من الله.

أو من النبي ﷺ على تقدير: «قل».

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ استدلال المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٢﴾.

وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى: لا يصلها صليّ خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد ناراً مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بـ ﴿الْأَشْقَى﴾ كافراً معيناً، وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به ﴿الْأَفْقَى﴾، وهو أبو بكر الصديق؛ فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص، لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَسَّرَكَ﴾ من أداء الزكاة.

أو من الزكاء؛ أي:

يصير زكياً عند الله.

أو يتطهر من ذنوبه.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في صفحة ٥٦١.

وهذا الفعل :

بدل من ﴿الَّذِي يُؤْتِي﴾ .

أو حال من الضمير .

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ (١٩) ﴿أَيَ﴾ : لا يفعل الخير جزاءً على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم ، بل يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله .

وقيل : المعنى لا يقصد جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل .

والأول أظهر ، ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالاً قالت قريش : كان لبلال عنده يد متقدمة ، فنفى الله قولهم .

﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٠) ﴿استثناء منقطع .

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢١) ﴿وعدُّ بأن يرضيه الله في الآخرة .



## ﴿ سورة الضحى ﴾

[﴿ وَالضُّحَى ١ ﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ٢ ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣ ﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ٤ ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٥ ﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَخَاوَى ٦ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٧ ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ٨ ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾ ] .

﴿ وَالضُّحَى ١ ﴾ ﴿ ذكر في « الشمس وضحاها » <sup>(١)</sup> .

﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ٢ ﴾ ﴿ فيه أربعة أقوال :

[١-] إذا أقبل .

[٢-] وإذا أدبر .

[٣-] وإذا أظلم .

[٤-] وإذا سكن ؛ أي :

استقر واستوى .

أو سكن فيه الناس والأصوات ، ومنه : « ليلة ساجية » : إذا كانت ساكنة الريح ، و« طَرَفٌ ساجٍ » أي : ساكن غير مضطرب النظر .

(١) انظر صفحة ٦٩٦ .



وهذا أقرب في الاشتقاق، وهو اختيار ابن عطية<sup>(١)</sup>.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال: من الوداع.

وقرئ بتخفيفها بمعنى: ما تركك، والوداع مبالغة في الترك.

﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: ما أبغضك.

وحذف ضمير المفعول من ﴿قَلَى﴾ و﴿فَتَاوَى﴾ و﴿فَهَدَى﴾ و﴿أَغْنَى﴾ اختصاراً؛ لظهور المعنى، ولموافقة رؤوس الآي.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي، فقالت قريش: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فنزلت تكذيباً لهم.

وقيل: رُمي ﷺ بحجر في إصبعه فدميت، فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة: حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى: حالة قبل نزولها<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إِذْ نُنْزِلُ الْأَرْضَ أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن.

(١) المحرر الوجيز (٨/٦٣٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٣٩).

(٣) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره «الكشف والبيان» (٣٠/٤٨٢).

وقال ابن عباس : رضاه : أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم .

وقيل : رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره .

والصحيح أنه وعدٌ يعمُّ كل ما أعطاه في الآخرة ، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك .

﴿أَلَمْ يَخْذَكَ يَتِيمًا فَتَأَوَّى ۝١﴾ عَدَّدَ اللهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ فيما مضى من عمره ؛ ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ، ويقوى رجاؤه .

و«وَجَدَ» في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين ، وهي بمعنى : «علم» ؛ فالمعنى : ألم تكن يتيمًا فأواك ؟ ، وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه ، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل : ثمانية ، فكفله جدُّه عبد المطلب ، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا ، فكفله عمه أبو طالب .  
وقيل : لجعفر الصادق : لم نشأ النبي ﷺ يتيمًا ؟ فقال : لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق .

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧﴾ فيه ستة أقوال :

أحدها : وجدك ضالًّا عن معرفة الشريعة فهذاك إليها ، فالضلال عبارة عن التوقُّف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله ، فهو كقوله : ﴿مَا كُنْتُ نَذْرِي مَا أَلِكْتُبُ وَلَا أَلَيْسَنُ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وهذا هو الأظهر ، وهو الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup> وغيره ، ومعناه : أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى

(١) المحرر الوجيز (٨ / ٦٤٠) .

بعثه الله ، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به ؛ لأنه كان معصوماً من ذلك من قبل النبوة وبعدها .

الثاني : وجدك في قوم ضلّال ، فكأنك واحد منهم ، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون ، وهذا قريب من الأول .

الثالث : وجدك ضالاً عن الهجرة فهذاك إليها ، وهذا ضعيف ؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة .

الرابع : وجدك حامل الذكر لا تُعرف ، فهدي الناس إليك وهداهم بك ، وهذا بعيد عن المعنى المقصود .

الخامس : أنه من الضلال عن الطريق ، وذلك أنه ﷺ ضلّ في بعض شعاب مكة ؛ أي : تَلَفَ وهو صغير ، فردّه الله إلى جده .

وقيل : بل ضلّ من مرضعته حليلة ، فردّه الله إليها .

وقيل : بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب .

السادس : أنه من الضلال بمعنى المحبة<sup>(١)</sup> أي : وجدك محباً لله فهذاك إليه ، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ، ﴿ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴾ [يوسف : ٩٥] ؛ أي : محبتك ليوسف ، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير .

﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴾ (٨) العائل : الفقير ، يقال : عال الرجل فهو عائل : إذا كان محتاجاً ، وأعال فهو مُعِيل : إذا كثر عياله .

(١) في أ ، هـ : «أنه بمعنى الضلال من المحبة» ! .

وهذا الفقر والغنى هو في المال.

وغناه<sup>(١)</sup> ﷺ: هو أن أعطاه الله الكفاف.

وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله.

وقيل: المعنى: وجدك فقيراً إليه فأغناك به.

﴿فَأَمَّا اللَّيْلُ فَلَا تَنهَرُ﴾ ④ أي: لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه.

أو لا تقهره بالمنع من مصالحه.

ووجوه القهر كثيرة، والنهي يعم جميعها.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنهَرُ﴾ النَّهْرُ: هو الانتهاز والزجر، فالنهي عنه أمر بالقول

الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

ويحتمل ﴿السَّائِلَ﴾ أن يريد به:

سائل الطعام والمال، وهذا هو الأظهر.

أو السائل عن العلم والدين.

وفي قوله ﴿نَهَرُ﴾ و﴿نَهَرُ﴾ لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ⑤ قيل: معناه: بُثَّ القرآن وبلغ الرسالة.

والصحيح أنه عموم جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم

شكر»<sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، هـ: «وغناؤه».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٢٤٢).

ولذلك كان بعض السلف يقول: «لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا»، وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقنتى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز.

وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا:

[١-] فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١﴾.

[٢-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝٢﴾ على قول من قال إنه السائل عن العلم.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝٣﴾ على القول الآخر.

[٣-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِ ۝٤﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝٥﴾ على القول الأظهر.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝٦﴾ على القول الآخر.

## ﴿ سورة ألم نشرح ﴾

[﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧ ﴾].

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره ﷺ، وتعدد ما ذكر بعده من النعم.

وشرح صدره ﷺ: هو اتساعه لتحصيل العلم، وتنويره بالحكمة والمعرفة. وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء، حين أخرج قلبه وغسله.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: - قول الجمهور -: أن الوزر: الذنوب، ووضعها: هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢٤]، وهذا على قول من جَوَزَ صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة.

الثاني: أن الوزر: هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا: هو إعانته عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر: هو تحيُّره قبل النبوة؛ إذ كان يرى أن قومه على

ضلال، ولم يأت من الله أمر واضح، فوضعه على هذا: هو بالنبوة والهدى للشرعة.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٢) عبارة عن ثَقُلِ الوزر المذكور وشدته عليه.

قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثَقْل، وهي صغائر مغفورة لهم؛ لهمم بها وتحسّرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله.

وهذا كما جاء في الأثر: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه»<sup>(١)</sup>.

واشتقاق ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

من نقض البنيان وغيره.

أو من النقيض، وهو الصوت؛ فكأنه يُسمع لظهره نقيض كنقيض ما يُحمل عليه شيء ثَقِيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (١) أي: نَوَّهنا باسمك وجعلناه شهيراً في المشارق والمغارب.

وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: إن الله قال له: «إذا ذكرتُ ذكرتُ معي»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٤/٢٤).

فإن قيل : لم قال : ﴿لَكَ ذِكْرُكَ﴾ و ﴿لَكَ صَدْرُكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ﴿لَكَ﴾ ؟

فالجواب : أن قوله : ﴿لَكَ﴾ تدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره .

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد باليسر بعد العسر ، وإنما ذكره بلفظ ﴿مَعَ﴾ التي تقتضي المقارنة<sup>(١)</sup> ، ليدل على قرب اليسر من العسر .

فإن قيل : ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟

فالجواب : أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسْر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ، فوعده الله باليسر ، وقدّم تعديد النعم تسليية وتأنيسًا ؛ لتطيب نفسه ويقوى رجاءه ، كأنه يقول : إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدّل لك هذا العسر بيسر قريب ، ولذلك كرر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغةً ، وقال رسول الله ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين»<sup>(٢)</sup> ، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود .

وتأويله : أن العسر المذكور في هذه السورة واحد ؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك : «جاءني رجل فأكرمت الرجل» ، واليسر اثنان ؛ لتذكيره .

وقيل : إن اليسر الأول : في الدنيا ، والثاني : في الآخرة .

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) هو من النصّب بمعنى التعب ، والمعنى : إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر .

(١) في أ ، هـ : «المقاربة» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٩٥) .



ثم اختلف في تعيين الأمرين :

فقليل : إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل .

وقيل : إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء .

وقيل : إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك .

﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ﴿٨﴾ قدم الجار والجرور؛ ليدل على الحصر؛ أي :

لا ترغب إلا إلى ربك وحده .

## ﴿ سورة التين ﴾

[﴿وَالْزَيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْرَمَ الْخَٰكِمِينَ ۝٨﴾].

﴿وَالْزَيْتُونِ ۝١﴾ فيها قولان:

الأول: أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما؛ لفضيلتهما على سائر الثمار.

روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً فقال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من الثَّقرس»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما:

ف قيل: هما جبلان بالشام، أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون.

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب (٢/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٣٩).

وقيل: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقيل: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إبراهيم.

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى، والبلد الذي بعث منه محمدًا ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران، وهي مكة<sup>(١)</sup>.

وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة؛ لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سَيْنَ﴾ هو الجبل الذي كلم عليه موسى وهو بالشام، وأضافه الله إلى ﴿سَيْنَ﴾.

ومعنى ﴿سَيْنَ﴾: مبارك، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة.

وقيل: معناه: ذو الشجر، واحدها سينينة، قاله الأخفش.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتُحرَّك النون بحركات الإعراب.

﴿وَهَذَا أَلْبَلَدُ الْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق.

و﴿الْأَمِينِ﴾:

من الأمانة.

أو من الأمن؛ لقوله: ﴿أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) فيه قولان:

أحدهما: أن حُسْنَ التقويم (١) هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و﴿أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾: الضعف والهزم والخرف، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعد هذا: غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع، بمعنى: «لكن»؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والآخر: أن حُسْنَ التقويم: الفطرة على الإيمان و﴿أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾ الكفر، أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل؛ لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يُردُّوا أسفل سافلين.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر (٢).

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ (٧) فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين: شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك؟

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، والدين على هذا: الشريعة أو الجزاء الأخراوي، ومعنى ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ على هذا: يجعلك كاذبًا؛ لأن من

(١) في أ، هـ: «أحسن».

(٢) انظر صفحة ٦.

أنكر فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردّك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا؛ فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء<sup>(١)</sup>؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْخَائِضِينَ﴾ ﴿٨﴾ تقرير ووعد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون.

وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب، د: «والحساب».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٥/٢٤).

## ﴿ سورة العلق ﴾

نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب<sup>(١)</sup>.

[﴿ أَفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَطِئٌ ⑥ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑬ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ⑯ فَنُدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ⑱ كَلَّا لَا تُلْفَعُهُ ⑳ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ㉑ ﴾ ] .

﴿ أَفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن معناه : اقرأ القرآن مفتتحًا باسم ربك ، أو متبركًا باسم ربك .

وموضع ﴿ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ نصبٌ على الحال .

وإذا كان تقديره : مفتتحًا ، فيحتمل أن يريد :

ابتداء القراءة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(١) انظر : (١/٦٣) .

أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً .

والوجه الثاني: أن معناه: اقرأ هذا اللفظ وهو ﴿يَاسِىَ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ فيكون ﴿يَاسِىَ رَبِّكَ﴾ مفعولاً، وهو المقروء .

﴿الَّذِى خَلَقَ﴾ حذف المفعول؛ لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء، ثم خصّص خِلقة الإنسان؛ لما فيه <sup>(١)</sup> من العجائب والعبّر .

ويحتمل أن أراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ١-٣]، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾ .

والعلق: جمع علقَة، وهي القطعة <sup>(٢)</sup> من الدم .

والمراد بـ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هنا: جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة، بخلاف قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥]؛ لأنه أراد كل واحد على حدته .

ولم يدخل آدم في الإنسان هنا؛ لأنه لم يخلق من علقَة وإنما خلق من طين .

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيداً، والواو للحال .

والمقصود: تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أمرت به؛ فإن ربك كريم .

(١) في ب، د: «فيها» .

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «النطفة» .

وصيغة «أفعل» للمبالغة.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخصّ من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم».

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥) يحتمل أن يريد بهذا:

تعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره.

أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق.

وقيل: إن الإنسان هنا: محمد ﷺ.

والأظهر: أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٦) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل

بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ.

و﴿كَلَّا﴾ هنا يحتمل أن تكون:

زجرًا لأبي جهل.

أو بمعنى حقًا.

أو استفتاحًا.

﴿أَن رَّاهُ أَشْفَى﴾ (٧) في موضع المفعول من أجله؛ أي: يطغى من أجل

غناه<sup>(١)</sup>.

(١) في ب: «ماله».



والرؤية هنا: بمعنى العلم، بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى.  
و﴿أَسْتَغْنَى﴾ هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوءَ﴾ ﴿١١﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.  
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿١٢﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى: هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه: أبو جهل لعنه الله.

وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهمم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي، لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبًا، فقيل له: ما هذا<sup>(١)</sup>؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْأُفُقَيْنِ ﴿١٤﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده: بمعنى «أخبرني»؛ فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجب<sup>(٣)</sup> والتوقيف.

والخطاب فيها يحتمل أن يكون:

للنبي ﷺ.

أو لكل مخاطب من غير تعيين.

(١) في د: «ما منعك».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(٣) في أ، هـ: «التعجب».

وهي تتعدى إلى مفعولين .

وجاءت بعدها ﴿إِنْ﴾ الشرطية في موضعين ، وهما : قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى  
الْهْدَى﴾ وقوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ .

فيحتاج إلى الكلام :

في مفعولي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في المواضع الثلاثة .

وفي جواب الشرطين .

وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال ، وهي ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهْدَى﴾ ، و﴿أَمَرَ  
بِالنَّفْوَى﴾ ، و﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ، على من تعود هذه الضمائر ؟

فقال الزمخشري : إن قوله : ﴿الَّذِي بَيْنَهُ﴾ هو المفعول الأول لقوله :  
﴿أَرَأَيْتَ﴾ الأولى ، وإن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول  
الثاني ، وكررت ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بعد ذلك للتأكيد ، فهي زائدة لا تحتاج إلى  
مفعول .

وإن قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٧) هو جواب قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ، وإن  
جواب قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهْدَى﴾ محذوف يدل عليه جواب قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ  
وَتَوَلَّى﴾ ، فهو في المعنى جواب للشرطين معاً .

وإن الضمير في قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهْدَى﴾ (١١) أو أَمَرَ بِالنَّفْوَى (١٢) للذي نهى  
عن الصلاة ، وهو أبو جهل ، وكذلك الضمير في قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ .

وتقدير الكلام على هذا : أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى ، إن كان  
هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى ؛ ألم يعلم بأن الله يرى جميع

أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك؟<sup>(١)</sup>

فمقصود الآية: تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه.

وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أو ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ للعبد الذي صلى، وإن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ للذي نهى عن الصلاة.

وخالفه أيضاً في جعله ﴿أَرَاءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وإن جوابها في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَكَةً فِي الْغَزَا﴾؛ فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصاراً<sup>(٢)</sup>.

وخالفهما الغزنوي أيضاً في الجواب فقال: إن جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ محذوف، فقال: إن تقديره: «إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب؟»، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى، وفاقاً لابن عطية.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يأخذ<sup>(٣)</sup> بناصيته فيلقى في النار.

والناصية مقدم الرأس، فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

والسَّفَع: هو الجذب والقبض على الشيء.

(١) الكشف (١٦/٥١٥-٥١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٥٤).

(٣) في ب: «بأخذه».

وقيل: هو الإحراق، من قولك: سفعته النار.

وأكد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالآلف مراعاة للوقف عليها.

ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجرّ إلى القليب.

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من ﴿النَّاصِيَةِ﴾، ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزًا، والكاذب الخاطئ في الحقيقة: صاحبها.

والخاطئ: الذي يفعل الذنب متعمدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير قصد.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ④ النادي والندي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس. وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد!، فوالله ما بالوادي أعظم نديًا مني، فنزلت الآية تهديدًا وتعجيزًا له.

والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدرُوا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم، وهم الملائكة الموكلون بالعذاب.

والزبانية في اللغة: الشرط، واحدهم زبينة، وقيل: زبني.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/٣٤٠).

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: تقرب إلى الله بالسجود، كما قال رسول الله ﷺ:  
«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»<sup>(١)</sup>.  
وهذا موضع سجدة عند الشافعي، وليست عند مالك من عزائم السجود.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

## ﴿ سورة القدر ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾ [١-٥].

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً ؛ وهي :

[١-] أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان .

[٢-] وليلة ثلاث وعشرين .

[٣-] وليلة خمس وعشرين .

[٤-] وليلة سبع وعشرين .

[٥-] وليلة تسع وعشرين .

فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر<sup>(١)</sup> من رمضان ، على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر .

وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر<sup>(٢)</sup> ، فجعل ليالي الأوتار :

[٦-] ليلة ثلاثين ؛ لأنها الأولى .

(١) في أ : «الأخر» .

(٢) في د : «العشر» .

[٧-] ليلة ثمان وعشرين ؛ لأنها الثانية .

[٨-] ليلة ست وعشرين ؛ لأنها الخامسة .

[٩-] ليلة أربع وعشرين ؛ لأنها السابعة .

[١٠-] ليلة اثنين وعشرين ؛ لأنها التاسعة .

فهذه خمسة أقوال آخر ، فتلك عشرة أقوال .

والقول الحادي عشر : أنها تدور في العشر الأواخر ، ولا تثبت في ليلة واحدة منه .

الثاني عشر : أنها مخفية في رمضان كله ، وهذا ضعيف ؛ لقوله ﷺ : «التمسوها في العشر الأواخر»<sup>(١)</sup> .

الثالث عشر : أنها مخفية في العام كله .

الرابع عشر : أنها ليلة النصف من شعبان .

وهذان القولان باطلان ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان .

القول الخامس عشر : أنها رفعت بعد النبي ﷺ ، وهذا ضعيف .

القول السادس عشر : أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ؛ لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة .

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢١) ، ومسلم (١١٦٥) .

وأرجح الأقوال: أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم<sup>(١)</sup> وغيره.

والأشهر: أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾ الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن، دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر؛ دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أنزلناه<sup>(٢)</sup> في شأن ليلة القدرة وذكرها، وهذا ضعيف.

وسميت ليلة القدر:

من تقدير الأمور فيها.

(١) أخرجه مسلم (١١٦٧)، (١١٦٨)، (٧٦٢).

(٢) في ب، ج: «إنزاله».



أو من القَدْر بمعنى الشرف .

ويترجع الأول بقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ (٢) هذا تعظيم لها .

قال بعضهم : كل ما قال فيه « ما أدراك » فقد علمه النبي ﷺ ، وما قال فيه : « ما يدريك » فإنه لم يعلمه<sup>(١)</sup> .

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٣) معناه : أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر .

قال بعضهم : يعني : في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر<sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٣)</sup> .

وسبب الآية : أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً ممن تقدم عبد الله ألف شهر ، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك ، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة في تلك المدة الطويلة .

وروي أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عوتب حين بايع معاوية فقال : إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزؤون على منبره نزوء القردة ، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر ، فاهتم لذلك ، فأعطاه الله ليلة

(١) قاله ابن عينة ، كما في صحيح البخاري (٤٥ / ٣) .

(٢) في أ ، ج ، د : « القدر » .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) .

القدر، وهي خير من مدة ملك بني أمية ألف شهر<sup>(١)</sup>، ثم كُشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر.

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمُ﴾ الروح هنا: جبريل عليه السلام.

وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة.

وتنزلهم: هو إلى الأرض.

وقيل: إلى السماء الدنيا.

وهو تعظيم لليلة القدر، ورحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام، فإنه روي أن الله يُعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمثلوا ذلك في العام كله.

وقيل على هذا المعنى: إن ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء؛ أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف.

وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات.

قال مجاهد: لا يصيب أحدًا فيها داء.

(١) أخرجه الحاكم (٥٢٧/٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥١١/٦)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٨/١١).

والأظهر: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾.

واختلف في معنى ﴿سَلَّمَ﴾:

ف قيل: إنه من السلامة.

وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها.

وكذلك اختلف في إعرابه:

ف قيل: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلاً مع ما قبله أو منقطعاً عنه.

وقيل: ﴿سَلَّمَ﴾ خبر مبتدأ مضمّر، تقديره: أمرها سلام، أو: القول فيها سلام، و﴿هِيَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؛ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر.

ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

وقال ابن عباس: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.

## ﴿سورة لم يكن﴾

[لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رِسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧].

ذكر الله الكفار، ثم قسمهم إلى صنفين: أهل الكتاب، والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿مُنْفَكِينَ﴾: منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة؛ لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى بعثه (١) الله.

(١) في ب: «يبعثه».

الثالث : -اختاره ابن عطية- وهو : لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته ، حتى يبعث الله إليهم رسولاً يقيم عليهم الحجة<sup>(١)</sup> .

الرابع : - وهو الأظهر عندي - : أن المعنى : لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى يبعث الله لهم محمداً ﷺ ، فقامت عليهم الحجة ؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ، فلما بعثه لم يبق لهم عذر ولا حجة .

﴿مُنْفَكِينَ﴾ على هذا كقولك : لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا .  
﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

وإعرابه :

بدل من ﴿الْبَيِّنَةِ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني : القرآن في صحفه .

﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٢) أي : قائمة<sup>(٢)</sup> بالحق مستقيمة المعاني ، ووزن ﴿قِيمَةٌ﴾ : فِعْلَةٌ ، وفيه مبالغة .

قال ابن عطية : هذا على حذف مضاف تقديره : فيها أحكام كتب<sup>(٣)</sup> .

ولا يحتاج إلى هذا الحذف ؛ لأن الكتب بمعنى المكتوبات .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٢-٦٦٣) .

(٢) في أ ، هـ : «قيمة» .

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٣) .

﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق.

ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [فصلت: ٤٥].

وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة محمد ﷺ، بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ الآية؛ معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، ولكنهم حرفوا وبدلوا.

ويحتمل أن يكون المعنى: ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلا شيء ينكرونه ويكفرون به؟

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد: هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال: هو الشرك الخفي، وهو الرياء.

قال رسول الله ﷺ: «الرياء شرك الأصغر»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملاً

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠).

أشرك فيه غيري تركته وشريكه»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.  
فأما المأمورات: فالإخلاص فيها: عبارة عن خلوص النية لوجه الله،  
بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول.  
وإن كانت النية لغير وجه الله؛ من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير  
ذلك: فالعمل رياء محض مردود.

وإن كانت النية مشتركة: ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال.  
وأما المنهيات: فإن تركها دون نية خرج عن عهدها، ولم يكن له أجر في  
تركها.

وإن تركها بنية وجه الله: حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر.  
وأما المباحات: كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك: فإن فعلها بغير نية  
لم يكن له فيها أجر.

وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر؛ فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا  
قصد به وجه الله؛ مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع  
التعفف عن الحرام.

﴿حُفَاءٌ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر<sup>(٢)</sup>.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، ولفظة: «أنا أغنى الشركاء..»، وليس: «الأغنياء».

(٢) انظر المقدمة في اللغات المادة (١٣١).

وقد فسرنا ﴿الْقِيَمَةَ﴾ .

ومعناه : أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام ؛ فلا شيء لا يدخلون فيه ؟

﴿الْبَرِيَّةِ﴾ الخلق ؛ لأن الله برأهم ؛ أي : أوجدتهم بعد العدم .

وقرئ :

بالهمز ، وهو الأصل .

وبالياء ، وهو تخفيف من المهموز ، وهو أكثر استعمالاً عند العرب .

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة ؟

فرضاهم عن الله في الدنيا : هو الرضا بقضائه والرضا بدينه ، قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسلاً »<sup>(١)</sup> .

ورضاهم عنه في الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها .

ورضا الله عنهم : كما ورد في الحديث أن الله يقول : « يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : يا ربنا ! وأي شيء نريد »<sup>(٢)</sup> وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : عندي أفضل من ذلك ، وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً »<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه مسلم (٣٤) .

(٢) في أ ، هـ : « تزيد » .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .



﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: لمن خافه.

وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة»<sup>(١)</sup>.



---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٠١) موقوفاً على ابن مسعود: «رأس الحكمة مخافة الله ﷻ»، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ».

## ﴿ سورة إذا زلزلت ﴾

[﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ③ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ④ يَأْنِ رَبُّكَ أُوحِيَ لَهَا﴾ ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُسْرُوا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ أي: حُرِّكَتْ واهتزت.

و﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلاً؛ كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظمة جرمها<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ② يعني: الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور.

وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ③ أي: يتعجب من شأنها، فيحتمل أن يريد:

جنس الإنسان.

أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن.

(١) قال في المحرر الوجيز (٦٦٦/٨): «وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أبلغ من قوله: «زلزالاً» دون إضافة إليها، وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل».

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ① هذا عبارة عما يحدث فيها من الأحوال، فهو مجاز وحديث بلسان الحال.

وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها، فهو حقيقة. و﴿تُحَدِّثُ﴾ يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول منهما، والتقدير: تحدث الخلق أخبارها.

وانتزع بعض المحدثين من قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أن قول المحدث «حدثنا» و«أخبرنا» سواء.

وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾. و﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾. ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ مضمراً، و﴿تُحَدِّثُ﴾ عامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْحَىٰ إِلَيْهَا ②﴾ الباء سببية متعلقة بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحى لها.

ويحتمل أن يكون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْحَىٰ إِلَيْهَا ③﴾ بدلاً من ﴿أَخْبَارَهَا﴾، وهذا كما تقول: «حدثت كذا» و«حدثت بكذا».

والمعنى على هذا: تحدث بحديث الوحي لها.

وهذا الوحي يحتمل أن يكون:

إلهامًا.

أو كلامًا بواسطة الملائكة.

و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

وقيل: معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد.

﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى ﴿أَشْتَاتًا﴾: مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شَتٌّ.

وصدر<sup>(١)</sup> الناس: هو انصرافهم من موضع وِرْدِهِم<sup>(٢)</sup>:

ف قيل: الورد: هو الدفن في القبور، والصّدر: هو القيام للبعث.

وقيل: الورد: القيام للحشر<sup>(٣)</sup>، والصّدر: الانصراف إلى الجنة أو إلى النار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس؛ فيظهر كونهم أشتاتًا.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ المِثْقَال: هو الوزن، والذرة: هي النملة الصغيرة.

والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء.

وذكر الله مِثْقَالَ الذرة؛ تنبيهًا على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلًا أو كثيرًا.

وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يُجازى في الآخرة على حسناته؛ إذ لم تقبل منه.

(١) في ب: «وصدور».

(٢) في ب: «ورودهم».

(٣) في ب، ج: «للمحشر».

واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمنٌ في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات.

وروي عن عائشة: أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة؟

وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ هذا على عمومته في حق الكفار.

وأما المؤمنون: فلا يُجزَّون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي:

[١-] أن تكون ذنوبهم كبائر.

[٢-] وأن يموتوا قبل التوبة منها.

[٣-] وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها.

[٤-] وأن لا يشفع فيهم.

[٥-] وأن لا يكونوا ممن استحق المغفرة بعملٍ، كأهل بدر.

[٦-] وأن لا يعفو الله عنهم، فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

## ﴿ سورة العاديات ﴾

[﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪ ﴾ ].

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات؛ هل يراد بها الخيل أو الإبل؟

وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني:

خيل المجاهدين؟

أو الخيل على الإطلاق؟

وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني:

إبل غزوة بدر؟

أو إبل المجاهدين مطلقاً؟

أو إبل الحُجاج؟

أو الإبل على الإطلاق؟

ومعنى ﴿الْعَدِيَّتِ﴾ : التي تعدو في مشيها<sup>(١)</sup>.

والضبح : هو تصويت جهير عند العدو الشديد، ليس بضُها<sup>(٢)</sup>.

وهو مصدر منصوب على تقدير : يضبحن ضبحًا.

أو هو مصدر في موضع الحال، تقديره : العاديات في حال ضبحها.

و﴿الْمُورِيَّتِ﴾ من قولك : أوريت النار : إذا أوقدتها<sup>(٣)</sup>.

والقدح : صك الحجارة، فيخرج منها شعلة نار، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل.

وإعراب ﴿فَدَحًا﴾ كإعراب ﴿صَبَحًا﴾.

و﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ من قولك : أغارت الخيل : إذا خرجت للإغارة على أعدائها.

و﴿صُبْحًا﴾ ظرف زمان ؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿فَأَنزَلَ بِهِ نَقْعًا ۝﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿الْعَدِيَّتِ﴾ وما بعده ؛ لأنه في تقدير : التي تعدو.

والنقع : الغبار.

(١) في ب : «مشيتها».

(٢) في هـ : «بصهيل».

(٣) في ب : «أزندتها».

والضمير المجرور:

للوّقت المذكور، وهو الصبح، فالباء ظرفية.

أو للمكان الذي يقتضيه المعنى، فالباء أيضًا ظرفية.

أو للعدوّ، وهو المصدر الذي يقتضيه ﴿الْعَدِيَّتِ﴾، فالباء سببية.

ومعنى ﴿أَثْرَنَ﴾ حرّكن.

والضمير الفاعل: للإبل أو للخيّل؛ أي: حرّكن الغبارَ عند مشيهنَّ.

﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ معنى ﴿وَسَّطَنَ﴾: توسَّطَنَ.

و﴿جَمْعًا﴾: اختلف هل المراد به:

جمعُ من الناس؟

أو المزدلفة؟؛ لأن اسمها جمعٌ.

والضمير المجرور:

للوّقت.

أو للمكان.

أو للعدوّ.

أو للنفع.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم.

والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور،

و﴿الْإِنْسَانُ﴾: جنس.



وقيل: الكنود: العاصي.

وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عوض<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۖ﴾ الضمير للإنسان؛ أي: هو شاهد على نفسه بكنوده.

وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد.

والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا: المال، كقوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠].

والمعنى: إن الإنسان شديد الحب للمال، فهو ذمٌ لحبه والحرص عليه.

وقيل: الشديد: البخيل، والمعنى على هذا: إنه لبخيل؛ من أجل حب المال.

والأول أظهر.

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي بُحث عنه، وذلك عبارة عن البعث.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ﴾ أي: جُمع في الصحف وأظهر محصلاً.

أو مُيز خيره من شره.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عوض»، معناه عندهم: الذي يعبد الله رغبة في الثواب وخوفاً من العقاب، وهذا مذموم عندهم، وقولهم هذا هو من بدعهم، لكن المصنف رحمه الله حكاه ولم يعلق عليه.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١) الضمير في ﴿رَبَّهُمْ﴾ و﴿بِهِمْ﴾ يعود على الإنسان؛ لأنه يراد به الجنس.

وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، فكان الأصل أن تفتح «إِنَّ»، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويكون معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ محذوفاً، ويكون الفاعل ضميراً يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

ويحتمل عندي: أن يكون فاعل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ ضميراً يعود على الله، والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟، ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد، أو<sup>(٢)</sup> البيان للمعنى المتقدم.

والعامل في ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ على هذا الوجه هو: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾.

والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية: هو المفعول المحذوف.

و﴿إِذَا﴾ هنا ظرفية بمعنى: «حين» و«وقت»، وليست بشرطية.

(١) المحرر الوجيز (٦٧٦/٨).

(٢) في ب، د: «أو».

والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : ﴿خَيْرٌ﴾ .

وإنما خص ذلك بيوم القيامة ؛ لأنه يوم الجزاء ، فقصد التهديد<sup>(١)</sup> ، مع أن الله خير على الإطلاق .

« . . . »

---

(١) في أ ، هـ : «التهويل» .

## ﴿ سورة القارعة ﴾

[﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪ ﴾].

﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بهولها.

وقيل: هي النفخة في الصور؛ لأنها تفرع الأسماع.

﴿ مَا الْقَارِعَةُ ② ﴾ مبتدأ وخبر<sup>(١)</sup>، في موضع خبر ﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾.

والمراد به: تعظيم شأنها، وكذلك ﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ ﴾ العامل في الظرف: محذوف،

دل عليه ﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾، تقديره: تفرع في يوم.

والفراس: هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح.

والمبثوث: هو المنتشر المتفرق، شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم

وانتشارهم وذلتهم.

(١) في ب، د: «وخبره».

ويحتمل أنه شبههم به ؛ لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح .

قال بعض العلماء : الناس في أول قيامهم من القبور كالفراس المبوث ؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر ؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر ؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة<sup>(١)</sup> واحدة .

وقيل : إن الفراش هنا : الجراد الصغار ، وهو ضعيف .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾ العهن : هو الصوف .

وقيل : الصوف الأحمر .

وقيل : الصوف الملون ألوانا .

شبه الله الجبال يوم القيامة به ؛ لأنها تُنسَف فتصير لينة .

وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال ؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء .

﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝﴾ هو جمع ميزان ، أو جمع موزون .

وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور .

وقال قوم : هو عبارة عن العدل .

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝﴾ معناه : ذات رضا عند سيئويه .

(١) في د : «ناحية» .

وَيَقْلُ الموازين: بكثرة الحسنات، وخِفَّتْها: بقلَّتْها.

ولا يَخِفُّ ميزان مؤمن خَفَّةً مُوبِقَةً؛ لأن الإيمان يوزن فيه.

﴿فَأَمَّهُ هَكَوِيَّةٌ﴾ (١٠) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم، سميت بذلك؛ لأن الناس يهوون فيها؛ أي: يسقطون.

و﴿أُمُّهُ﴾ معناه: مأواه، كقولك: «المدينة أم فلان»؛ أي: مسكنه، على التشبيه بالأمّ الوالدة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم: هي الوالدة، و﴿هَكَوِيَّةٌ﴾: ساقطة، وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: «أمه تكلّى»: إذا هلك.

الثالث: أن المعنى: أمُّ رأسه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يُطرح فيها منكوساً.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أمَّ لك»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول: لا أمَّ لك؟، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أردت: لا نار لك، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّهُ هَكَوِيَّةٌ﴾ (١٠)»، وهذا يؤيد القول الأول.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ (١١) الهاء للسكت، والضمير:

لجهنم على القول بأنها هي الهاوية.

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦٧٩/٨) قال: «وروي الميرد أن النبي ﷺ قال: . . . إلخ، ولم أقف على إسناده.

وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث .  
والمقصود: تعظيمها ، ثم فسرهما بقوله : ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ ١١ .



﴿ سورة التكاثر <sup>(١)</sup> ﴾

[﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ دُرُّمُ الْمَقَابِرِ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾].

﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ.

ومعنى ﴿أَلْهَنَكُمُ﴾ : شغلکم.

و﴿التَّكَاثُرُ﴾ : المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء : نحن أكثر، ويقول هؤلاء : نحن أكثر.

ولما قرأها النبي ﷺ قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي !، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» <sup>(٢)</sup>.

﴿حَتَّىٰ دُرُّمُ الْمَقَابِرِ ②﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناه : حتى مُتُّم، فأراد بزيارة المقابر : الدفن فيها.

الثاني : أن معناه : حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر، فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها ؛ لأن بعض العرب تفاخر بآبائه الموتى.

(١) في ج، د : «سورة الهاكم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨).



فالمعنى : ألهاكم التكاثر حتى بلغت فيه إلى ذكر الموتى .

الثالث : أن معناه : زيارة المقابر حقيقة ؛ لتعظيم أهلها والتفاخر بهم ، فيقول : هذا قبر فلان ؛ لِيُشْهَرَ ذِكْرُهُ <sup>(١)</sup> ويعظم قدره .

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ زجر وتهديد ، ثم كرره ؛ للتأكيد ، وعطفه بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول .

وقيل : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ : في القبور ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ : يوم القيامة .

وقيل : الأول : تهديد للكفار ، والثاني : تهديد للمؤمنين .

وحذف مفعول <sup>(٢)</sup> ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وتقديره :

تعلمون ما يحلُّ بكم .

أو تعلمون أن القرآن حق .

أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا .

وإنما حذفه ؛ لقصد التهويل ، فيقدِّر السامعُ أعظمَ ما يخطر بباله .

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف ، تقديره : لو تعلمون لآزدجرتهم واستعددتهم للآخرة ، فينبغي الوقف على ﴿ الْيَقِينِ ﴾ .

ومفعول ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ محذوف أيضا .

(١) في ب : «ليشتهر أمره» .

(٢) في أ ، ب ، ج ، هـ : «معمول» .

و﴿عَلَّمَ الْيَقِينَ﴾ مصدر، ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يُشك فيه.  
قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دارُ الآخرة.  
وقال الزمخشري: معناه: علم الأمور التي تتيقَّنونها بالمشاهدة<sup>(١)</sup>.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (١) هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول  
﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرهما بأنها رؤية  
الجحيم، والتفسير بعد الإيهام يدل على التهويل والتعظيم.  
والخطاب: لجميع الناس، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].  
وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا: يراد بها الدخول فيها.  
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛  
للتهويل والتفخيم.

والعين هنا: من قولك: عين الشيء: نفسه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية  
التي هي نفس اليقين.  
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم  
الدنيا:

فقيل: النعيم: الأمن والصحة.

وقيل: الطعام والشراب.

وهذه أمثلة، والصواب: العموم في كل ما يُتْلَذَّ به، قال رسول الله ﷺ:  
«بَيْتُ يُكِنُّكَ، وَخِرْقَةُ تَوَارِيكَ، وَكِسْرَةُ تَشُدُّ قَلْبَكَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ

نعيم»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «كل نعيم فمُسْوُول عنه إلا نعيم في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>، وأكل يومًا ﷺ مع بعض أصحابه رطبًا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»<sup>(٣)</sup>.

❦ ❦ ❦

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٨١/١٠).

(٢) لم أقف على إسناده.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

## ﴿سورة العصر﴾

[﴿وَالْعَصْرِ ①﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ②﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾].

﴿وَالْعَصْرِ ①﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر، أقسم الله بها؛ لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه العشي، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا: قول أبي بن كعب: سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه الزمان.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ②﴾: جنس، ولذلك استثنى منه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ③﴾ أي: وصّى بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).

(٢) ذكر ابن عطية في تفسيره (٨/٦٨٥) ولم أقف على إسناده.

فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار.  
وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة.



## ﴿ سورة الهمزة ﴾

[وَبَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً ①] الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③  
 ④ كَلَّا لَبِئْدَنَّا فِي الْحُطَمَةِ ⑤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑦ الَّتِي  
 تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ⑧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑩].

﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةً ①﴾ هو على الجملة : الذي يعيب الناس ويأكل أعراسهم .

واشتقاقه : من الهمز واللمز ، وصيغة «فُعْلَةٌ» للمبالغة .

واختلف في الفرق بين الكلمتين :

ف قيل : الهمز في الحضور ، واللمز في الغيبة .

وقيل بالعكس .

وقيل : الهمز باليد والعين ، واللمز باللسان .

وقيل : هما سواء .

ونزلت السورة في الأخنس بن شريق ؛ لأنه كان كثير الوقعة في الناس .

وقيل : في أمية بن خلف .

وقيل : في الوليد بن المغيرة .

ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات .  
﴿وَعَدَدٌ﴾ أي : أحصاء وحافظ على عدده أن لا ينقص ، فمنعه من  
الخيرات .

وقيل : معناه : استعدّه وذخره<sup>(١)</sup> عُدَّةٌ لحوادث الدهر .  
﴿يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ أي : يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله  
يُخْلَدُه في الدنيا .

وقيل : يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد .  
﴿كَلَّا﴾ ردُّ عليه فيما ظنه .  
﴿لَيَبْدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف .  
و﴿الْخُطْمَةُ﴾ هي جهنم ، وإنما سميت خُطْمَةً ؛ لأنها تَحِطُّم ما يلقي  
فيها وتلتهبه ، وقد عَظَّمَهَا بقوله : ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ ، ثم فسرها بأنها ﴿نَارُ اللَّهِ  
الْمُوقَدَةُ﴾ .

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾ أي : تبلغ القلوب بإحراقها .  
قال ابن عطية : يحتمل أن يكون المعنى : أنها تَطَّلِع على ما في القلوب من  
العقائد والنيات بإطلاع الله إياها<sup>(٢)</sup> .  
﴿مُوصَدَّةٌ﴾ مغلقة .

(١) في ب : «وادخره» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٨٨) .

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) الْعَمَدُ: جمع عمود، وهو عند سيويه اسم جمع.

وقرئ ﴿عُمْدٍ﴾ بضمتين.

والعمود: هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة: الطويلة.

وفي المعنى قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم، ثم مُدَّت على أبوابها عَمَدٌ؛ تشديداً في الإغلاق والثِّقَاف، كما تُثَقَّفُ أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بـ ﴿مُوصَدَّةٌ﴾.

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في الْعَمَد، فالمجرور على هذا: في موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره: هم موثوقون في عمد.



## ﴿ سورة الفيل ﴾

نزلت هذه السورة منبّهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من <sup>(١)</sup> قدرة الله وشدة عقابه.

وقد ذكرت القصة في كتاب السّير وغيره، واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتاً باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عربيّ وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريباً منها فرأ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مّتي بعير فكلّمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربّاً سيمنعه، فبرك الفيل <sup>(٢)</sup> بذئ الغميس، ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هزول، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضّعه <sup>(٣)</sup> بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً، وقيل: خضراً، عند كل طائر ثلاثة

(١) في ب: «من عجائب».

(٢) في د: «فلما توجه إليها برك الفيل».

(٣) أي: وخزوه بالمبضع، وهو آلة يشق بها الجلد. ناج العروس.

أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجُدري والأسقام، وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة.

[﴿أَلَمْ نَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ① ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ ② ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ③ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ④ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ⑤].

﴿أَلَمْ نَرِ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾، لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

والجملة معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئاً بعد شيء.

قال الزمخشري: واحدها إِبَالَةٌ<sup>(١)</sup>.

وقال جمهور الناس: هو جمعٌ لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحِمَّة.

قال ابن عباس: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيز من هذه الحجارة، وإنها كانت مخططة بحُمْرة.

(١) الكشاف (١٦/٥٨٢).

وروي: أنه كان على كل حجر اسمٌ مَنْ يقع عليه مكتوبًا .

﴿سَجِيلٌ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup> .

﴿كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ﴾ العصف: ورق الزرع ويَبْنُه، والمراد: أنهم صاروا رميمًا .

وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه :

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته ، فجمع التلف والخسّة ولكن الله كُنِيَ عن هذا على حَسَبِ أدب القرآن .

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود .

الثالث: أنه أراد كعصفٍ مأكولٍ زرْعُه ، وبقي هو لا شيء .

.....

(١) انظر: (٦٠٤/٢) .

## ﴿ سورة قريش ﴾

[﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ① إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا آلِبَتٍ ③ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④﴾].

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ① إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ قريش : هم حيٌّ من عرب الحجاز الذين من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريش إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت؛ نحو بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم.

وإنما سميت القبيلة قريشاً؛ لتقرشهم، والتقرش: التكسب، وكانوا تجاراً. وعن معاوية أنه سأل ابن عباس: بم سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى.

وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام. وقيل: كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام.

وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة؛ لسكنائهم بها.

والإيلاف: مصدر من قولك: ألفت المكان: إذا ألفتته.

وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال ألفت الرجل الشيء، وألفه إياه غيره.

فالمعنى :

على القول الأول : أن قريشاً أَلِفُوا رحلة الشتاء والصيف .

وعلى الثاني : أن الله أَلَفَهُم الرحلتين .

واختلف في تعلق قوله : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ﴾ على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه متعلق بقوله : ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ ، والمعنى : فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين ؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم .

الثاني : أنه يتعلق بمحذوف تقديره : اعجبوا لإيلاف قريش .

الثالث : أنه يتعلق بسورة الفيل ، والمعنى : أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، فهو يتعلق بقوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال .

ويؤيد هذا : أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما ، وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب .

وذكر الله الإيلاف أولاً مطلقاً ، ثم أبدل منه الإيلاف المقيّد بالرحلتين ؛ تعظيماً للأمر .

ونضبُ ﴿رِحْلَةً﴾ ؛ لأنه مفعول بـ ﴿إِلْفِهِمْ﴾ .

وقال : ﴿رِحْلَةً﴾ وأراد : «رحلتين» ، فهو كقول الشاعر :

كَلِمَا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ نَعَفُوا<sup>(١)</sup>

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ هذا إقامة حجة عليهم ، واستدعاء لهم

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه : «فإن زمانكم زمنٌ خبيصٌ» ، وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» (٢١٠/١) ولا يعرف قائله .

بملاطفة، وتذكير بالنعمة.

والبيت: هو المسجد الحرام.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد:

إطعامهم بسبب الرحلتين، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف.

ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد، بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهو قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ يحتمل أن يريد:

آمنهم من خوف أصحاب الفيل.

ويحتمل أن يريد: آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقد فسرناه في موضعه<sup>(١)</sup>.

أو يعني: آمنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين، لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم.

وقيل: آمنهم من الجُذام، فلا ترى بمكة مجذومًا.

قال الزمخشري: التذكير في ﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍ﴾؛ لشدة لهما<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: (١/٣٦٢).

(٢) الكشف (١٦/٥٨٩).

## ﴿سورة أرأيت﴾

[﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتيمَ ②  
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ  
⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦﴾].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ①﴾ قيل : إن هذا نزل في أبي جهل أو<sup>(١)</sup>  
أبي سفيان بن حرب .

وقيل : هو مطلق .

والدين هنا : الملة ، أو الجزاء .

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتيمَ ②﴾ أي : يدفعه بعنف ، وهذا الدفع  
يَحْتَمِلُ أن يكون :

عن إطعامه والإحسان إليه .

أو عن ماله وحقوقه ، وهذا أشد .

والذي لا يحض على طعام المسكين لا يُطعمه من باب أولى .

وهذه الجملة هي جواب ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ؛ لأن معناها : «أخبرني» ، فكأنه  
سؤال وجواب .

(١) في أ ، ب ، د : «و» .

والمعنى : انظر<sup>(١)</sup> الذي كذب بالدين ؛ تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة .

وإنما ذلك ؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات .  
فمقصود الكلام : ذم الكفار وأحوالهم .

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ قيل : إن هذا نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ، والسورة على هذا نصفها مكّي ونصفها مدني ، قاله أبو زيد السهيلي<sup>(٢)</sup> .

وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية ، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها ، إنما هي من صفات الذين كانوا بالمدينة ، لاسيما على قول من قال : إنها في عبد الله بن أبي .

وقيل : إنها مكية كلها ، وهو الأشهر ، ونزل آخرها - على هذا - في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان .  
وقيل : مدنية .

والسهو عن الصلاة : هو تركها ، أو تأخيرها تهاوئاً بها .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : «الذين يؤخرونها عن وقتها»<sup>(٣)</sup> .

(١) في ب زيادة : «إلى» .

(٢) التعريف والإعلام ، للسهيلي (ص : ٣٩١) ، والسهيلي يُكنى بأبي القاسم وأبي زيد .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٣/٢٤) .



وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم».

﴿الَّذِينَ هُمْ بِرِئَاءَتِكَ﴾ هو من الرياء؛ أي: صلاتهم رياء للناس، لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧) فيه وصفٌ لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس.

وفي ﴿الْمَاعُونَ﴾ أربعة أقوال:

الأول: أنه الزكاة.

الثاني: أنه المال بلغة قريش.

الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدلو، والمِقَصَّ.

وسئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: «الماء، والنار، والملح»<sup>(١)</sup> وزاد في بعض الطرق: «الإبرة، والخمير»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٣).

(٢) لم أقف على إسناد لهذه الرواية.

## ﴿ سورة الكوثر ﴾

[﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❶ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَر ❷ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ❸ ﴾].

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر: بناء مبالغة من الكثرة.

وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس، وتَّمَّمه سعيد بن جبير بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله، فالمعنى: أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه.

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء<sup>(١)</sup> كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض، أنيته عدد نجوم السماء»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وينحر الهدي والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحي قبل صلاة العيد، فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا: تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاءً وتصدية، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له؛ أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

الرابع: أن معنى ﴿وَأَنحَرْ﴾: ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النحر، وهو الصدر.

الخامس: أن معناه: ارفع يدك عند نحر في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّكَ شَانِتُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٣)</sup> الشاني: هو المبيغض، وهو من الشنآن بمعنى العداوة.

ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل - وقيل: في أبي جهل - على وجه

(١) في د: «الخصال».

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠).

الرد عليه ؛ إذ قال : إن محمدًا أبتَرُ ؛ أي : لا ولد له ذكْرٌ ، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته ، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتَر وإن كان له أولاد ؛ لأنه مبتور من رحمة الله ؛ أي : مقطوع عنها ، ولأنه لا يُذكر إذا ذُكر إلا باللعنة ، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالده إلى آخر الدهر ، مرفوع على المنابر والصوامع ، مقرونٌ بذكر الله ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه ، فهو كالوالد لهم <sup>(١)</sup> .

(١) في د : «فكانه والدهم» .

## ﴿سورة الكافرين﴾

سبب هذه السورة: أن قومًا من قريش، منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم؛ قالوا: يا محمد! اتبع ديننا وتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله شيئاً»<sup>(١)</sup>، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»<sup>(٢)</sup>.

[﴿قُلْ يَتَّابِهَا الْكٰفِرُونَ ۝ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ لَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ۝﴾].

﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم.

فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝﴾؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: - قاله الزمخشري - : وهو أن قوله: ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل، وقوله: ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝﴾ يريد به فيما

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٣/٢٤).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٦٢/٧).

مضى ؛ أي : ما كنت قطّ عابداً ما عبدتم فيما سلف ؛ فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟<sup>(١)</sup>

الثاني : - قاله ابن عطية - : وهو أن قوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ ؛ أي : أبداً ما عشت<sup>(٢)</sup>.

وهذا مُعْتَرَضٌ ؛ لأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله : ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ لا يحتمل أن يراد به الحال.

ويحتمل عندي : أن يكون قوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ يريد به : في المستقبل، على حسب ما تقتضيه «لا» من الاستقبال، ويكون قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ يريد به : في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته الأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ أظهر من معنى الماضي الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال ؛ فإن قولك : «ما زيد قائم» بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ ﴿٤﴾ هذا إخبارٌ أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله، كما قيل لنوح : ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكِ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود : ٣٦]، إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم : أبو جهل، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف، وأبيّ بن خلف، وابنا

(١) الكشف (٦٠٧/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٧٠١/٨).

الحجاج<sup>(١)</sup>، وكلهم ماتوا كفارًا.

فإن قيل: لم قال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ بـ «ما» دون «من» التي هي موضوعة لمن يعقل؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ على طريقته؛ لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أن «ما» مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف.

فإن قيل: لم كرّر هذا المعنى واللفظ؛ فقال بعد ذلك: ﴿وَلَا أَنَسَّ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ﴾<sup>(٣)</sup> مرة أخرى؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: - قول الزمخشري - وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى<sup>(٣)</sup>.

(١) وهما: نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر. سيرة ابن هشام (١/٢٦٥).

(٢) الكشف (١٦/٦١١).

(٣) الكشف (١٦/٦٠٧).

والآخر: - قاله ابن عطية - : وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتمٌ عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا<sup>(١)</sup>.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شرككم، ولي توحيدي، وهذه براءة منهم.

وفيها مسأمة منسوخة بالسيف.

\*\*\*

(١) المحرر الوجيز (٧٠١/٨).



## ﴿سورة النصر﴾

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة، فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمت.

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن<sup>(١)</sup>؛ أي هذه السورة، وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلي»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمضى أيام التشريق في حجة الوداع، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يوماً أو نحوها.

وقال ابن مسعود: هذه السورة تسمى «سورة التوديع».

[﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا ③﴾].

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ يعني بالفتح: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ.

وقال ابن عباس: <sup>(١)</sup> النصر: صلح الحديبية، والفتح: فتح مكة.

وقيل: النصر: إسلام أهل اليمن.

والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبارٌ بغيب، فهو من أعلام النبوة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ أي: جماعات، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشرٌ كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً.

وقال أبو عمر ابن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر <sup>(٢)</sup>.

وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته: مئة ألف وأربعة عشر ألفاً.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۝٣﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيما تقدم <sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح، وعند اقتراب أجله؟

فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد؛ ليكون شكرًا على النصر والفتح

(١) في أ، ه زيادة: «من».

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/١٦٣٨).

(٣) انظر: (٣/١٢٧).

وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله؛ ليكون ذلك  
زادًا للآخرة وعُدَّةً للقاء الله<sup>(١)</sup>.

❦ ❦ ❦

---

(١) في ج، د: «اللقاء».

﴿سورة أبي لهب<sup>(١)</sup>﴾

سببها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [اشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادى بأعلى صوته: «يا صباحاه<sup>(٢)</sup>!»، فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم أُنذِرهم عموماً وخصوصاً، فقال له أبو لهب: تباً لك! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة<sup>(٣)</sup>.

[﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت، والتباب: هو الخسران.

وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوةً له.

فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته<sup>(٤)</sup> دون اسمه؟

(١) قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٢): «وتسمى سورة تبَّت، وسورة أبي لهب، وسورة المسد».

(٢) في أ، د، هـ: «يا صاحبا».

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٤) في أ، هـ: «بتكنيته».

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ، ويقال : إنه كُنِّيَ أبا لهب لتلهب وجهه جمالاً .

الثاني : أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية .

الثالث : أنه لما كان من أهل النار واللهب ، كناه أبا لهب ، وليناسب ذلك قوله : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٢) .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (٢) : يحتمل أن تكون ﴿ مَا ﴾ : نافية ، أو استفهامية يراد بها النفي .

و﴿ مَالُهُ ﴾ : هو رأس ماله ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : الربح .

أو ﴿ مَالُهُ ﴾ : ما ورث ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : هو ما اكتسبه لنفسه .

وقيل : ﴿ مَالُهُ ﴾ : جميع ماله ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : أولاده .

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٢) : هذا حتمٌ عليه بدخول النار ، ومات بعد ذلك كافرًا .

﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (١) : اسم امرأته : أم جميل بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان وعمه معاوية .

وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال :

أحدها : أنها تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه (١) .

(١) في ب ، ج زيادة : « به » .

الثاني : أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة ، يقال : فلان يحمل الحطب بين الناس : أي : يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم .

الثالث : أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين ، يقال : فلان يحطب على فلان : إذا قصد الإضرار به .

الرابع : أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها .

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥) الجيد : العنق .

والمسد : الليف .

وقيل : الحبل المفتول .

وفي المراد به ثلاثة أقوال :

الأول : أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول ، وفي ذلك تحقير لها ، وإظهار لخساسة حالها .

والآخر : أن حالها في جهنم يكون كذلك ؛ أي : يكون في عنقها حبل .

الثالث : أنها كانت قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها على عداوة محمد ، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرؤها .

ويحتمل قوله : ﴿ وَأَمْرَآتُ ﴾ وما بعده وجوهاً من الإعراب يختلف الوقف باختلافها ، وهي :

أن يكون ﴿ وَأَمْرَآتُ ﴾ مبتدأ ، و﴿ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ﴾ خبره .

أو يكون ﴿ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ﴾ نعت ، والخبر : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥) .

أو يكون ﴿أَمْرَانَهُ﴾ معطوفاً على الضمير في ﴿يَصَلِّي﴾، و﴿حَمَالُهُ  
الْحَطْبِ﴾: نعت، أو خبر مبتدأ مضمرة.

## ﴿ سورة الإخلاص ﴾

سبب نزول هذه السورة: أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه؟ فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها!، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرَّ مغشياً عليه، ونزل عليه جبريل ﷺ بهذه السورة. وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت. وعلى الرواية الأولى: تكون السورة مدنية؛ (لأن سؤال اليهود بالمدينة)<sup>(١)</sup>.

وعلى الرواية الثانية: تكون مكية.

واختلف في معنى قوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>: فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد،

(١) سقط من ج، د.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٨١١).



فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر، وعليه حمل ابن عطية الحديث<sup>(١)</sup>.

ويؤيده: أن في بعض روايات الحديث: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وخرج النسائي: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأها فقال: «أما هذا فقد غفر له»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»<sup>(٤)</sup>.

وخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٥)</sup> فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية خرَّجها الترمذي: أنه ﷺ قال للرجل: «حبك إياها أدخلك الجنة»<sup>(٦)</sup>.

وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) المحرر الوجيز (٧١٣/٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١١).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٦٢/٧).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٨/٢).

(٥) أخرجه مسلم (٨١٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٩٠١).

مِثْقَلِ ذَرَّةٍ يَوْمَ الْغَفْرِ لَهُ ذُنُوبٌ خَمْسِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دِينَ»<sup>(١)</sup>.  
 [﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ③﴾].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ الضمير هنا عند البصريين: ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم.

وإعرابه: مبتدأ، وخبره الجملة التي بعده، وهي المفسرة له، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبره.

وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ هو الخبر، و﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه.

وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ بدل، و﴿أَحَدٌ﴾ هو الخبر.

و﴿أَحَدٌ﴾ له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب، كقولك: «ما جاءني أحد»، وليس هذا موضع هذا المعنى، وإنما موضعه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله: «وَاحِدٌ» بواو، ثم أبدل من الواو همزة، وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد<sup>(٢)</sup> له ثلاثة معان كلها صحيحة

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٨).

(٢) في ب، د: «بالوحدانية».

في حق الله تعالى :

الأول : أنه واحد لا ثاني معه ، فهو نفي للعدد .

والآخر : أنه واحد لا نظير ولا شريك ، كما تقول : «فلان واحد عصره» ؛  
أي : لا نظير له .

والثالث : أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعّض<sup>(١)</sup> .

والأظهر : أن المراد في السورة نفي الشريك ؛ لقصد الرد على المشركين  
ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ كَمَلُّهُ إِلَهٌُ وَجِدٌ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

قال الزمخشري : ﴿أَحَدٌ﴾ وصف بالوحدانية ونفي الشركاء<sup>(٢)</sup> .

قلت : وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته ، وذلك في  
القرآن كثير جداً ، وأوضحها أربعة براهين<sup>(٣)</sup> :

الأول : قوله : ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل : ١٧] ؛ لأنه إذا ثبت أن الله  
تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحداً منها شريكاً له .

والآخر : قوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

والثالث : قوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾

[الإسراء : ٤٢] .

(١) انظر (١/٣٨٤) .

(٢) الكشف (١٦/٦٣٨) .

(٣) انظر تبیین هذه الأوجه في كتاب «النور المبین في قواعد عقائد الدین» للمؤلف تكملة  
(ص : ٣٩) وما بعدها .

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها.

وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَاللَّهُ كُفُّوا إِلَهُ وَحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] (١).

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الصمد الذي يُصمد إليه في الأمور؛ أي: يُلجأ إليه.

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

والثالث: أنه الذي لا جوف له.

والأول هو المراد هنا على الأظهر.

ورجح ابن عطية: بأن الله هو مُوجد الموجودات وبه قوامها، فهي مفتقرة إليه؛ أي: تصمد إليه؛ إذ لا تقوم بأنفسها (٢).

ورجح شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير ورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في «مريم»: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَلَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) انظر: (٣٨٤/١).

(٢) المحرر الوجيز (٧١١/٨).

وَالْأَرْضُ ﴿البقرة: ١١٦﴾، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ ؛ ليكون برهاناً على نفي الولد.

قال الزمخشري: صَمَدٌ: فَعْلٌ بمعنى مفعول ؛ لأنه مصمود إليه في الحوائج<sup>(١)</sup>.

﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ هذا ردٌ على كل من جعل لله ولداً، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزيز ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ أَلْطَمَكُمُ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفهما بصفة الحدوث ؛ لينفي عنهما صفة<sup>(٢)</sup> القدم فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء، فلا يتخذ ولداً، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوة، وإلى هذا

(١) الكشف (١٦/ ٦٣٥).

(٢) في ب، ج، هـ: «صفات».

أشار بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ عَبْدٌ﴾ [مريم: ٩٣].

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَّيَّ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّيَّ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا ردٌّ على الذين قالوا: «انُسبَ لنا ربك»، وذلك أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم، الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودًا تعالى عن ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّيَّ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفو: هو النظير والمماثل.

قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، فيكون نفيًا للصاحبة<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبه ولا مثل. ويجوز في ﴿كُفُوًا﴾:

ضم الفاء، وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين.

ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء.

ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد.

ويجوز فيه: الهمز والتسهيل.

وانتصب ﴿كُفُّوا﴾ على أنه خبر «كان»، و﴿أَحَدٌ﴾ اسمها.

قال ابن عطية: يجوز أن يكون ﴿كُفُّوا﴾ حالاً؛ لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: لم قدم المجرور وهو ﴿لَهُ﴾، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفر مطلقاً، إنما المقصود نفي الكفر عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحوز<sup>(٢)</sup> هذا المعنى، فقدمه.

فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفر؛ فلم نص على ذلك بعده؟

فالجواب: أن هذا من التجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم مُتَقَدِّم، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكَيْنِ وَرُوحَيْنِ﴾، ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفر عن الله ينبغي

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٢).

(٢) في ج، هـ: «يُحْرَز».

الاعتناء به؛ للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان؛ فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بياناً، وإيضاحاً للمعنى، ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيداً لإقامة الحجة عليهم.





## ﴿سورة الفلق﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾].  
 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ تقدم معنى ﴿أَعُوذُ﴾ في التعوذ<sup>(١)</sup>، ومعنى ﴿رَبِّ﴾ في «اللغات»<sup>(٢)</sup> و«الفاتحة»<sup>(٣)</sup>.

وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قال الزمخشري: هو فَعَلٌ بمعنى مفعول<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك.

الثالث: أنه جُبَّ في جهنم. وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: (٢٣٩/١) والمادة (٣٩٠) في اللغات.

(٢) انظر المادة (٢٠٤) في اللغات.

(٣) انظر: (٢٥٤/١).

(٤) الكشف (٦٤٤/١٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤٢/٢٤).

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ هذا عمومٌ في جميع المخلوقات، وشرُّهم: أنواع كثيرة، أعادنا الله منها.

و﴿مَا﴾ هنا:

موصولة.

أو موصوفة.

أو مصدرية.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَى غَاسِقٍ أَلِيلٍ﴾ [الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الأنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه القمر، خرج النسائي: أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: «يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب»<sup>(٢)</sup>، ووقوبه على هذا: كسوفه؛ لأن «وَقَبَ» في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة، أو الدخول.

(١) أي: افعل ما تريد ليلا فإنه أشتر لسرك. انظر: مجمع الأمثال للميداني (١٩٣/٢)، وفيه قصة هذا المثل.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٢٣)، والترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي (١٢٢/٩).

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.  
الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق»<sup>(١)</sup> فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذَّكْر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس.  
السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووقَّبه: ضربه<sup>(٢)</sup>.

الثامن: أنه إبليس، حكى ذلك السهيلي<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْمَقَادِرِ﴾ النفث: شبه النفخ دون تفل وريق.  
قاله ابن عطية<sup>(٤)</sup>.

وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق<sup>(٥)</sup>.  
وهذا النفث ضرب من السحر، وهو أن ينفث على عُقْدٍ تُعْقَدُ في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك.  
وحكى ابن عطية أنه حدَّثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطاً أحمر قد عُقِدَتْ فيه عقد على فُضْلان - وهي أولاد الإبل -، فمُنِعَتْ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤٨/٢٤).

(٢) الكشف (٦٤٧/١٦).

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٩٩).

(٤) المحرر الوجيز (٧١٥/٨).

(٥) الكشف (٦٤٨/١٦).

بذلك من رضاع أمهاتها، فكان إذا حلَّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه  
فرَضِعَ في الحين<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفايات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر، ومن إثمهن في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن<sup>(٢)</sup>.

و﴿الْفَنَثِ﴾ بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره:

النساء النفايات.

أو الجماعات النفايات.

أو النفوس النفايات.

والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي،  
وكنَّ ساحرات سحرْنَ هُنَّ وأبوهم رسول الله ﷺ وعَقَدْنَ له إحدى عشرة  
عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفَّى الله  
رسوله ﷺ.

فإن قيل: لم عَرَفَ ﴿الْفَنَثِ﴾ بالآلف واللام، ونكَّر ما قبله وهو  
﴿غَاسِقٍ﴾ وما بعده وهو ﴿حَاسِدٍ﴾؛ مع أن الجميع مستعاذ منه؟

(١) المحرر الوجيز (٧١٥-٧١٦).

(٢) الكشف (٦٤٩/١٦).

فالجواب : أنه عرّف النفاثات ؛ ليفيد العموم ؛ لأن كل نفاثة شريرة ، بخلاف الغاسق والحاسد ؛ فإن شرهما في بعض دون بعض .

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۖ﴾ الحسد خُلِقَ مذموم طبعًا وشرعًا ، قال رسول الله ﷺ : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(١)</sup> .

وقال بعض العلماء : الحسد أول معصية عُصِيَ الله بها في السماء والأرض ، أما في السماء : فحسد إبليس لآدم ، وأما في الأرض : فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد .

ثم إن الحسد على درجات :

الأولى : أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه ، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به .

الثانية : أن يحب زوال تلك النعمة ؛ لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه .

الثالثة : أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره ، وهذا جائز وليس بحسد ، وإنما هو غبطة .

والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرّات :

أحدها : اكتساب الذنوب ؛ لأن الحسد حرام .

الثانية : سوء الأدب مع الله تعالى ، فإن حقيقة الحسد كراهة إنعام الله على عبده ، واعتراضٌ على الله في فعله .

الثالثة : تألم قلبه ، وكثرة همه وغمه .

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) ، وابن ماجه (٤٢٠٩) .

فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين ، فإن المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة ، ولله در القائل :

إني لأرحم حاسدي لفرط ما ضمت صدورهم من الأوغار  
نظروا صنيع الله بي فعينونهم في جنة وقلوبهم في نار<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد<sup>(٢)</sup>  
ثم إن الحسود لا تزول عداوته ، ولا تنفع مداراته ، وهو ظالم يتشكى كأنه  
مظلوم ، ولقد صدق القائل :

كل العداوة قد تُرجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد<sup>(٣)</sup>  
وقال حكيم الشعراء :

وأظلم خلق الله من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب<sup>(٤)</sup>

قال ابن عطية : قال بعض الحذاق : هذه السورة خمس آيات ، وهي مراد

(١) البيتان لأبي الحسن التهامي كما في ديوانه (ص : ٣١٦).

(٢) البيتان لبشار بن برد كما في ديوانه (٩٧/٣).

(٣) البيت للشافعي كما في مناقب الشافعي لليهقي (٧٤/٢) ، ونسبه في العقد الفريد إلى ابن المبارك (١٧١/٢).

(٤) البيت للمتنبي كما في شرح العكبري لديوانه (١٨٥/١).

الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين : الخمسة على عينك<sup>(١)</sup> .  
 فإن قيل : لم قال ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ ، و﴿إِذَا حَسَدَ﴾ فقيد بـ «إذا» التي تقتضي  
 تخصيص بعض الأوقات؟

فالجواب : أن شرَّ الحاسد ومضرَّته إنما تقع إذا أمضى حسده ، فحينئذٍ  
 يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين ، فإن عين الحسود قاتلة ، وأما إذا لم  
 يُمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ، ولذلك قال رسول الله  
 ﷺ : «ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيرة»<sup>(٢)</sup> . فمخرجه  
 من الحسد أن لا يبيغي ، ومخرجه من الظن أن لا يُحقَّق ، ومخرجه من الطيرة  
 أن لا يرجع ، فلهذا خصه بقوله : ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ .

وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم ، فلذلك خصه بقوله :  
 ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ .

فإن قيل : إن قوله : ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ① عمومٌ يدخل تحته كل ما ذكر  
 بعده ؛ فلأي شيء ذكر ما بعده؟

فالجواب : أن هذا من التجريد ؛ للاعتناء بالمذكور بعد العموم ، ولقد  
 تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود  
 رسول الله ﷺ ، وشدة حسدهم له .

❦ ❦ ❦

(١) المحرر الوجيز (٧١٦/٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٣) .

## ﴿ سورة الناس ﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ  
الْوَسْوَاسِ الْخَفَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ  
وَالنَّاسِ﴾].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل : لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو  
رب كل شيء؟

فالجواب : أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس ،  
فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ ، والمقصودون هنا دون  
غيرهم .

﴿مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ هذا عطف بيان .

فإن قيل : لم قدم وصفه تعالى بـ ﴿رَبِّ﴾ ثم بـ ﴿مَلِكِ﴾ ثم بـ ﴿إِلَهٍ﴾؟

فالجواب : أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى ، وذلك أن الرب  
قد يُطلق على كثير من الناس ، فيقال : فلان رب الدار ، وشبه ذلك ، فبدأ به ؛  
لاشتراك معناه ، وأما الملك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس وهم الملوك ،  
ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس ، فلذلك جاء به بعد الرب ، وأما الإله فهو  
أعلى من الملك ، ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة ، وإنما الإله واحد  
لا شريك له ولا نظير ؛ فلذلك ختم به .



فإن قيل : لم أظهر المضاف إليه وهو ﴿النَّاسِ﴾ في المرة الثانية والثالثة ؛  
فهلاً أضمره في المرتين لتقدم ذكره في قوله : ﴿يَرْبِ النَّاسِ﴾ ؟ أو هلاً اكتفى  
بإظهاره في المرة الثانية ؟

فالجواب : أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون  
الإضمار ، وقصد أيضاً الاعتناء بالمكرر ذكره ، كقول الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ      نَعَصَ الموتُ ذا الغنى والفقير<sup>(١)</sup>

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ وهو مشتق من الوسوسة ، وهي الكلام الخفي .

فيحتمل أن يكون ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ :

[أ-] بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل ، وهذا يظهر في قول ابن عطية :  
الوسواس من أسماء الشيطان<sup>(٢)</sup> .

[ب-] ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس :

على وجه المبالغة ، كالوصف بعذلٍ وصومٍ .

أو على حذف مضاف تقديره : ذي الوسواس .

وقال الزمخشري : إنما المصدر وسواس بالكسر<sup>(٣)</sup> .

﴿الْخَنَاسِ﴾ معناه : الراجع على عقبه المستتر أحياناً ، وذلك متمكن في  
الشيطان ؛ فإنه يوسوس ، فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ، ثم رجع

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في ديوانه (ص : ٦٥) .

(٢) المحرر الوجيز (٧١٧/٨) .

(٣) الكشف (٦٥٣/١٦) - (٦٥٤) .

إليه عند الغفلة عن الذكر، فهو يَخْنَسُ في تباعده، ثم في رجوعه بعد ذلك .

﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة؛ منها:

إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد .

فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي .

فإن لم يقدر على ذلك ثَبَّطَهُ عن الطاعات .

فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ؛ لِيُحِبَّطَهَا .

فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجْبُ بنفسه واستكثار عمله .

ومن ذلك : أنه يوقد في القلب نار الحسد، والحقْد، والغضب ؛ حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال .

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء ؛ وهي :

[١-] الإكثار من ذكر الله .

[٢-] والإكثار من الاستعاذة بالله منه ، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة .

والثالث : مخالفته والعزم على عصيانه .

فإن قيل : لم قال : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل : «في قلوب الناس» ؟

فالجواب : أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة ، وأنها غير حالة في القلب ، بل هي محوَّمة في الصدر حول القلب .

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن، ومن الإنس.

ثم إن الوسواس من الإنس يحتمل أن يريد:  
من يوسوس بخدعه، وأقواله الخبيثة؛ فإنه شيطان كما قال تعالى:  
﴿شَيْطَانُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

أو يريد به: نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء؛ فإنها أمارة بالسوء.  
والأول أظهر.

وقيل: إن ﴿النَّاسِ﴾ معطوف على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾؛ كأنه قال: أعوذ من شر  
الوسواس من الجنة، ومن شر الناس، وليس الناس على هذا ممن يوسوس.  
والأول أظهر وأشهر.

فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟  
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما كان القرآن من أعظم  
النعم على عباده، والنعم مَظَنَّةُ الحسد؛ فختم<sup>(١)</sup> بما يطفئ الحسد؛ من  
الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي: أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ  
قال فيهما: «أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط»<sup>(٢)</sup>، كما قال في فاتحة

(١) في د، هـ: «ختم».

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).

الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»<sup>(١)</sup>، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسْن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا: أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء؛ ليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره<sup>(٢)</sup> إلى آخره.



(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١)، والترمذي (٢٨٧٥)، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في

ضمن حديث طويل.

(٢) في ج، د: «مرة».

كامل كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إلى الله كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجباً لدخولي الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم<sup>(١)</sup>، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبع مئة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم»، أقول: كان الأولى بالمصنف ﷺ التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وكما جاء في السنة: «الله إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت» الحديث، وما ذكره من التوسل بحرمة القرآن وشفاعة النبي ﷺ لا دليل عليه، فغفر الله له، ورحمه، وضاعف مثوبته.

## فهرس الموضوعات

| الموضوع                  | الصفحة |
|--------------------------|--------|
| ﴿ سورة حم السجدة ﴾ ..... | ٥      |
| ﴿ سورة الشورى ﴾ .....    | ٢٧     |
| ﴿ سورة الزخرف ﴾ .....    | ٥٥     |
| ﴿ سورة الدخان ﴾ .....    | ٨٩     |
| ﴿ سورة الجاثية ﴾ .....   | ١٠١    |
| ﴿ سورة الأحقاف ﴾ .....   | ١١١    |
| ﴿ سورة القتال ﴾ .....    | ١٢٩    |
| ﴿ سورة الفتح ﴾ .....     | ١٤٦    |
| ﴿ سورة الحجرات ﴾ .....   | ١٦٩    |
| ﴿ سورة ق ﴾ .....         | ١٨٦    |
| ﴿ سورة الذاريات ﴾ .....  | ٢٠٤    |
| ﴿ سورة الطور ﴾ .....     | ٢٢١    |
| ﴿ سورة النجم ﴾ .....     | ٢٣٤    |
| ﴿ سورة القمر ﴾ .....     | ٢٥١    |
| ﴿ سورة الرحمن ﷻ ﴾ .....  | ٢٦٥    |

- ﴿ سورة الواقعة ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿ سورة الحديد ﴾ ..... ٣٠٨
- ﴿ سورة المجادلة ﴾ ..... ٣٢٩
- ﴿ سورة الحشر ﴾ ..... ٣٤٦
- ﴿ سورة المتحنة ﴾ ..... ٣٦٥
- ﴿ سورة الحواريين ﴾ ..... ٣٧٩
- ﴿ سورة الجمعة ﴾ ..... ٣٨٥
- ﴿ سورة المنافقين ﴾ ..... ٣٩٥
- ﴿ سورة التغابن ﴾ ..... ٤٠١
- ﴿ سورة الطلاق ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿ سورة التحريم ﴾ ..... ٤٢٣
- ﴿ سورة الملك ﴾ ..... ٤٣٦
- ﴿ سورة ن والقلم ﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿ سورة الحاقة ﴾ ..... ٤٦٥
- ﴿ سورة المعارج ﴾ ..... ٤٨١
- ﴿ سورة نوح عليه السلام ﴾ ..... ٤٩٥
- ﴿ سورة الجن ﴾ ..... ٥٠٥
- ﴿ سورة المزمل ﴾ ..... ٥١٩
- ﴿ سورة المدثر ﴾ ..... ٥٣٣
- ﴿ سورة القيامة ﴾ ..... ٥٤٩

|     |                   |
|-----|-------------------|
| ٥٥٩ | ﴿ سورة الإنسان ﴾  |
| ٥٧٤ | ﴿ سورة المرسلات ﴾ |
| ٥٨٢ | ﴿ سورة النبأ ﴾    |
| ٥٩٣ | ﴿ سورة النازعات ﴾ |
| ٦٠٥ | ﴿ سورة عبس ﴾      |
| ٦١٤ | ﴿ سورة التكويد ﴾  |
| ٦٢٢ | ﴿ سورة الانفطار ﴾ |
| ٦٢٧ | ﴿ سورة المطففين ﴾ |
| ٦٣٧ | ﴿ سورة الانشقاق ﴾ |
| ٦٤٦ | ﴿ سورة البروج ﴾   |
| ٦٥٧ | ﴿ سورة الطارق ﴾   |
| ٦٦٤ | ﴿ سورة الأعلى ﴾   |
| ٦٧١ | ﴿ سورة الغاشية ﴾  |
| ٦٧٧ | ﴿ سورة الفجر ﴾    |
| ٦٨٩ | ﴿ سورة البلد ﴾    |
| ٦٩٦ | ﴿ سورة الشمس ﴾    |
| ٧٠٢ | ﴿ سورة الليل ﴾    |
| ٧٠٧ | ﴿ سورة الضحى ﴾    |
| ٧١٣ | ﴿ سورة ألم نشرح ﴾ |
| ٧١٧ | ﴿ سورة التين ﴾    |



- ﴿ سورة العلق ﴾ ..... ٧٢١
- ﴿ سورة القدر ﴾ ..... ٧٢٩
- ﴿ سورة لم يكن ﴾ ..... ٧٣٥
- ﴿ سورة إذا زلزلت ﴾ ..... ٧٤١
- ﴿ سورة العاديات ﴾ ..... ٧٤٥
- ﴿ سورة القارعة ﴾ ..... ٧٥١
- ﴿ سورة التكاثر ﴾ ..... ٧٥٥
- ﴿ سورة العصر ﴾ ..... ٧٥٩
- ﴿ سورة الحمزة ﴾ ..... ٧٦١
- ﴿ سورة الفيل ﴾ ..... ٧٦٤
- ﴿ سورة قريش ﴾ ..... ٧٦٧
- ﴿ سورة أرايت ﴾ ..... ٧٧٠
- ﴿ سورة الكوثر ﴾ ..... ٧٧٣
- ﴿ سورة الكافرين ﴾ ..... ٧٧٦
- ﴿ سورة النصر ﴾ ..... ٧٨٠
- ﴿ سورة أبي لهب ﴾ ..... ٧٨٣
- ﴿ سورة الإخلاص ﴾ ..... ٧٨٧
- ﴿ سورة الفلق ﴾ ..... ٧٩٦
- ﴿ سورة الناس ﴾ ..... ٨٠٣
- فهرس الموضوعات ..... ٨٠٩

## فهرس تقريرات فضيلة الشيخ العلامة :

عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله -

| م | موضوع التعليق                                                                                                                         | الإحالة                          |
|---|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------|
| ١ | معنى الإيمان لغة وشرعاً                                                                                                               | ١٢٨/١                            |
| ٢ | حكم إطلاق «واجب الوجود» على الله                                                                                                      | ١٥٥/١                            |
| ٣ | معاني علو الله تعالى                                                                                                                  | ٢٠٦/١                            |
| ٤ | حكم إطلاق «صفات الحدوث»<br>على صفات الله تعالى                                                                                        | ٢٢٠/١                            |
| ٥ | بيان الخطأ في تفسير الرحمة بالإحسان<br>أو بإرادة الإحسان                                                                              | ٢٤٧/١                            |
| ٦ | طريقة الصوفية في تقسيم الشكر إلى ثلاث<br>درجات وما فيها من المآخذ                                                                     | ٢٥٢/١                            |
| ٧ | بيان الخطأ في تفسير صفات الله الفعلية المقيدة<br>كالمكر والاستهزاء والكيد ونحوها : بأنها من<br>باب المشاكلة وتسمية العقوبة باسم الذنب | ٢٧٥/١ ، ٥٤٥/١ ،<br>٤٢٢/٢ ، ٥١٢/٢ |
| ٨ | المقصد بذكر المخلوقات في القرآن ،<br>هل هو الاستدلال على وحدانية الله تعالى<br>أو على وجوده؟                                          | ٢٨٧-٢٨٦/١                        |

|         |                                                                                                                                                                                                                        |
|---------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٩١ / ١ | ٩ دخول الأعمال في مسمى الإيمان وتفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾                                                                                                                      |
| ٢٩٣ / ١ | ١٠ صفة الحياء لله تعالى                                                                                                                                                                                                |
| ٣٥٢ / ١ | ١١ تفسير وجه الله تعالى                                                                                                                                                                                                |
| ٣٥٤ / ١ | ١٢ تفسير : ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾                                                                                                                                                                                    |
| ٣٥٥ / ١ | ١٣ الإشكال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بأنه إن كان خطاباً لمعدوم لم يصح ؛ لأن المعدوم لا يخاطب ، وإن كان خطاباً لموجود لم يصح ؛ لأن تحصيل الحاصل غير مطلوب ! |
| ٣٧٥ / ١ | ١٤ مقامات الناس في المقصد بذكر الله ، وكلام الصوفية في ذلك ، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                                                                                              |
| ٣٧٧ / ١ | ١٥ بيان بطلان قول الصوفية في أن أفضل الذكر ذكر الله تعالى بالاسم المفرد «الله ، الله»                                                                                                                                  |
| ٣٨٤ / ١ | ١٦ نقد طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد ، وبيان المآخذ الشرعية في ذكرهم معاني «الواحد» في حق الله تعالى ، ومعناه في قوله : ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾                                                             |
| ٣٨٥ / ١ | ١٧ طريقة الصوفية في جعل الخلق في توحيد الله على ثلاث درجات والكلام عن مقام الفناء ، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                                                                       |

|                          |                                                                                                                                  |    |
|--------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٣٨٨/١                    | المأخذ على طريقة الصوفية في تعظيم مقام محبة الله والتهوين من مقامات الخوف والرجاء والتوكل                                        | ١٨ |
| ٣٩٦/١                    | تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾                                                                                  | ١٩ |
| ٤٠٦/١                    | جواب الإشكال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾                                   | ٢٠ |
| ٤٢٧/١                    | صفة الإتيان لله تعالى                                                                                                            | ٢١ |
| ٤٧٦/١                    | نقد تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ عَلِمَهُ﴾ من معلوماته                                                                                | ٢٢ |
| ٥٤٦/١                    | بيان الخطأ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْكَ إِلَى﴾ بأنه: إلى سمائي وما يتضمنه من نفى علو الله تعالى                              | ٢٣ |
| ٥٨٩/١ ،<br>٦٠٨/٣ ، ٦٩٥/٢ | مذهب المعتزلة في القول بالأجلين ومعناه                                                                                           | ٢٤ |
| ٥٩١/١                    | بيان المأخذ على طريقة الصوفية في جعل التوكل ثلاث درجات                                                                           | ٢٥ |
| ٩٦/٢                     | مسألة تخليد القاتل عمداً في النار والإشكال في آية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ | ٢٦ |
| ١٦٧/٢                    | آية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وتنازع المعتزلة والأشاعرة فيها                                            | ٢٧ |
| ١٩٥/٢                    | صفة البيدين لله تعالى                                                                                                            | ٢٨ |
| ٢٣٦/٢                    | تفسير قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾                                                    | ٢٩ |

|       |                                                                                                                           |
|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٨١/٢ | ٣٠ إطلاق نفي التغير عن الله واستدلال المتكلمين على ذلك بقصة إبراهيم في قوله: ﴿لَا أُحِبُّ آلَافِيلَ﴾ وما في ذلك من المآخذ |
| ٣٠٦/٢ | ٣١ معنى الظلم الذي نزه الله عنه نفسه عند أهل السنة وعند الأشاعرة                                                          |
| ٣٤٩/٢ | ٣٢ استواء الله تعالى على عرشه                                                                                             |
| ٧٥٢/٢ | ٣٣ نفي فوقية الله تعالى وسلوك مسلك التفويض أو التأويل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾         |
| ٥٨/٣  | ٣٤ نقد تفسير ﴿لِكَلِمَتِ رَبِّي﴾ بأنها معلومات الله وهي المعاني القائمة بالنفس، وما فيه من سلوك طريقة الأشاعرة            |
| ٩٩/٣  | ٣٥ تفسير ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾                                                                                       |
| ١٠١/٣ | ٣٦ تفسير ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾                                                                                     |
| ١١١/٣ | ٣٧ من لم يتب هل تحصل له المغفرة؟                                                                                          |
| ١٣/٣  | ٣٨ تفسير ﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾                                                           |
| ١٥٦/٣ | ٣٩ تفسير ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأنها الجنة، أو في أهل رحمتنا                                                  |
| ٢٢٠/٣ | ٤٠ تفسير ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ بأن المراد معلومات الله                                                               |

|       |                                                                                                                                                   |    |
|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٣٢/٣ | تفسير ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ووصف المخلوق بأنه خالق                                                                                             | ٤١ |
| ٢٩٩/٣ | تفسير ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾                                                                                                    | ٤٢ |
| ٣٠٦/٣ | تفسير ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ بأنه الجزاء، أو زبانية الله                                                                                     | ٤٣ |
| ٣٣٣/٣ | تفسير ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ بأنه مجاز بمعنى قصدنا، أو المراد قدوم الملائكة، وصفة المجيء لله تعالى                                      | ٤٤ |
| ٣٥٨/٣ | تفسير ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ وصفة الاستماع لله تعالى                                                                                     | ٤٥ |
| ٣٨٩/٣ | تفسير ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾                                                                 | ٤٦ |
| ٤١٢/٣ | تفسير ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وإشكال صحة الاستثناء مع كون الله ليس في السموات ولا في الأرض | ٤٧ |
| ٤١٦/٣ | نقد تفسير ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنه القول الأزلي من الله، وما فيه من جرّي على طريقة الأشاعرة في نفى تعلق الكلام بالمشيئة         | ٤٨ |
| ٤٤٧/٣ | تفسير ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ باحتمال كونه بواسطة أو بغير واسطة                                                                                   | ٤٩ |

|       |                                                                                                                                          |
|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٥٠/٣ | ٥٠ تفسير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ وتمسك المعتزلة بها في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله |
| ٤٩١/٣ | ٥١ تفسير ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ بأنه هذا تقريب لفهم السامع وأن الأمور كلها متساوية عند الله ليس فيها تفاضل                           |
| ٥١٧/٣ | ٥٢ نقد تفسير ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ بأنه عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وما فيه من عدم إثبات إضافة النفخ إلى الله تعالى               |
| ٥٩٨/٣ | ٥٣ نقد تفسير ﴿إِنَّهُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ بعلمه وإحاطته، وما فيه من جري على مذهب الأشاعرة في عدم إثبات القرب الخاص                        |
| ٦٥٨/٣ | ٥٤ تفسير ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ على القراءة بضم الباء، وصفة العجب لله تعالى                                                       |
| ٧٤١/٣ | ٥٥ تفسير ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وهل الرضا هو الإرادة؟                                                                     |
| ١٤٩/٤ | ٥٦ تفسير ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وتأويلها بالنعمة أو القوة                                                                     |
| ١٧٨/٤ | ٥٧ تفسير ﴿يَنْسَ الْأَلَمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ واستدلال المعتزلة بها على أن الفاسق غير مؤمن                                   |

|       |                                                                                                      |    |
|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٣٧/٤ | تفسير ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّى﴾ (٨) الآيات، وهل تعود الضمائر على جبريل أو الله؟                         | ٥٨ |
| ٣٠٩/٤ | تفسير ﴿وَأَنظَرُهُ وَالْبَاطِنُ﴾                                                                     | ٥٩ |
| ٣٢٦/٤ | تفسير ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ وإعرابها، وهل فيها حجة للمعتزلة على أن العبد يخلق فعل نفسه؟   | ٦٠ |
| ٤٤٧/٤ | تفسير ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ وهل القائل الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال؟  | ٦١ |
| ٤٤٧/٤ | تفسير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وصفة الساق لله تعالى                                              | ٦٢ |
| ٤٨٣/٤ | نقد تفسير ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ بأنها استعارة في الفضائل والصفات الحميدة، وما فيه من نفى علو الله بذاته | ٦٣ |
| ٥٦١/٤ | تفسير ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾                                                                | ٦٤ |
| ٧٤٨/٤ | خطأ تفسير الصوفية للكنود بأنه: الذي يعبد الله على عوض                                                | ٦٥ |
| ٨٠٨/٤ | حكم دعاء الله تعالى «بحرمة القرآن العظيم»                                                            | ٦٦ |